



اصبحان

الحاكم



www.

www.

www.

www.

.com

.org

.net

.ir

Ghaemiyeh

الحمد لله

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

٣٢

الحمد لله

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصحيح من سيره النبي الاعظم صلي الله عليه و آله وسلم

كاتب:

السيد جعفر مرتضى حسيني العاملي

نشرت في الطباعة:

سحرگاهان

رقمي الناشر:

مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
12	الصحيح من سيرة النبي الأعظم المجلد 32
12	هوية الكتاب
12	اشارة
16	ادامة القسم العاشر: من الفتح . إلى الشهادة
16	تممة الباب الحادى عشر: الغدير فى الحديث و التاريخ
16	الفصل السابع: سورة المائدة متى نزلت و كيف ؟ !
16	اشارة
18	لماذا تأخرت آية البلاغ عن آية إكمال الدين ؟ !
18	مرتكزات الإيمان:
20	النوع الأول:
20	النوع الثانى:
22	سورة المائدة نزلت دفعة واحدة:
24	تاريخ نزول سورة المائدة:
25	ضعوا هذه الآية فى سورة كذا:
29	الدوافع و الأهداف:
29	لماذا قدم آية الإكمال:
30	استطراد و توضيح:
35	خلاصة توضيحية:
36	النزول على النبي صلى الله عليه وآله قبل الإبلاغ:
39	متى كانت النبوة:
42	النزول لأجل هداية الناس:
43	نزول السورة بتمامها:

44	لو كان لا بد من الانتظار:
44	نزول السورة مرتين:
45	نزول الآية أيضا مرتين:
51	النزول التدريجي للآيات:
51	شواهد و أدلة:
67	سورة الكهف نزلت في مكة:
73	خلاصة أخيرة:
75	الفصل الثامن: شبهات. . وأجوبتها
75	اشارة
77	الغدیر كان يوم الخميس:
78	لماذا لم يحتج علي و الزهراء عليهما السلام بالغدیر؟! :
82	ألف-احتجاجات علي عليه السلام:
87	الأول: لماذا لم يشهد أكثر من هذا العدد؟! :
88	الثاني: شهادتان. . لا شهادة واحدة:
96	تحريف كتاب المعارف:
97	تحريف كتاب تاريخ اليعقوبي:
98	ب-احتجاج الزهراء عليها السلام:
100	حديث الولاية إخبار أم إنشاء؟! :
101	لا دليل على إمامة علي عليه السلام بلا فصل:
102	هل الإمامة لتكميل الخطة العملية للدين؟! :
108	كان الغدير ردا على زيد بن حارثة؟! :
111	علي عليه السلام كان باليمن:
113	من هما العبدان الصالحان؟! :
115	الزهري لا يحدث بفضائل علي عليه السلام:
115	نص الطبري مؤيد بالنصوص:

116	جبريل . . . وعمر بن الخطاب:
119	الفصل التاسع: الغدير في ظل التهديدات الإلهية
119	إشارة
121	قريش وخلافة بني هاشم:
123	التدخل الإلهي:
125	سياسة الفضائح:
131	تذكير ضروري: الورع والتقوى:
134	محاولة قتل رسول الله صلى الله عليه وآله:
134	خلاصة وبيان:
137	الباب الثاني عشر: مرض النبي صلى الله عليه وآله وإستشهاده. . أحداث وسياسات
137	إشارة
139	الفصل الأول: مرض النبي صلى الله عليه وآله وصاياه
139	إشارة
141	مدة مرض رسول الله صلى الله عليه وآله:
142	حديث لد النبي صلى الله عليه وآله خرافة:
153	الدنانير وعائشة:
157	فاطمة عليها السلام أول أهل بيته لحوقاً به:
162	وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام:
162	1-حياة النبي صلى الله عليه وآله بعد موته:
163	2-علي عليه السلام هو الوصي:
164	3-العلم بما هو كائن:
164	وصايا النبي صلى الله عليه وآله حول تجهيزه ودفنه:
167	أداء أمانات الرسول صلى الله عليه وآله بعد وفاته:
175	الفصل الثاني: سرية أسامة بن زيد
175	إشارة

177	حديث سرية أسامة:
185	تناقض ظاهر في كلام الشامي:
186	يستعمل هذا الغلام على المهاجرين؟! :
187	لعن الله من تخلف عن جيش أسامة:
188	استعمله النبي صلى الله عليه وآله وأمرني أن أنزعه؟! :
192	أبو بكر في جيش أسامة:
195	أقلل اللبث فيهم:
196	إشارة إلى حديث اللود:
196	حرق عليهم:
200	أغز عليهم:
200	الغارة على الآمنين:
201	سبب التناقل والتخلف عن أسامة:
202	تناقل أسامة والجيش إلى أي مدى؟! :
204	اعتذارات البشري عن تناقلهم:
206	إرتداد العرب متى كان؟! ولماذا؟! :
207	إشكال مشترك الورد:
214	مغزى تأمير أسامة:
217	بعث أسامة مدهش:
223	الفصل الثالث: الكتاب الذي لم يكتب
223	إشارة
225	عمر يمنع النبي صلى الله عليه وآله من كتابة الكتاب:
231	غلبه الوجع، أم هجر؟! :
234	إساءات لمقام النبوة:
235	حسبنا كتاب الله في الميزان:
237	لماذا يريد النبي صلى الله عليه وآله الكتابة؟! :

- 238 لماذا لا يصر النبي صَلَّى الله عليه وآله على الكتابة ؟ ! :
- 239 فائدة ما جرى:
- 240 لو لبس المسلمون السواد، و أقاموا المآتم:
- 241 النبي صَلَّى الله عليه وآله يخبر عما يجري:
- 243 وقوع ما أخبر به النبي صَلَّى الله عليه وآله:
- 245 شكليات وظواهر:
- 246 حتى سيرة النبي صَلَّى الله عليه وآله يحرم تعلمها:
- 248 هل أراد صَلَّى الله عليه وآله كتابة ولاية علي عليه السلام:
- 252 لعله أراد إستخلاف أبي بكر:
- 258 مفارقة. . لا مجال لتبليغها:
- 260 حسبنا كتاب الله دليل آخر:
- 260 لا دليل على إرادة الوصية لعلي عليه السلام ؟ ! :
- 263 إستدلال عمر بالجبر الإلهي:
- 264 أبو جعفر النقيب يقول:
- 267 الفصل الرابع: تمحلات بالية وأعدار واهية .
- 267 اشارة .
- 269 تصويب عمر و تخطئة النبي صَلَّى الله عليه وآله!! :
- 272 ألف: عمر أراد التخفيف عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله:
- 273 ب: آية بلغ . . وآية إكمال الدين:
- 273 ج: لو كان وحيا لأصر على تبليغه:
- 275 د: أراد أن يكتب خلافة أبي بكر:
- 276 هـ : لا سنة عند عمر:
- 277 و: لا يريد صَلَّى الله عليه وآله كتابة الفقه:
- 278 ز: قرينة الترخيص عند المازري:
- 279 ح: قد يكتب صَلَّى الله عليه وآله ما يعجزون عنه:

280	ط: النبي صَلَّى الله عليه وآله يصوب عمر فيما قال:
281	محاولات البشري باءت بالفشل:
291	الفصل الخامس: عزل أبي بكر عن الصلاة
291	إشارة
293	صلاة أبي بكر في الروايات:
296	نصوص نذكرها ثم نناقشها:
304	في بيت عائشة:
304	أبو بكر أسيف لا يسمع الناس:
304	إمامان لجماعة واحدة:
306	أيهما الإمام؟ !:
308	تناقض روايات صلاة أبي بكر:
313	صلاة أبي بكر و الخلافة:
318	يوم الوفاة هو يوم العزل:
320	التشاؤم هو السبب:
321	مروا من يصلي بالناس:
322	عزله في الصلاة الأولى:
322	صويحبات يوسف:
323	أستاذ المعتزلي يشرح ما جرى:
325	يوم بنت خارجة:
326	دعوى صلاة النبي صَلَّى الله عليه وآله خلف أبي بكر:
327	روايات عائشة:
330	صلاة عمر بالناس:
333	صلاتان . أم صلاة واحدة؟ !:
335	رواية الواقدي:
336	كل نبي يؤمه رجل من أمته:

338	النصب بعد العزل:
341	الفصل السادس: أحداث الوفاة في النصوص والآثار
341	إشارة
343	توفي في بيتي بين سحري و نحري:
347	ملك الموت يستأذن على النبي صَلَّى الله عليه وآله:
348	يوم وفاة النبي صَلَّى الله عليه وآله:
349	متى دفن النبي صَلَّى الله عليه وآله؟ !:
352	القول الأصوب والأصح:
355	يوم و شهر وفاة النبي صَلَّى الله عليه وآله:
358	ما يقوله الشيعة هو الأصح:
359	ملاحظة:
360	كم عاش رسول الله صَلَّى الله عليه وآله:
361	عاش أبو بكر وعمر ثلاثا وستين:
367	لماذا لا يذكرون عليا عليه السلام:
369	الفهارس
369	إشارة
371	1-الفهرس الإجمالي
373	2-الفهرس التفصيلي
381	تعريف مركز

عنوان و نام پدیدآور : الصحيح من سيرة النبي الاعظم (ص) / جعفر مرتضى العاملي

مشخصات نشر : سحرگاهان ، 1419 ق . = 1377.

مشخصات ظاهري : ج 35

شابک : 130000 ریال (دوره کامل) ؛ 130000 ریال (دوره کامل) ؛ 130000 ریال (دوره کامل) ؛ 130000 ریال (دوره کامل) ؛
130000 ریال (دوره کامل) ؛ 130000 ریال (دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسی : فیفا

یادداشت : عربی .

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است .

یادداشت : افست از روی چاپ بیروت : دار السیره

یادداشت : جلد دهم : الفهارس

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد (ص)، پیامبر اسلام، 53 قبل از هجرت - 11 ق. -- سرگذشتنامه

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا 41 ق.

رده بندی کنگره : BP22/9 /ع 2 ص 3 1377

رده بندی دیویی : 297/93

شماره کتابشناسی ملی : م 77-15929

محرر الرقمي : میثم حیدری

ص: 1

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 2

الصحيح من سيرة النبي الأعظم

تأليف: جعفر مرتضى عامري

ص: 3

الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ط _ جديد)

تأليف: جعفر مرتضى عامري

الناشر: مؤسسه علمي فرهنگي دار الحديث، سازمان چاپ و نشر

سال انتشار: 1426 ق/ 1385 هـ. ش

ص: 4

ادامة القسم العاشر: من الفتح. . إلى الشهادة

تتمة الباب الحادى عشر: الغدير فى الحديث و التاريخ

الفصل السابع: سورة المائدة متى نزلت و كيف؟ !

اشارة

ص: 5

لماذا تأخرت آية البلاغ عن آية إكمال الدين؟ !

إن ثمة سؤالاً يفرض نفسه هنا مفاده: أن الروايات قد صرحت بأن قوله تعالى: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ (1)**. قد نزل بعد نصب النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» إماماً في يوم الغدير. .

وإن آية: **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ (2)**. قد نزلت قبل يوم الغدير. .

مع أن آية الإكمال قد وردت في أول سورة المائدة، وآية الأمر بإبلاغ إمامة الإمام «عليه السلام» قد جاءت في وسط السورة. والمفروض هو أن يكون العكس، لا سيما وأن القرآن كان ينزل نجوماً، وبالتدريج. فكيف تفسرون ذلك؟! . .

ونجيب عن ذلك بما يلي:

مركزات الإيمان:

إن الإيمان بنبوة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، يرتكز إلى أمرين:

ص: 7

1- الآية 3 من سورة المائدة.

2- الآية 67 من سورة المائدة.

أحدهما: الإيمان المستند إلى إدراك العقل، وقضاء الفطرة بصحة الحقائق التي جاء بها. .

وهذا هو ما كان إيمان أبي طالب، وحمزة وجعفر، وخديجة. . . و. . . مرتكزا إليه وعليه، فإنهم قد أدركوا صحة ما جاء به رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعقولهم، وقضت به فطرتهم، ولم يحتاجوا إلى إظهار معجزة، ولا طلبوا من النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك، خصوصا مع ما صاحب ذلك من معرفة قريبة، وإطلاع مباشر على حياة الرسول «صلى الله عليه وآله»، ومزاياه، وصدقه، ثم رؤية كرامات الله له، وألطفه به، ثم ما حباه به من رعاية وتسديد، ومن نصر وتأييد. .

وهذا هو إيمان أهل البصائر، الذين يزنون الأمور بموازين العدل، ويعطون النصفة من أنفسهم، وهو ما يفترض بالناس كلهم أن يكونوا عليه، أو أن يسعوا للوصول إليه، وأن يلتزموا به ولا يتجاوزوه. .

ولو أن الناس سلكوا هذا النهج لاستغنوا عن طلب الآيات والمعجزات، خصوصا في ما يرتبط بأمر التوحيد والالتقياد لله، والطاعة، والعبادة له، وما يتبع ذلك من تفاصيل تفيد في التعريف بصفات ذاته، وصفات فعله تبارك وتعالى. . فضلا عن كل ما حدثهم به الله ورسوله مما يرتبط بالعلاقة والرابطة بين الخالق، ومخلوقاته. . وتسيير شؤون الحياة وفق الحكمة. . وهداية الكائنات كلها، ورعايتها وتربيتها. . فإن ذلك كله مما تفرض الفطرة السليمة والعقول المستقيمة الخضوع له، والإيمان به، وعقد القلب عليه.

فإذا قال لهم الله سبحانه وتعالى: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا

لَا تُرْجَعُونَ (1) . . فهو إنما يخاطب عقولهم، ويتحدث عن أمر يمكنهم أن يدركوه، وأن يؤمنوا به. . وكذلك حين يقول لهم: قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (2). وغير ذلك مما تحكم به العقول، وتؤيده الفطرة البشرية الصافية والمستقيمة. .

و الأمر الثاني: الإيمان المستند إلى ظهور المعجزة القاهرة، و القاطعة للعدر، و التي تضطر العقل إلى الإقرار بالعجز، و البخوع و الخضوع و الاستسلام. و هذا ما يحتاج إليه أو يطلبه نوعان من الناس:

النوع الأول:

الذين يرغبون في إبقاء الأمور على ما كانت عليه. . ممن يثقل عليهم الانقياد إلى دعوات الأنبياء، و يأنفون من الالتزام بأحكام الله. و هؤلاء هم الذين كانوا يقترحون على الأنبياء أن يأتوهم بالآيات، و أن يظهروا المعجزات، ثم يكونون هم أول الجاحدين بها، و المكذبين لها. .

النوع الثاني:

أولئك الذين يرغبون في معرفة الحق، و لا يابون عن الالتزام به لو ظهر لهم. . و لكنهم ليسوا مثل جعفر، و حمزة، و خديجة و. . في وعيهم، و في نظرتهم إلى الأمور، و إدراكهم للحقائق. فيحتاجون إلى عوامل تساعدهم على تحصيل اليقين بحقانية الدعوة، و واقع ارتباطها بالله سبحانه. من خلال

ص: 9

1- الآية 115 من سورة المؤمنون.

2- الآيتان 78 و 79 من سورة يس.

المعجزة التي تقهر عقولهم، و تسوقهم إلى التسليم، لأن بها يتم إخضاع وجدانهم للغيب الإلهي .

وبما أن هذا القرآن هو معجزة رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، ولم يكن بإمكان كل هؤلاء أن ينالوا معانيه، و لا أن يدركوا حقائقه و دقائقه و مرامييه . لأن فيهم الكبير و الصغير، و فيهم الذكي و الغبي، و كانوا في أسوأ حالات الأمية و الجهل، و البداوة . فكان لا بد من الرفق بهم، و تيسير الإيمان لهم، و فتح أبواب الهداية أمامهم .

فاحتاج الأمر إلى وسيلة إقناع، يفهمها هذا النوع من الناس-الذين لا- يمكنهم إدراك حقائق القرآن، و الوقوف على مستوى إعجازه التشريعي، أو العلمي، أو البلاغي، أو غير ذلك .

و لم يكن يمكن تأجيل إيمانهم و إسلامهم إلى حين تحقق بعض الإخبارات الغيبية المستقبلية، الأمر الذي قد يمتد إلى سنوات كثيرة، كالإخبار عن غلبة الروم في قوله تعالى: غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (1) . ولا . ولا . الخ .

و لا بد أن تكون وسيلة الإقناع هذه بحيث يدركها، و يفهمها جميع الناس، بمختلف فئاتهم، و طبقاتهم، و أن تكون في متناول يد أعلم الناس، و أعقلهم، كما هي في متناول يد أكثر الناس سطحية و سذاجة، و لو كان بعمر تسع سنوات للفتاة، و بعمر خمس عشرة سنة للفتى .

وقد اختار الله سبحانه أن تكون هذه الوسيلة هي أن تنزل السورة في

ص: 10

1- الآيتان 2 و 3 من سورة الروم.

بادئ الأمر بتمامها، فيقرؤها النبي «صلى الله عليه وآله» على الناس، ثم تبدأ الأحداث بالتحقق في متن الواقع، فكلما حدث أمر، ينزل جبرئيل «عليه السلام»، بالآيات التي ترتبط بذلك الحدث، فيرى الناس: أن هذه الآيات هي نفسها التي كانت قد نزلت في ضمن تلك السورة قبل ساعة، أو يوم، أو شهر مثلاً. فيدرك الذكي والغبي، وكل من يملك أدنى مستوى من العقل، بأن هذا القرآن لا بد أن يكون من عند الله، لأن الله وحده هو الذي يعلم بما يكون في المستقبل. وها هو قد أنزل الآيات المرتبطة بأحداث بعينها قبل أن تحدث. .

وهم يعرفون النبي «صلى الله عليه وآله» عن قرب، ويعيشون معه، ويرون أنه مثلهم، ويملك الوسائل التي يملكونها، ويعيش نفس الحياة التي يعيشونها.

وبعد ما تقدم نقول:

إننا من أجل توضيح هذه الإجابة، نشير إلى العديد من القضايا ضمن الفقرات التالية:

سورة المائدة نزلت دفعة واحدة:

إن سورة المائدة قد نزلت دفعة واحدة، كما يظهر مما رواه:

1-عبد الله بن عمرو، قال: أنزلت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» سورة المائدة، وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله، فنزل عنها (1). .

ص: 11

1- الدر المنثور ج 2 ص 252 عن أحمد، و مجمع الزوائد ج 7 ص 13 و تفسير القرآن العظيم ج 2 ص 3 و فتح القدير ج 2 ص 3 و البداية و النهاية ج 3 ص 31 و السيرة النبوية لابن كثير ج 1 ص 424 و إمتاع الأسماع ج 3 ص 49 و السيرة الحلبية ج 1 ص 415 و سبل الهدى و الرشاد ج 2 ص 258.

2-عن أسماء بنت يزيد، قالت: إني لآخذة بزمام العضباء، ناقة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إذ نزلت المائدة كلها، فكادت من ثقلها تدق عضد الناقة (1). .

3-عن أم عمرو بنت عيس، عن عمها: أنه كان في مسير مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فنزلت عليه سورة المائدة، فاندق كتف راحلته العضباء، من ثقل السورة (2). .

4-عن محمد بن كعب القرظي، قال: نزلت سورة المائدة على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حجة الوداع، فيما بين مكة والمدينة، وهو على ناقته، فانصدعت كتفها، فنزل عنها رسول الله «صلى الله عليه وآله» (3). .

5-عن الربيع بن أنس قال: نزلت سورة المائدة على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في المسير من حجة الوداع، وهو راكب راحلته، فبركت به

ص: 12

1- الدر المنثور ج 2 ص 252 عن أحمد، وعبد بن حميد، وابن جرير، ومحمد بن نصر في الصلاة، والطبراني، وأبي نعيم في الدلائل، و البيهقي في شعب الإيمان، ومجمع الزوائد ج 7 ص 13 و تفسير القرآن العظيم ج 2 ص 3 و البداية والنهاية ج 3 ص 31 و السيرة النبوية لابن كثير ج 1 ص 424 و السيرة الحلبية ج 1 ص 424.

2- الدر المنثور ج 2 ص 252 عن ابن أبي شيبة في مسنده، والبغوي في معجمه، وابن مردويه، و البيهقي في دلائل النبوة، و السيرة الحلبية ج 1 ص 415.

3- الدر المنثور ج 2 ص 252 عن أبي عبيد، و تفسير الآلوسي ج 6 ص 47.

راحلته من ثقلها (1).

تاريخ نزول سورة المائدة:

وقد اختلفوا في تاريخ نزول سورة المائدة، وقد تقدم وسيأتي أيضا ما يدل على أنها قد نزلت في حجة الوداع إما في الطريق، أو في يوم عرفة. وهذا هو المعتمد، وقد صرح عدد من النصوص بأنها آخر السور نزولا.

وهناك قولان آخران:

الأول: ما روي من أن سورة المائدة قد نزلت منصرف رسول الله «صلى الله عليه وآله»، من الحديبية (2).

ولكن الروايات المصرحة بأن سورة المائدة كانت آخر ما نزل تدفع هذا القول، كما أشرنا إليه في موضعه من هذا الكتاب.

الثاني: قال القرطبي: «من هذه السورة ما نزل في حجة الوداع، ومنها ما نزل عام الفتح» (3).

فالجمع بين هذا القول، وبين روايات نزولها دفعة واحدة، هو أن يقال: إنها نزلت مرتين:

إحداهما: دفعة واحدة.

ص: 13

1- الدر المنثور ج 2 ص 252 عن ابن جرير، وجامع البيان ج 6 ص 112.

2- الجامع لأحكام القرآن ج 6 ص 30 والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للأندلسي ج 2 ص 143 و تفسير البحر المحيط ج 3 ص 427.

3- الجامع لأحكام القرآن ج 6 ص 30، والغدير ج 1 ص 227 وراجع: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج 2 ص 143 و تفسير البحر المحيط ج 3 ص 427.

و الأخرى: أن آياتها نزلت نجوما (1).

ضعوا هذه الآية في سورة كذا:

و من جهة أخرى، فإنهم قالوا: «الإجماع و النصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي، لا شبهة في ذلك» (2).

وقد رووا: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كان يقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا.

وقد روي ذلك عن ابن عباس (3).

و عن عثمان بن عفان أيضا (4).

ص: 14

1- الجامع لأحكام القرآن ج 6 ص 61.

2- الإتيان ج 1 ص 24 و (ط دار الفكر) ج 1 ص 167 و الغدير ج 1 ص 227 و راجع: تحفة الأحوذ ج 8 ص 380 و إعجاز القرآن الباقلائي (مقدمة المحقق) ص 60 و تاريخ القرآن الكريم لمحمد طاهر الكردي ص 61.

3- راجع: الدر المنثور ج 1 ص 7 عن الحاكم و صححه، و عن أبي داود، و البزار، و الطبراني، و البيهقي في المعرفة و في شعب الإيمان و الجامع الصحيح للترمذي ج 5 ص 272 و تاريخ يعقوبي ج 2 ص 43 و الإتيان ج 1 ص 62 و البرهان للزركشي (ط دار إحياء الكتب العربية) ج 1 ص 234 و 241 عن الترمذي و الحاكم، و التمهيد ج 1 ص 213 و تاريخ القرآن للصغير ص 81 عن: مدخل إلى القرآن الكريم لدراز ص 34، لكن في غرائب القرآن للنيسابوري، بهامش جامع البيان للطبري ج 1 ص 24 و مناهل العرفان ج 1 ص 240 هكذا: «ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا».

4- مستدرك الحاكم ج 2 ص 330 و 221 و تلخيصه للذهبي بهامشه و غريب الحديث ج 4 ص 104، و البرهان للزركشي ج 1 ص 234 و 235 و سنن الترمذي ج 4 ص 336 و راجع ص 61 و غرائب القرآن بهامش جامع البيان ج 1 ص 24 و فتح الباري ج 9 ص 19 و 20 و 39 و 38، و كنز العمال ج 2 ص 367 عن أبي عبيد في فضائله، و ابن أبي شيبة، و أحمد، و أبي داود، و الترمذي، و ابن المنذر، و ابن أبي داود، و ابن الأنباري معافي المصاحف، و النحاس في ناسخه، و ابن حبان، و أبي نعيم في المعرفة، و الحاكم و سعيد بن منصور، و النسائي، و البيهقي، و فواتح الرحموت بهامش المستصفى ج 2 ص 12 عن بعض من ذكر، و الدر المنثور ج 3 ص 207 و 208 عن بعض من ذكر، و عن أبي الشيخ، و ابن مردويه و مشكل الآثار ج 2 ص 152 و البيان ص 268 عن بعض من تقدم، و إمتاع الأسماع ج 4 ص 241 و تاريخ المدينة لابن شبة ج 3 ص 1015 و فتح القدير ج 2 ص 331 و عن الضياء في المختارة، و منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج 2 ص 48 و راجع: بحوث في تاريخ القرآن و علومه ص 103 و مناهل العرفان ج 1 ص 347 و مباحث في علوم القرآن ص 142 عن بعض من تقدم، و تاريخ القرآن للصغير ص 92 عن أبي شامة في المرشد الوجيز. . و جواهر الأخبار و الآثار بهامش البحر الزخار ج 2 ص 245 عن أبي داود، و الترمذي، و سنن أبي داود ج 1 ص 209 و تفسير القرآن العظيم ج 2 ص 344 و تفسير السمرقندي ج 2 ص 37 و السنن الكبرى للبيهقي ج 2 ص 42 و الإتيان في علوم القرآن ج 1 ص 167 و أحكام القرآن للجصاص ج 1 ص 10 و مسند أحمد ج 1 ص 57 و 69 و السنن الكبرى للنسائي ج 5 ص 10 و أضواء البيان للشنقيطي ج 2 ص 112 و جامع البيان ج 1 ص 69 و الجامع لأحكام القرآن ج 8 ص 62 و إمتاع الأسماع ج 4 ص 241 و تهذيب الكمال ج 32 ص 288 و تاريخ القرآن الكريم لمحمد طاهر الكردي ص

وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» شخص يبصره ثم صوبه ثم

ص: 15

قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة (1).

وفي رواية عن ابن عباس: كان المسلمون لا يعرفون انقضاء السورة حتى تنزل بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، فإذا نزلت عرفوا أن السورة قد انقضت (2) .

وروي ذلك عن سعيد بن جبير (3)، وعن ابن مسعود (4) .

قال أبو شامة: يحتمل أنه «صلى الله عليه وآله» كان لا يزال يقرأ في السورة إلى أن يأمره جبريل بالتسمية فيعلم أن السورة قد انقضت (5).

ولكننا لا نجد إلا موارد يسيرة تحدثت عن أن النبي «صلى الله عليه

ص: 16

1- مسند أحمد ج 4 ص 218 و تفسير القرآن العظيم ج 2 ص 605 و كنز العمال ج 2 ص 16 و مجمع الزوائد ج 7 ص 48 و تفسير الآلوسي ج 14 ص 220 و فتح القدير ج 3 ص 189 و الدر المنثور ج 4 ص 128 و الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ج 1 ص 168 و تاريخ القرآن الكريم لمحمد طاهر الكردي ص 62 و 68.

2- الدر المنثور ج 1 ص 7 عن الحاكم وصححه، والبيهقي في السنن، و تاريخ يعقوبي ج 2 ص 34.

3- راجع الدر المنثور ج 1 ص 7 عن أبي عبيد، و التمهيد لابن عبد البر ج 20 ص 210 و المستدرک للحاكم ج 1 ص 232 و فتح الباري ج 9 ص 39 و السنن الكبرى للبيهقي ج 2 ص 43 و مسائل فقهية للسيد شرف الدين ص 23 و الإتيان في علوم القرآن ج 1 ص 211 و البيان في تفسير القرآن للسيد الخوئي ص 442.

4- الدر المنثور ج 1 ص 7 عن الواحدي و البيهقي في شعب الإيمان، و الإتيان في علوم القرآن ج 1 ص 211.

5- الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ج 1 ص 21.

وآله» فعل ذلك في آيات بعينها (1). .

الدوافع والأهداف:

وهذا معناه: أن النبي «صلى الله عليه وآله»، الذي لا ينطق عن الهوى، ولا يفعل شيئاً من تلقاء نفسه قد قدم آية الإكمال على آية التبليغ بأمر من الله تبارك وتعالى، أو أن جبرئيل «عليه السلام» قد كان يأمر بذلك تنفيذاً لأمر الله تعالى، انطلاقاً من مصلحة اقتضت وضع الآية في خصوص ذلك الموضوع، وتكون النتيجة هي أن وضع آية الإكمال قبل آية الأمر بالتبليغ قد روعيت فيه المصلحة أيضاً. .

لماذا قدم آية الإكمال:

وإذ قد عرفنا: أن هذا التفريق بين آية اليوم أكملت لكم دينكم . . وآية: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك . . قد جاء وفق سياسة إلهية، ورعاية لمصالح بعينها.

فهل يمكن معرفة شيء عن هذه المصلحة التي اقتضت تقديم إحدى الآيتين في الذكر على الأخرى على عكس ما جرى عليه الحال في الواقع العملي؟! .

فقد يقال: لعل المصلحة في هذا التقديم هي حفظ الإمامة، وحفظ إيمان الناس . . وتيسير سبل الهداية لهم. .

يضاف إلى ذلك: إرادة حفظ القرآن عن امتداد يد التحريف إليه، فإن

ص: 17

الإسلام يحتاج إلى صيانة حقائقه و مقدساته، كما كان يحتاج أيضا إلى جهاد الإمام علي «عليه السلام» و توضيحاته .

هذا الجهاد الذي حمل معه الخزي و العار و الذل، لأهل الطغيان و الجحود، فأورثهم الحقد و الضغينة، حتى ظهرت فيهم حسيكة النفاق هذه بأشع صورها بعد رسول الله «صلى الله عليه و آله» ، و لا حاجة إلى البيان أكثر من هذا .

استطراد و توضيح:

غير أننا نقول:

إن الخيارات التي يمكن أن نتصورها كانت هي التالية:

1- أن يباشر الرسول «صلى الله عليه و آله» ، بنفسه قتل المعتدين، و يرد بسيفه كيد الطغاة و الجبارين، فيقتلهم و يستأصل شأفتهم، و يبید خضراءهم . .

و هذا يعني أن لا تصفو نفوس ذويهم له، و أن لا يتمكن حبه «صلى الله عليه و آله» من قلوبهم، فضلا عن أن يكون أحب إليهم من كل شيء حتى من أنفسهم!! . . كما يفرضه الإلتزام بالإسلام، و الدخول في دائرة الإيمان . .

و سوف تنهيا الفرصة أمام شياطين الإنس و الجن لدعوة هؤلاء الموتورين إلى خيانتة و الكيد له، و التآمر عليه، ما وجدوا إلى ذلك سبيلا . .

كما أنهم إذا ما اتخذوا ذلك ذريعة للعزوف عن إعلان إسلامهم و استسلامهم . . فإنهم سوف يمنعون الكثيرين ممن له اتصال بهم، من أبناء و أرحام، و أقوام و حلفاء و أصدقاء، من التعاطي بحرية و بعفوية مع أهل الإيمان، ثم حرمانهم و حرمان من يلوذ بهم من الدخول الجدي في المجتمع

ص: 18

الإسلامي، والتفاعل معه، والدوبان فيه.

2- أن يتولى هذا الأمر الآخرون من رجال القبائل المختلفة، فيقاتلون وحدهم الناس لأجل الإسلام، ودفاعاً عن المسلمين، وهذا خيار غير مرضي أيضاً، فإن احتفاظه «صلى الله عليه وآله»، بأهل بيته وذوي قرابته سيكون مثاراً لتساؤلات كثيرة، من شأنها أن تضعف عامل الثقة، وتؤثر سلباً على حقيقة الاعتقاد بالنبوة، ودرجة الإنقياد لها، ومستوى صفاء النية والاستبسال في المواقف الحرجة، حين تفرض الحاجة خوض اللجج، وبذل المهج.

ثم هو يهيء لزيادة حدة التمزق داخل الكيان الإسلامي، الذي لم يزل كثير من الناس فيه يعيش روح الجاهلية، ومفاهيمها. وتحكم به العصبية العشائرية والقبلية، ولم يقطع مراحل كبيرة في مسيرة السمو الروحي، وتركيز النفوس، وإخلاصها لله في ما تحجم عنه، أو تقدم عليه.

وقد يؤسس ذلك لحروب، وتعديات، ومآسٍ لا تنتهي، ولأحقاد لا تزول، بل تتضاعف باطراد، حيث ستدفعهم عصبيةاتهم للانتقام المتبادل.

وستكون النتيجة هي قتل الأبرياء، والتمزق والتشرد، وضعف أهل الدين، والسقوط في مستنقع الجريمة. ثم الرذيلة بأشع الصور، وأكثرها إثارة للإشمئزاز والتقرز.

وقد لا حظنا: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» يصرف في حرب صفين - مثلاً - على أن يقابل كل قبيلة بمثلها، فيقابل تميم الشام بتميم العراق،

وربيعة الشام، بريعة العراق (1). وهكذا بالنسبة لسائر القبائل، لا لأجل أنه يتعامل «عليه السلام» بالمنطق القبلي -حاشاه- بل لأنه يريد:

أولاً: أن لا يمعن الناس في قتل بعضهم البعض، لأن المهم عنده هو وأد الفتنة بأقل قدر من الخسائر. .

ثانياً: أن لا يكون هناك حرص من القبائل على إدراك ما تعتبره ثارات لها عند القبائل الأخرى، الأمر الذي سيهيء للمزيد من التمزق و الصراع داخل المجتمع الإسلامي. .

3-وقد كان الخيار الأقل ضرراً، هو أن يدفع النبي «صلى الله عليه وآله» بأهل بيته الأبرار، ليكونوا هم حماة هذا الدين، والمدافعون عنه، و أن لا يحرم الآخرين من فرصة للجهاد في سبيل الله تعالى. . ضمن الحدود المقبولة والمعقولة. فكان يقدم أهل بيته، وعلى رأسهم الإمام علي «عليه السلام»، ليكونوا هم أنصار دين الله. . وقتلة أعداء الله، ثم ليكونوا هم الشهداء على هذه الأمة، والحافظين لوحدها، والمحافظين على عزتها وكرامتها.

وإذا ما سعى الناس للانتقام من علي وأهل بيته «عليهم السلام»، وذريته، وتأمروا عليهم، فإنهم «عليهم السلام»، لن يعاملوهم بغير الرفق، لأن مهمهم ليس هو الانتقام لأنفسهم، بل حفظ الدين، ونشر أعلامه. .

وبذلك يكون «صلى الله عليه وآله»، قد حفظ الناس من الجحود

ص: 20

1- وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص 229، وراجع: أنساب الأشراف ج 2 ص 305، والفتوح لابن أعثم ج 3 ص 141، وراجع: ج 2 ص 229، و تاريخ الأمم والملوك ج 4 ص 9 وفيه: أن علياً «عليه السلام» سأل أولاً عن قبائل الشام، فلما أخبروه اتخذ قراره ذاك.

و العناد، و جنبهم مخاطر إبطان الحقد عليه «صلى الله عليه وآله»، أو السعي لتحريف كتاب الله، أو الإعلان بالخروج على الدين وأهله، لأن ذلك-لو حصل-سوف يزيد من صعوبة نشر هذا الدين، إن لم يكن سببا في أن يسقط الكيان كله، و لتبطل من ثم جهود الأنبياء، و تطلّ دماء الشهداء. .

فالأخذ بهذا الخيار إذن يجسد رحمة الله للناس، و رفقته بهم، و تيسير الإيمان لهم، و لذرياتهم، و لمن يلوذ بهم.

و لعله لأجل ذلك لم يذكر اسم الإمام علي «عليه السلام» في القرآن. .

حفظا للقرآن من أن يحرفه من هو أشر و أضر ممن رمى القرآن بالنبل و هو يقول:

تهددني بجبار عنيدفها أنا ذاك جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشرقل: يا رب مزقني الوليد

نعم، إنه من أجل ذلك و سواه لم يذكر اسم الإمام علي «عليه السلام» في القرآن بصراحة، مع كثرة ذكره للأمور التي صنعها الإمام علي «عليه السلام»، كآية النجوى، و كتصدّقه بالخاتم حين صلاته و غير ذلك. . و أنزل آيات كثيرة فيه، و منها آية: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ . . و آية الأمر ببلاغ الرسالة. . و تحدث عن إمامته «عليه السلام» كأساس للدين، و ركز مفهومها، و أوضح معالمها. .

و مما يؤيد حقيقة: أن عدم ذكر اسم الإمام علي «عليه السلام» في القرآن قد جاء وفق سياسة بيانية إلهية. . ما روي بسند صحيح عن الإمام الصادق «عليه السلام»، حيث أوضح صلوات الله و سلامه عليه هذا المعنى.

و أشار إلى أن ذلك يدخل في السياسة القاضية بحفظ القرآن: وَإِنَّا لَهُ

لِحَافِظُونَ (1) . . و الرفق بالأمة، و اللطف بالناس، و تألفهم، و فسح المجال أمام من يلوذ بهم للتأمل، و التدبر، بعيدا عن الموانع، و العقد، و غير ذلك، و الحديث الصحيح الذي نتحدث عنه، يقول:

قيل للإمام الصادق «عليه السلام»، إن الناس يقولون: فما له لم يسمّ عليا و أهل بيته «عليهم السلام» في كتاب الله عز و جل . .

قال: فقال: قولوا لهم: إن رسول الله «صلى الله عليه و آله» نزلت عليه الصلاة، و لم يسم الله لهم ثلاثا، و لا أربعا، حتى كان رسول الله «صلى الله عليه و آله» هو الذي فسر ذلك لهم، و نزلت عليه الزكاة و لم يسم لهم من كل أربعين درهما درهم، حتى كان رسول الله «صلى الله عليه و آله» هو الذي فسر ذلك لهم . .

و نزلت: أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ (2) . . و نزلت في علي و الحسن و الحسين «عليهم السلام» -فقال رسول الله «صلى الله عليه و آله» في علي «عليه السلام»: من كنت مولاه فعلي مولاه . .

و قال «صلى الله عليه و آله»: أوصيكم بكتاب الله، و أهل بيتي، فإني سألت الله عز و جل أن لا يفرق بينهما، حتى يوردهما علي الحوض، فأعطاني ذلك . .

و قال: لا تعلموهم فهم أعلم منكم.

و قال: إنهم لن يخرجوكم من باب هدى، و لن يدخلوكم في باب ضلالة . .

ص: 22

1- الآية 12 من سورة يوسف.

2- الآية 59 من سورة النساء.

فلو سكت رسول الله «صلى الله عليه وآله» فلم يبين من أهل بيته «عليهم السلام»، لادّعاها آل فلان، وآل فلان. لكن الله عز وجل، أنزله في كتابه تصديقا لنبيه «صلى الله عليه وآله»: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (1). فكان علي والحسن والحسين، وفاطمة «عليهم السلام» فأدخلهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» تحت الكساء في بيت أم سلمة الخ (2).

خلاصة توضيحية:

و خلاصة ما نريد أن نؤكد عليه هنا هو: أن آية الإكمال قد نزلت قبل آية بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ، سواء في النزول الدفعي لسورة المائدة، حيث تقدم: أن الروايات دلت على أن سورة المائدة، قد نزلت دفعة واحدة في عرفات، وفيها آية أمر الله تعالى نبيه «صلى الله عليه وآله» بنصب علي «عليه السلام» إماما، وآية إكمال الدين مبينة له أن الدين يكمل بهذه الولاية.

وقد حاول رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يبين للناس ذلك، فمنع، فكان ينتظر توفر الشرائط والظروف لذلك، ومنها: العصمة الإلهية

ص: 23

1- الآية 33 سورة الأحزاب.

2- هذا الحديث في الكافي ج 1 ص 287 و 288 و تفسير الصافي ج 1 ص 462 و ج 4 ص 188 و ج 6 ص 43 عنه، وعن العياشي، و راجع: نور الثقلين ج 1 ص 502 و ج 4 ص 274 و تفسير فرات ص 111 و كنز الدقائق ج 3 ص 441 و 442 و (مؤسسة النشر الإسلامي) ج 2 ص 497 و شرح أصول الكافي ج 6 ص 109 و البحار ج 35 ص 211 و جامع أحاديث الشيعة ج 1 ص 187.

من كيد الخائنين.

ثم أمره الله في منى في مسجد الخيف، فلم يتمكن منه أيضا.

حتى نزلت آية بلغ ما أنزل إليك، وفي النزول التدريجي، لتشير له إلى أن الشرائط قد تحققت، والعصمة قد حصلت، فبادر إلى نصب علي «عليه السلام» في يوم الغدير، و تمت الحجة بذلك على الناس جميعا.

النزول على النبي صلى الله عليه وآله قبل الإبل:

ولبيان أن نزول آية الإكمال قبل آية البلاغ إنما هو في النزول الدفعي، لا في التدريجي، نقول:

هناك آيات دلت أو أشارت إلى نزول القرآن دفعة واحدة، فقد قال تعالى: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ (1).

وقال سبحانه: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (2).

هناك الآيات التي تقول: إن القرآن في لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (3).

وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ (4).

وقد روى أهل السنة وغيرهم: أن القرآن قد نزل أولا إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم صار ينزل نجوما (5).

ص: 24

1- الآية 185 من سورة البقرة.

2- الآية 1 من سورة القدر.

3- الآية 22 من سورة البروج.

4- الآية 4 سورة الزخرف.

5- الإتيان ج 1 ص 39 و 40 و (ط دار الفكر) ج 1 ص 118 عن الحاكم والبيهقي، والنسائي، وسعيد بن منصور، وابن أبي حاتم، وابن أبي شيبة، والطبراني، والبزار، والمجموع للنووي ج 6 ص 456 و الدر المنثور ج 6 ص 161 و راجع: المغني لابن قدامة ج 3 ص 113 و مجمع الزوائد ج 7 ص 120 و 140 و فتح الباري ج 13 ص 414 و ج 27 ص 153 و تفسير الآلوسي ج 15 ص 188 و فتح القدير ج 5 ص 163 و مسند ابن الجعد ص 344 و المعجم الأوسط ج 2 ص 131 و المعجم الكبير ج 11 ص 247 و ج 12 ص 35 و التبيان للطوسي ج 2 ص 121 و 224 و تفسير جوامع الجامع للطبرسي ج 3 ص 818 و تفسير مجمع البيان ج 2 ص 14 و ج 10 ص 405 و تفسير ابن زنين ج 4 ص 198 و ج 5 ص 149 و تفسير البغوي ج 4 ص 148 و المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج 5 ص 251 و زاد المسير ج 7 ص 112 و فقه القرآن للراوندي ج 1 ص 179 و مجمع البحرين للطريحي ج 3 ص 465.

و حكي الإجماع على ذلك (1). .

و هناك روايات تقول: إن القرآن قد نزل أولاً جملة واحدة إلى البيت المعمور (2)،

ص: 25

1- راجع: الإتقان ج 1 ص 40 و 44.

2- راجع: الكافي ج 2 ص 629 و الصافي ج 1 ص 64 و 65 و ج 4 ص 403 و ج 6 ص 415 و تفسير نور الثقلين ج 1 ص 166 و 311 و ج 4 ص 620 و ج 5 ص 558 و 624 و تفسير كنز الدقائق ج 1 ص 430 و ج 2 ص 11 و الأمالي للصدوق ص 119 و فضائل الأشهر الثلاثة للصدوق ص 87 و البحار ج 9 ص 237 و ج 94 ص 11 و 12 و 25 و الحقائق الناضرة ج 13 ص 449 و الوسائل (ط دار الإسلامية) ج 7 ص 229 و جامع أحاديث الشيعة ج 9 ص 51 و 52 و مستدرك سفينة البحار ج 8 ص 454 و 485 و تفسير العياشي ج 1 ص 80 و تفسير القمي ج 1 ص 66 و ج 2 ص 290 و التفسير الأصفي ج 1 ص 88 و ينابيع المودة ج 3 ص 250 و جامع البيان ج 2 ص 197 و الدر المنثور ج 1 ص 189 و فتح القدير ج 1 ص 184.

الذي هو في السماء الرابعة (1).

ولم ير الشيخ المفيد أنه يمكن الإطمينان إلى صحة هذه الروايات (2).

وبعض الروايات تحدثت عن نزول القرآن إلى السماء الدنيا (3).

ص: 26

1- علل الشرائع ج 2 ص 407 والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج 13 ص 332 و (ط دار الإسلامية) ج 9 ص 414 والبحار ج 5 ص 330 وج 11 ص 111 وج 17 ص 89 وج 55 ص 55 و 56 و 57 عن محاسبة النفس لابن طاووس، و تفسير القمي ج 2 ص 331 و سفينة البحار ج 2 ص 277 والمناقب لابن شهر آشوب ج 3 ص 299 والمختصر ص 43.

2- راجع كلامه في تصحيح الاعتقاد ص 58.

3- راجع: المجموع ج 6 ص 456 والمغني لابن قدامة ج 3 ص 113 و شرح أصول الكافي ج 5 ص 350 وأمالى السيد المرتضى ج 4 ص 161 وإقبال الأعمال لابن طاووس ج 1 ص 230 و 231 والبحار ج 95 ص 4 والمستدرک للحاكم ج 2 ص 222 و 223 و 368 و 477 و 530 و مجمع الزوائد ج 7 ص 120 و 140 و فتح الباري ج 1 ص 30 وج 9 ص 3 وج 13 ص 414 وعمدة القاري ج 1 ص 55 وج 11 ص 129 وج 19 ص 308 والمصنف لابن أبي شيبة ج 7 ص 191 والسنن الكبرى للنسائي ج 5 ص 6 وج 6 ص 421 و 480 والمعجم الأوسط ج 2 ص 131 والمعجم الكبير ج 11 ص 247 وج 12 ص 26 و 35 و التمهيد لابن عبد البر ج 6 ص 191 و ج 17 ص 51 والتبيان ج 2 ص 121 وج 9 ص 224 والحاشية على الكشف للجرجاني ص 3 و تفسير جوامع الجامع ج 1 ص 184 و ج 3 ص 320 و 818 و مجمع البيان ج 2 ص 14 وج 10 ص 268 و 405 و فقه القرآن للراوندي ج 1 ص 179 و تفسير الميزان ج 2 ص 29 وج 12 ص 127 وج 19 ص 141.

وقالوا أيضا: إن القرآن قد نزل أولا دفعة واحدة على قلب رسول الله «صلى الله عليه وآله» لكنه لم يؤمر بتبليغه، وربما يستأنس لهذا القول ببعض الشواهد (1).

وهذه الروايات والأقوال . قد يكون جلها، أو كلها صحيحا، إذا اعتبرنا: أن جلال وعظمة القرآن اقتضت مراتب من النزول له، فنزل إلى اللوح المحفوظ، ثم إلى البيت المعمور، ثم إلى السماء الدنيا. .

ثم يأتي النزول التبليغي للناس، فينزل الله في شهر رمضان، على قلب رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، ثم ينزل سورة سورة، ليقراها النبي «صلى الله عليه وآله» على الناس، ثم تنزل الآيات متفرقة، كلما حدث أمر يكون لتلك الآيات نوع ارتباط به. .

متى كانت النبوة:

وإذا كانت نبوة النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» لم تبدأ حين كان «صلى الله عليه وآله» في سن الأربعين، بل هونبي منذ صغره كما أيده المجلسي بوجوه كثيرة (2).

أو أنه كان نبيا و آدم بين الروح والجسد (3). .

ص: 27

1- راجع: تفسير الميزان ج 2 ص 18 و تفسير الصافي المقدمة التاسعة، و تاريخ القرآن للزنجاني ص 10.

2- البحار ج 18 من ص 277 إلى ص 281.

3- راجع: الإحتجاج ج 2 ص 248 و الفضائل لابن شاذان ص 34 و البحار ج 15 ص 353 و ج 50 ص 82 و الغدير ج 7 ص 38 و ج 9 ص 287 و مسند أحمد ج 4 ص 66 و ج 5 ص 59 و 379 و سنن الترمذي ج 5 ص 245 و مستدرك الحاكم ج 2 ص 609 و مجمع الزوائد ج 8 ص 223 و تحفة الأحوذى ج 7 ص 111 و ج 10 ص 56 و المصنف لابن أبي شيبة ج 8 ص 438 و الآحاد و المثنائي ج 5 ص 347 و كتاب السنة لابن أبي عاصم ص 179 و المعجم الأوسط ج 4 ص 272 و المعجم الكبير ج 12 ص 73 و ج 20 ص 353 و الجامع الصغير ج 2 ص 296 و كنز العمال ج 11 ص 409 و 450 و تذكرة الموضوعات للفتني ص 86 و كشف الخفاء ج 2 ص 129 و خلاصة عبقات الأنوار ج 9 ص 264 عن ابن سعد، و مستدرك سفينة البحار ج 2 ص 392 و 522 عن كتاب النكاح، و عن فيض القدير ج 5 ص 69 و عن الدر المنثور ج 5 ص 184 و فتح القدير ج 4 ص 267 و الطبقات الكبرى ج 1 ص 148 و ج 7 ص 59 و التاريخ الكبير للبخاري ج 7 ص 274 و ضعفاء العقيلي ج 4 ص 300 و الكامل لابن عدي ج 4 ص 169 و ج 7 ص 37 و عن أسد الغابة ج 3 ص 132 و ج 4 ص 426 و ج 5 ص 377 و تهذيب الكمال ج 14 ص 360 و سير أعلام النبلاء ج 7 ص 384 و ج 11 ص 110 و ج 13 ص 451 و من له رواية في مسند أحمد ص 428 و تهذيب التهذيب ج 5 ص 148 و عن الإصابة ج 6 ص 181 و المنتخب من ذيل المذيل ص 66 و تاريخ جرجان ص 392 و ذكر أخبار إصبهان ج 2 ص 226 و عن البداية و النهاية ج 2 ص 275 و 276 و 392 و عن الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج 1 ص 166 و عن عيون الأثر ج 1 ص 110 و السيرة النبوية لابن كثير ج 1 ص 288 و 289 و 317 و 318 و دفع الشبه عن الرسول ص 120 و سبل الهدى و الرشاد ج 1 ص 79 و 81 و 83 و ج 2 ص 239 و عن ينابيع المودة ج 1 ص 45 و ج 2 ص 99 و 261.

وأنه كان من المرسلين قبل خلق الخلق بألفي عام (1).

ص: 28

1- الدر المنثور ج 5 ص 258 عن ابن مردويه.

وكان الله سبحانه قد خلقه قبل الخلق بألف دهر، وأشهدته خلق كل شيء، كما في بعض الروايات (1).

ثم جعله نورا محدقا بالعرش-عرش القدرة-ليطلع على المزيد من جلال وعظمة وقدرة وملك الله سبحانه، وذلك تكريما منه تعالى له، وتجلة وشرفا استحقه «صلى الله عليه وآله»، وكان له أهلا (2).

ومن خلال هذا الإشراف، وذلك المقام، فإنه «صلى الله عليه وآله» يكون قد نال من المعارف الإلهية ما يليق بمقام النبوة الخاتمة، التي هي أعظم مقام.

ص: 29

-
- 1- راجع الكافي ج 1 ص 441 والبحار ج 15 ص 19 وج 25 ص 340 وج 54 ص 12 و 66 و 195 ومستدرک سفينة البحار ج 6 ص 103 وج 8 ص 327 والتفسير الصافي ج 3 ص 247 والمختصر ص 285 و حلية الأبرار ج 1 ص 18. و شرح أصول الكافي ج 7 ص 147 و راجع كتاب: براءة آدم ص 41-45 و كتاب مختصر مفيد ج 8 ص 23-26 ففيهما أحاديث أخرى.
 - 2- راجع: البحار ج 15 ص 11 و 14 و 23 و 24 وج 22 ص 148 وج 25 ص 4 و 15 ص 24 وج 38 ص 80 وج 51 ص 144 عن إكمال الدين ص 162 و 163 و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص 335 وعن رياض الجنان (مخطوط) و راجع: الصراط المستقيم ج 2 ص 134 وإعلام الوری ج 2 ص 197 و راجع: معاني الأخبار ص 351 ومستدرک سفينة البحار ج 2 ص 169 ج 3 ص 164 وج 6 ص 482 و ينابيع المودة ج 1 ص 422 و منتخب الأنوار المضيئة للسيد بهاء الدين النجفي ص 345 و مشارق أنوار اليقين للبرسي ص 59 و علل الشرائع ج 1 ص 161 و 174 و كتاب سليم بن قيس (بتحقيق الأنصاري) ص 377 و مختصر بصائر الدرجات ص 176 و كتاب الغيبة للنعماني ص 91 و الروضة في فضائل أمير المؤمنين ص 112 و المختصر ص 128 و التفسير الصافي ج 1 ص 27.

و من خلال نبوته الخاتمة هذه، فإن الله سبحانه يطلعه على غيبه، ويكشف اللوح المحفوظ له «صلى الله عليه وآله»، ويكون بذلك قد علم بالقرآن قبل إنزاله إليه للتبليغ على يد جبرئيل «عليه السلام» . .

ولعل هذا يفسر لنا حقيقة أنه «صلى الله عليه وآله» حين كان ينزل عليه القرآن في المرة التالية، كان يسبق جبرئيل «عليه السلام» بالقراءة، ليشير لنا إلى معرفته به، فقد قال الله تعالى له: **وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ (1)** . .

وقال: **لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (2)** . .

أي أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يعرف القرآن قبل هذا النزول، إما باطلاعه على اللوح المحفوظ، أو بإيداع القرآن في قلبه سابقا بواسطة جبرئيل «عليه السلام»، أو بواسطة الوحي الإلهامي . .

فأراد الله سبحانه أن يعرف الناس بأن هذا النزول ليس هو النزول الأول، بل هو نزول اقتضته مصالح العباد في هدايتهم وإرشادهم، وفي تربيته بالصورة المناسبة لحالهم . .

النزول لأجل هداية الناس:

و حين يريد الله سبحانه أن يوصل القرآن إلى الناس، فإنه يستفاد من الروايات: أن ذلك كان يتم عبر إنزاله مرتين، فيكون له نزولان بالنسبة إليهم . .

ص: 30

1- الآية 114 من سورة طه.

2- الآيات 16-18 من سورة القيامة.

وهما نزول السورة بتمامها مرة واحدة أو أكثر. . و النزول التدريجي لها مرة ثانية. و سنورد بعض الشواهد لكلا هذين القسمين فيما يلي من صفحات، فنقول:

نزول السورة بتمامها:

فقد ورد في الروايات: أن سورة المائدة، والأنعام، ويونس، والتوبة، والكهف، وبضعا وثمانين آية من أول سورة آل عمران، و جميع سور المفصل. . بل أكثر سور القرآن، ربما باستثناء سورتين أو ثلاث-كالبقرة و آل عمران-إن جميع ذلك قد نزل سورة سورة. .

وقد قال تعالى في أول سورة النور: سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا. . مع أن الأحداث التي ذكرت سببا لنزول آياتها مختلفة و متفرقة. .

وقال تعالى أيضا: وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا (1). . فإنهم كانوا يقولون ذلك بمجرد فراغه «صلى الله عليه و آله»، من تلاوة القرآن عليهم، و لم يكن القائلون ينتظرون الأيام و الليالي، حتى إذا اكتمل نزول السورة التدريجي قالوا ذلك. .

بل إنه حتى حين كانت تنزل آيات السورتين أو الثلاث تدريجا، فإن المقصود هو أن تنزل بتمامها ضمن مدة شهر مثلا. . ثم تبدأ سورة أخرى بالنزول. .

و ليس المقصود أن ينزل بعض السورة، ثم ينزل بعض من غيرها، ثم

ص: 31

ينزل ما يكمل السورة الأولى مثلاً. . فإن هذا مما دلت النصوص على خلافه، خصوصاً تلك التي تقول: إنهم كانوا يعرفون انتهاء السورة وابتداء غيرها بنزول: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . .

لو كان لا بد من الانتظار:

نضيف إلى ما تقدم: أن السورة القرآنية كانت تؤخذ من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، و يكتبها الناس في مصاحفهم، و يحفظونها، و يقرؤونها في صلواتهم. . و كان النبي «صلى الله عليه وآله» يرشدهم إلى مواضع استحباب قراءتها. . وإلى كيفية القراءة، و أوقاتها، و حالاتها و مواردها. .

و كانت السور تعرف بأسمائها في عهده «صلى الله عليه وآله»، و يسافر بها أهل القبائل إلى منتجعاتهم، و أهل البلاد و القرى إلى بلادهم و قراهم. .

و لم يكونوا ينتظرون زيادة شيء فيها، و لا كانوا يسألون عن هذه الزيادة، كما أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يرسل إليهم طالبا منهم إضافة شيء إلى أية سورة كانوا قد حملوها عنه، و أخذوها منه. .

و لو أن الباب كان قد بقي مفتوحا على التبديل و التعديل، لكان علينا أن نشهد و أن نقرأ في التاريخ الكثير من موارد السؤال عن الزيادة أو الإخبار عنها، و بها لهذا الصحابي، و لذلك إلى حين وفاته «صلى الله عليه وآله». .

نزول السورة مرتين:

و كانت بعض السور التي تنزل دفعة واحدة كما قلنا، تنزل نفسها مرة أخرى دفعة واحدة أيضا. . كما هو الحال في سورة الإخلاص، التي نزلت في

ص: 32

مكة مرة، وفي المدينة أخرى، وكذلك سورة الفاتحة. . فقد نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلاة، ومرة بالمدينة لما حولت القبلة (1). .

نزول الآية أيضا مرتين:

وكما كانت السورة تنزل أكثر من مرة، كانت الآية تنزل أكثر من مرة أيضا. . وقد روي ذلك في العديد من الموارد، مثل خواتيم سورة النحل، وأول سورة الروم، وآية الروح، وقوله تعالى: **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ** (2). . فإن سورتي الإسراء و هود مكيتان، وسبب نزولهما يدل على أنهما نزلتا في المدينة. .

قال الزركشي: ولهذا أشكل ذلك على بعضهم، ولا إشكال، لأنها نزلت مرة بعد مرة (3). .

وقد صرحوا: بأن مما يدخل في هذا السياق: أنه قد تنزل الآية لأجل سبب بعينه، ثم يتجدد سبب آخر، فيقتضي نزولها مرة أخرى. .

ص: 33

1- راجع: الإتيان ج 1 ص 35، و الدر المنثور ج 1 في تفسير سورة الفاتحة و ج 6 في تفسير سورة الإخلاص، فإنه قد روى ذلك عن مصادر كثيرة. و راجع أيضا: شرح أصول الكافي لملا صالح المازندراني ج 1 ص 463 وفتح الباري ج 8 ص 121 و تحفة الأحوزي ج 8 ص 228 و مجمع البيان ج 1 ص 47 و البيان للسيد الخوئي ص 418.

2- الآية 114 من سورة هود.

3- البرهان للزركشي ج 1 ص 29 و الإتيان ج 1 ص 35 و (ط دار الفكر) ج 1 ص 104 و خلاصة عبقات الأنوار ج 8 ص 394.

وقد مثلوا لذلك: 1-بقوله تعالى: فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ (1). فقد زعموا-كذبا وزورا-: أنها نزلت في النبي «صلى الله عليه وآله» حينما غضب لتمثيل المشركين بعمه حمزة، فتوعدهم بالتمثيل بسبعين (أو بثلاثين) منهم (2).

ولعل الصحيح هو ما روي عن الإمام الحسن «عليه السلام» من أنه «صلى الله عليه وآله» قال: لأقتلن سبعين رجلا، قال «عليه السلام»: إنما أحب الله جل اسمه أن يجعل ذلك سنة في المسلمين، فإنه لو قتل بكل شعرة من عمه حمزة سبعين رجلا من المشركين، ما كان في قتله حرج (3).

وإذا أردنا أن نحسن الظن ههنا، فإننا نقول: لعل من قرأها قد قرأها على سبيل التصحيف «لأمثلن» لتقارب الرسم بين الكلمتين، وهذا كلام

ص: 34

1- الآية 126 من سورة النحل.

2- الإتيان ج 1 ص 33 و (ط دار الفكر) ج 1 ص 98 و المعجم الكبير ج 11 ص 52 و تخريج الأحاديث والآثار ج 2 ص 250 و لباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص 135 و (ط دار الكتب العلمية) ص 121 و الدر المنثور ج 4 ص 135 و أسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص 192 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 168 و الوافي بالوفيات ج 13 ص 104 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 208 و زاد المسير ج 4 ص 370 و سير أعلام النبلاء ج 1 ص 180 و أسد الغابة ج 2 ص 48 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 3 ص 14 و راجع: تفسير مقاتل بن سليمان ج 2 ص 244 و تفسير السمرقندي ج 2 ص 296 و الكامل في التاريخ ج 2 ص 161 و راجع: تفسير العياشي ج 2 ص 275 و تفسير القمي ج 1 ص 123.

3- البحار ج 78 ص 395 و مستدرک الوسائل ج 2 ص 257 و جامع أحاديث الشيعة ج 3 ص 309 و راجع: تفسير نور الثقلين ج 3 ص 96 و الهداية الكبرى للخصيبي ص 346.

صحيح في نفسه، وليس فيه إشكال. وإن كان ذلك بعيدا، فإن الظاهر: أنهم في أكثر الموارد قد تناقلوها على سبيل الرواية، لا قراءة من كتاب.

ونزلت أيضا في الأنصار في حرب أحد، لنفس السبب (1).

2- مثلوا له أيضا بقوله تعالى: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ (2).

فزعموا-كذبا وزورا-: أنها نزلت في استغفار النبي «صلى الله عليه وآله» لأبي طالب «عليه السلام» (3).

ص: 35

1- الإتيان ج 1 ص 33 و السنن الكبرى للنسائي ج 6 ص 376 و مسند أحمد ج 5 ص 135 و سنن الترمذي ج 4 ص 362 و المستدرك للحاكم ج 2 ص 359 و ج 2 ص 446 و فتح الباري ج 7 ص 286 و المعجم الكبير ج 3 ص 144 و صحيح ابن حبان ج 2 ص 239 و موارد الظمان ج 5 ص 314 و كنز العمال ج 2 ص 451 و الدر المنثور ج 4 ص 135 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 223 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 210 و فتح القدير ج 3 ص 205.

2- الآية 113 من سورة التوبة.

3- مسند أحمد ج 5 ص 433 و صحيح البخاري ج 2 ص 98 و ج 5 ص 208 و ج 6 ص 18 و صحيح مسلم ج 1 ص 40 و سنن النسائي ج 4 ص 91 و المستدرك للحاكم ج 2 ص 336 و فتح الباري ج 8 ص 256 و عمدة القاري ج 8 ص 180 و ج 18 ص 276 و ج 19 ص 105 و تحفة الأخوذي ج 8 ص 394 و 401 و السنن الكبرى ج 1 ص 655 و ج 6 ص 359 و 425 و الإستهيعاب (ط دار الجيل) ج 1 ص 39 و صحيح ابن حبان ج 3 ص 262 و المحلى لابن حزم ج 11 ص 210 و تفسير القرآن للصنعاني ج 2 ص 289 و تخريج الأحاديث و الآثار ج 2 ص 105 و جامع البيان ج 11 ص 57 و ج 20 ص 113 و أسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص 228 و تفسير البغوي ج 2 ص 331 و أحكام القرآن لابن العربي ج 2 ص 591 و زاد المسير ج 3 ص 345 و الجامع لأحكام القرآن ج 8 ص 272 و تفسير القرآن العظيم ج 2 ص 407 و ج 3 ص 406 و لباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص 126 و (ط دار الكتب العلمية) ص 113 و فتح القدير ج 2 ص 411 و تفسير الألوسي ج 11 ص 33 و تاريخ مدينة دمشق ج 14 ص 422 و ج 41 ص 231 و ج 58 ص 181 و 182 و 183 و ج 66 ص 332 و الإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج 7 ص 199 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 1 ص 230 و البداية و النهاية ج 3 ص 153 و عيون الأثر ج 1 ص 172 و السيرة النبوية لابن كثير ج 2 ص 126.

وزعموا-كذبا وزورا أيضا-: أنها نزلت في والدته رسول الله «صلى الله عليه وآله» (1).

وزعموا كذلك: أنها نزلت في رجل استغفر لأبويه، كما رواه الترمذي (2).

ص: 36

1- فتح الباري ج 8 ص 390 و جامع البيان ج 11 ص 58 و تفسير الثعلبي ج 5 ص 100 و معاني القرآن للنحاس ج 3 ص 260 و تفسير البغوي ج 2 ص 331 و لباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص 127 و (ط دار الكتب العلمية) ص 114 و تفسير أبي السعود ج 4 ص 107.

2- مسند أحمد ج 1 ص 99 و 130 و سنن الترمذي ج 4 ص 344 و تخريج الأحاديث والآثار ج 2 ص 106 و عمدة القاري ج 8 ص 182 و كنز العمال ج 2 ص 421 و تفسير ابن أبي حاتم ج 6 ص 1893 و تفسير السمرقندي ج 2 ص 90 و تفسير القرآن العظيم ج 2 ص 407 و الإتقان في علوم القرآن ج 1 ص 98 و الدر المنثور ج 3 ص 282 و لباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص 126 و (ط دار الكتب العلمية) ص 113 و فتح القدير ج 2 ص 411.

غير أن ما يهمنا هنا هو تصريحهم بأن الآية و السورة قد تنزل أكثر من مرة لأسباب مختلفة. .

3-قالوا: إن آية بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قد نزلت مرتين أيضا: مرة في مكة، و مرة في المدينة (1).. .

4-قالوا: إن سورة الفاتحة نزلت مرتين أيضا: مرة في مكة، و مرة في المدينة (2).. .

5-احتمل سبط ابن الجوزي، وغيره: أن آية: الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ .. قد نزلت مرتين: في عرفة، و في غدير خم (3).. .

6-قالوا: إن آية: تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ قد نزلت مرتين، كما نقله الحافظ ابن حجر (4).. .

ص: 37

1- راجع: تذكرة الخواص ص 30.

2- راجع: عمدة القاري ج 19 ص 11 و تفسير مجمع البيان للطبرسي ج 1 ص 47 و ج 6 ص 129 و شرح أصول الكافي ج 10 ص 463 و تحفة الأحوذى ج 8 ص 228 و تفسير البغوي ج 1 ص 37 و تفسير السمعاني ج 1 ص 31 و تفسير البغوي ج 3 ص 57 و زاد المسير ج 4 ص 303 و التفسير الكبير ج 19 ص 207 و تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 9 و الإتيان في علوم القرآن ج 1 ص 41 و 150 و البرهان للزركشي ج 1 ص 29 و فتح القدير ج 1 ص 15 و تفسير الآلوسي ج 1 ص 38 و ج 14 ص 79.

3- تذكرة الخواص ص 30 و شرح أصول الكافي لملا صالح المازندراني ج 11 ص 278 و خلاصة عبقات الأنوار ج 8 ص 301.

4- تفسير الميزان ج 3 ص 267 و تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 379.

7-قالوا: إن آية: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا قد نزلت مرتين (1).

8-قالوا: إن آية: أَلَمْ غُلِبَتِ الرُّومُ قد نزلت مرتين (2).

9-قالوا: إن آية: . . تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ قد نزلت مرتين (3).

10-قالوا أيضا: إن آية اللعان قد تكون نزلت مرتين (4).

11-وقالوا أيضا عن آية الجزية: إنها يحتمل أن تكون قد نزلت مرتين (5).

12-وقالوا ذلك أيضا عن خواتيم سورة النحل (6).

13-وقالوا: إن سورة الحجر نزلت مرتين (7).

14-وقالوا: إن سورة الأنعام نزلت مرتين أيضا (8).

15-وقالوا: إن سورة الكوثر نزلت مرتين (9).

ص: 38

1- تفسير الألوسي ج 15 ص 153 و تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 379.

2- تفسير الألوسي ج 21 ص 19.

3- جامع البيان للطبري ج 7 ص 177.

4- لباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص 15 و (ط دار الكتب العلمية) ص 5.

5- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج 1 ص 379.

6- تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 379.

7- راجع: فتح الباري ج 8 ص 121.

8- راجع: تفسير الألوسي ج 7 ص 76.

9- راجع: تفسير الألوسي ج 30 ص 244.

النزول التدريجي للآيات:

وقد ذكر الله سبحانه نزول آيات القرآن بصورة تدريجية في قوله تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (2).

وقال تعالى: وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (3).

فإنه وإن كان نزول القرآن سورة سورة يكفي في صحة القول بأنه «صلى الله عليه وآله» كان يقرؤه على مكث، وبأن الله تعالى قد فرقه، وبأنه لم ينزل جملة واحدة.

ولكن الظاهر من الروايات المتواترة أن آياته كانت تنزل أيضا متفرقة، وفق ما يستجد من أحداث.

وذلك بعد أن تنزل السورة بكاملها أولا.

ونذكر من الشواهد على ذلك، ما يلي:

شواهد وأدلة:

ألف: إن سورة الأنعام قد نزلت جملة واحدة بمكة، وقد شيعها سبعون

ص: 39

1- راجع: الفتوحات المكية لابن العربي ج 2 ص 507.

2- الآية 32 من سورة الفرقان.

3- الآية 106 من سورة الإسراء.

و الروايات تقول أيضا: إن آيات هذه السورة قد نزلت في مناسبات مختلفة، ونذكر من ذلك على سبيل المثال ما يلي:

1-عن ابن إسحاق، قال: مر رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيما بلغني بالوليد بن المغيرة، وأمّية بن خلف، وأبي جهل بن هشام، فهمزوه واستهزؤوا به، فغاضه ذلك، فأنزل الله: وَلَقَدْ أُسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ

ص: 40

1- راجع: الكافي ج 2 ص 622 و ثواب الأعمال الصدوق ص 105 و شرح أصول الكافي ج 11 ص 63 و الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج 6 ص 230 و (ط دار الإسلامية) ج 4 ص 873 و المصباح للكفعمي ص 441 و البحار ج 89 ص 274 و 275 و مستدرك سفينة البحار ج 8 ص 471 و التفسير الأصفي ج 1 ص 357 و تفسير العياشي ج 1 ص 354 و 383 و تفسير مجمع البيان للطبرسي ج 4 ص 6 و 306 و تفسير نور الثقلين ج 1 ص 696 و 778 و ج 3 ص 241 و التفسير الصافي ج 2 ص 178 و جامع أحاديث الشيعة ج 15 ص 94 و البرهان للزركشي ج 1 ص 199 و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 1 ص 419 و الدر المنثور ج 3 ص 2 و 3 و 4 و التفسير الكبير للرازي ج 12 ص 141 و الإتقان ج 1 ص 37 و (ط دار الفكر) ج 1 ص 111 عن ابن الضريس، وأبي عبيدة وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، والحاكم، وأبي الشيخ، والبيهقي في شعب الإيمان، والسلفي في الطيوريات، والإسماعيلي في معجمه، والخطيب في تاريخه، وعبد الرزاق، والفريابي، وعبد بن حميد، وغيرهم، عن ابن عباس، وابن مسعود، وأسماء بنت يزيد الأنصارية، وابن عمر، وأنس، وجابر، وعن الإمام علي «عليه السلام»، وعن أبي بن كعب، ومجاهد، ومحمد بن المكندر، وعطاء، وغيرهم.

فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (1) « (2) .

2-عن ابن إسحاق، قال: لما دعا الرسول «صلى الله عليه وآله» قومه للإسلام، قال له زمعة بن الأسود، والنضر بن الحارث، وعبد بن عبد يغوث، وأبي بن خلف، والعاص بن وائل: لو جعل معك يا محمد ملك يحدث عنك الناس، ويرى معك. فأنزل الله في ذلك من قولهم: وَ قَالُوا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ (3) « (4) .

3-عن الإمام علي «عليه السلام» قال: قال أبو جهل للنبي «صلى الله عليه وآله»: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله: فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (5) « (6) .

ص: 41

1- الآية 41 من سورة الأنبياء.

2- الدر المنثور ج 3 ص 5 عن ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وفتح القدير ج 2 ص 102 و البداية و النهاية ج 3 ص 130 و السيرة النبوية لابن هشام ج 1 ص 266 و السيرة النبوية لابن كثير ج 2 ص 85.

3- الآية 8 من سورة الأنعام.

4- الدر المنثور ج 3 ص 5 عن ابن المنذر و ابن أبي حاتم، و تفسير ابن أبي حاتم ج 4 ص 1265 و فتح القدير ج 2 ص 102 و تفسير الآلوسي ج 7 ص 96 و السيرة النبوية لابن هشام ج 1 ص 266.

5- الآية 33 من سورة الأنعام.

6- الدر المنثور ج 3 ص 9 و 10 عن الترمذي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والحاكم وصححه، والضياء في المختارة وابن مردويه. وعن أبي ميسرة كما رواه عبد بن حميد، و ابن المنذر و ابن مردويه، و سنن الترمذي ج 4 ص 326 و المستدرک للحاكم ج 2 ص 315 و معاني القرآن للنحاس ج 2 ص 417 و 418 و تفسير الثعلبي ج 4 ص 145 و تفسير القرآن العظيم ج 2 ص 134 و تفسير البيضاوي ج 2 ص 404 و لباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص 100 و (ط دار الكتب العلمية) ص 88 و الجامع لأحكام القرآن ج 6 ص 416 و زاد المسير ج 3 ص 21 و تفسير النسفي ج 1 ص 320 و تفسير البغوي ج 2 ص 94 و أسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص 145 و كنز العمال ج 2 ص 409 و تفسير ابن أبي حاتم ج 4 ص 1282 و علل الدار قطني ج 4 ص 143 و 144 و الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ج 1 ص 30 و 134 و تفسير الآلوسي ج 7 ص 136 و فتح القدير ج 2 ص 113 و تفسير أبي السعود ج 3 ص 127 و جامع البيان ج 7 ص 240 و راجع: تفسير مجمع البيان للطبرسي ج 4 ص 43.

وعن أبي صالح قال: كان المشركون إذا رأوا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، قال بعضهم لبعض، فيما بينهم: إنه لنبي، فنزلت هذه الآية: قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ (1) (2).

4-عن ابن مسعود، قال: مر الملاء من قريش على النبي «صلى الله عليه

ص: 42

1- الآية 33 من سورة الأنعام.

2- الدر المنثور ج 3 ص 10 عن أبي الشيخ، وراجع: البحار ج 9 ص 202 و ج 18 ص 157 و 183 و ج 68 ص 60 و 87 و بشارة المصطفى للطبري ص 304 و تفسير السمرقندي ج 1 ص 465 و الكافي ج 2 ص 88 و الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج 15 ص 262 و (ط دار الإسلامية) ج 11 ص 207 و جامع أحاديث الشيعة ج 14 ص 249 و مشكاة الأنوار للطبرسي ص 62 و مستدرك سفينة البحار ج 6 ص 149 و نهج السعادة للمحمودي ج 7 ص 289 و تفسير القمي ج 1 ص 197 و التفسير الصافي ج 2 ص 117 و تفسير نور الثقلين ج 1 ص 711 و ج 4 ص 232 و ج 5 ص 117.

وآله» وعنده صهيب وعمار، وبلال، و خباب، ونحوهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد، أرضيت بهؤلاء. .

إلى أن قال: فأنزل الله فيهم القرآن: وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ . . إلى قوله: وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ (1) «(2) .

ولنا تساؤل حول ذكر صهيب، فقد وردت في ذمه روايات، قدمنا بعضها في بعض فصول هذا الكتاب (3).

وفي نص آخر عن عكرمة قال- ما ملخصه-: مشى عتبة وشيبة، وقرضة بن عبد عمرو وغيرهم إلى أبي طالب، و طلبوا منه أن يطرد أولئك الضعفاء من حوله. . وقال له عمر: لو فعلت يا رسول الله، حتى ننظر ما يريدون بقولهم، و ما يصيرون إليه من أمرهم، فأنزل الله: وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا . .

إلى أن قال: ونزلت في أئمة الكفر من قريش و الموالي و الحلفاء، وَكَذَلِكَ

ص: 43

1- الآيات 51-58 سورة الأنعام.

2- مسند أحمد ج 1 ص 420 و لباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص 101 و (ط دار الكتاب العلمية) ص 88 و الوافي بالوفيات ج 16 ص 196 و سير أعلام النبلاء للذهبي ج 2 ص 22 و تاريخ مدينة دمشق ج 24 ص 222 و فتح القدير ج 2 ص 121 و مجمع الزوائد ج 7 ص 21 و تفسير القرآن العظيم ج 2 ص 139 و الدر المنثور ج 3 ص 12 عن أحمد، و ابن جرير، و ابن أبي حاتم و الطبراني، و أبي الشيخ، و ابن مردويه، و أبي نعيم في الحلية.

3- راجع: قاموس الرجال للمحقق التستري، و تنقيح المقال للمحقق المماقاني، ترجمة صهيب.

فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا الْآيَةُ. فلما نزلت، أقبل عمر بن الخطاب فاعتذر من مقالته، فأنزل الله: وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَاءَ لَكُمْ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ. (1) (2).

ونحن وإن كنا نسجل العديد من الإشكالات على هذه الرواية أيضا، فإننا نقول:

إن ذلك لا يضر في ما نريد أن نثبتته، لأنها دلت على أنهم يرون أن الآيات كانت تنزل مرة ثانية بعد نزولها في ضمن سورتها التي نزلت دفعة واحدة.

5- عن خباب قال ما ملخصه: جاء الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، فوجدا النبي «صلى الله عليه وآله» قاعدا مع بلال وصهيب، وعمار وخباب، وغيرهم من ضعفاء المؤمنين. فخلوا بالنبي «صلى الله عليه وآله» أن يجعل لهم مجلسا منه لا يكون فيه أولئك، فأجابهم إلى ذلك، فقالوا: «فاكتب لنا عليك بذلك كتابا، فدعا بالصحيفة، ودعا عليا «عليه السلام» ليكتب، ونحن قعود في ناحية، إذ نزل جبرئيل بهذه الآية: وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ

ص: 44

1- الآية 54 من سورة الأنعام.

2- الدر المنثور ج 3 ص 13 عن ابن جرير، وابن المنذر، ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص 101 و (ط دار الكتاب العلمية) ص 89 و تفسير الألوسي ج 7 ص 159 و تفسير القرآن العظيم ج 2 ص 140 و تفسير السمرقندي ج 1 ص 471 و جامع البيان ج 7 ص 265 و راجع: تاريخ مدينة دمشق ج 43 ص 376 و ج 60 ص 156 و تذكرة الحفاظ للذهبي ج 2 ص 460 و تفسير الميزان ج 7 ص 109.

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ .. إلى قوله: فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ..

فالتقى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الصحيفة من يده، ثم دعانا، وهو يقول: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ .. فكنا نقعد معه، فإذا أراد أن يقوم، قام وتركنا. فأنزل الله: وَإِصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ (1) .

قال: فكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقعد معنا بعد، فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم. .

وهذا معناه: أن الآية قد نزلت مرة أخرى في المدينة (2) . بعد أن كانت قد نزلت في ضمن السورة التي نزلت دفعة واحدة، غير أننا نشك في صحة هذه الرواية أيضا لأسباب كثيرة، منها: أنها تذكر أن النبي «صلى الله عليه

ص: 45

1- الآية 28 من سورة الكهف.

2- الدر المنثور ج 3 ص 13 عن ابن أبي شيبة، وأبي يعلى، وابن ماجة، وأبي نعيم في الحلية، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، و أبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل، والمعجم الكبير ج 4 ص 76 و 438 و جامع البيان ج 7 ص 263 و تخريج الأحاديث و الآثار ج 1 ص 438 و الجامع لأحكام القرآن ج 6 ص 432 زاد المسير ج 3 ص 32 و تفسير البغوي ج 2 ص 99 و تفسير الثعلبي ج 4 ص 149 و تاريخ مدينة دمشق ج 10 ص 447 و ج 24 ص 223 و ج 34 ص 230 و البداية و النهاية ج 6 ص 64 و راجع: البحار ج 22 ص 33 و سنن ابن ماجة ج 2 ص 1382 و المصنف لابن أبي شيبة ج 7 ص 564 و تفسير ابن أبي حاتم ج 4 ص 1297.

وآله» أراد أن يكتب كتابا بأمر يرفضه دينه وعقله، ووجد أنه يظلم به بعض الناس لا لشيء إلا لكونهم ضعفاء، وفقراء، ومؤمنين. لصالح أناس ظالمين، و منحرفين، و مشركين.

ومنها: ذكره لبعض من لا تنطبق عليه الآية، إذ لم يكونوا ممن يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه.

و ثمة إشكالات أخرى على هذه الرواية أيضا. .

وفي نص آخر: عن عمر بن عبد الله بن المهاجر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان أكثر ما يصلي نافلته عند اسطوان التوبة. و كان إذا صلى الصبح انصرف إليها وقد سبق إليها الضعفاء والمساكين والضيغان، والمؤلفة قلوبهم وغيرهم؛ فيتحلقون حول النبي «صلى الله عليه وآله» حلقا بعضها دون بعض. فينصرف إليهم ويتلو عليهم ما أنزل الله عليه في ليلته، ويحدثهم، حتى إذا طلعت الشمس جاء أهل الطول والشرف والغنى، فلا يجدون إليه مخلصا. فتاقت أنفسهم إليه، و تاقت نفسه إليهم، فأنزل الله: **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ**. إلى منتهى الآيتين. .

فلما نزل ذلك فيهم قالوا له: لو طردتهم عنا و نكون من جلساءك وإخوانك ولا نفارقك، فأنزل الله: **وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ** (1). .

و هذا معناه: أن الآية قد نزلت في المدينة، و سورة الأنعام قد نزلت

ص: 46

1- الدر المنثور ج 3 ص 13 عن الزبير بن بكار في أخبار المدينة، و خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ج 1 ص 116.

وعن سعد بن أبي وقاص، قال: نزلت هذه الآية في ستة: أنا وعبد الله بن مسعود، وبلال، ورجل من هذيل، واثنين، قالوا: يا رسول الله، اطردهم، فإننا نستحي أن نكون تبعاً لهؤلاء، فوقع في نفس النبي «صلى الله عليه وآله» ما شاء الله أن يقع، فأنزل الله: وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِلَى قَوْلِهِ: أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (1). .

علماً بأننا لا نصدق دعوى سعد بن أبي وقاص: أنه كان في جملة من نزلت الآية فيهم، لأن ممارسات و مواقف هؤلاء لا تتلاءم مع مضمون الآية الكريمة، يضاف إلى ذلك: أن تصريح الرواية بأنه قد وقع طلب المشركين في نفس النبي «صلى الله عليه وآله» لا شك في أنه مكذوب على رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

وهناك روايات عديدة أخرى كلها تصب في هذا الاتجاه (2). .

6-عن ماهان قال: أتى قوم إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ، فقالوا: إنا

ص: 47

-
- 1- الدر المنثور ج 3 ص 13 عن الفريابي، وأحمد، وعبد بن حميد، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والحاكم، وأبي نعيم في الحلية، والبيهقي في الدلائل، وتفسير ابن أبي حاتم ج 4 ص 1296 ومعاني القرآن للنحاس ج 2 ص 429 وأسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص 146.
 - 2- راجع ما رواه في الدر المنثور ج 3 ص 13 و 14 عن مجاهد، والربيع بن أنس. ورواها عن ابن عساكر، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن جرير، فراجع. .

أصبنا ذنوبا عظاما، فما رد عليهم شيئا، فانصرفوا، فأنزل الله: وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا . فدعاهم، فقرأها عليهم (1).

7-عن زيد بن أسلم، قال: لما نزلت: قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا (2). قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيوف. .

فقالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله؟! . .

قال: نعم.

فقال بعض الناس: لا يكون هذا أبدا.

فأنزل الله: أَنْظِرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ (3) (4).

8-عن ابن جريج قال ما ملخصه: كان المشركون يجلسون إلى النبي

ص: 48

1- الدر المنثور ج 3 ص 14 عن الفريابي، وعبد بن حميد، ومسدد في مسنده، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، و تفسير الثوري ص 107 و جامع البيان ج 7 ص 271 و تفسير ابن أبي حاتم ج 4 ص 1300 و أسباب نزول الآيات ص 147 و تفسير السمرقندي ج 1 ص 472 و لباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص 102 و (ط دار الكتب العلمية) ص 89 و فتح القدير ج 2 ص 121.

2- الآية 65 سورة الأنعام.

3- الآيتان 65 و 66 من سورة الأنعام.

4- الدر المنثور ج 3 ص 20 عن ابن جرير، وابن المنذر، و جامع البيان ج 7 ص 294 و تفسير ابن أبي حاتم ج 4 ص 1312 و تفسير القرآن العظيم ج 2 ص 148 و لباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص 102 و (ط دار الكتب العلمية) ص 90.

«صلى الله عليه وآله»، فإذا سمعوا منه استهزؤوا، فنزلت: وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ (1). فجعلوا إذا استهزؤوا قام، فحذروا، وقالوا: لا تستهزؤوا فيقوم، فذلك قوله: لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَنْ يَخُوضُوا فيقوم. ونزل: فَلَا تَقْعُدُوا بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ (2) (3).

9- عن ابن عباس في حديث.. : «قالت اليهود: يا محمد، أنزل الله عليك كتابا؟!

قال: نعم.

قالوا: والله، ما أنزل الله من السماء كتابا.

فأنزل الله: قُلْ يَا مُحَمَّد، مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى (4). « (5).

ص: 49

1- الآية 68 سورة الأنعام.

2- الآيتان 68 و 69 سورة الأنعام.

3- الدر المنثور ج 3 ص 20 و 21 عن ابن جرير، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وراجع ما رواه في الدر المنثور ج 3 ص 21 عن أبي الشيخ عن مقاتل، وجامع البيان ج 7 ص 298 و 299 و تفسير الميزان ج 7 ص 153.

4- الآية 91 من سورة الأنعام.

5- الدر المنثور ج 3 ص 29 عن ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبحار ج 9 ص 89 و تفسير ابن أبي حاتم ج 4 ص 1341 و 1342 و تفسير البغوي ج 2 ص 114 و فتح القدير ج 2 ص 141 و زاد المسير ج 3 ص 57 و أسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص 147 و تفسير الثعلبي ج 4 ص 168 و جامع البيان ج 7 ص 348 و تفسير الميزان ج 7 ص 304 و تفسير مجمع البيان ج 4 ص 108.

و واضح: أن التعاطي مع اليهود و الاحتجاج عليهم، إنما كان في المدينة بعد الهجرة، مع ملاحظة أن للآية مناسبة خاصة نزلت فيها، مما يدل على أن هذا قد كان نزولاً آخر لها غير نزولها في ضمن السورة .

10- وفي نص آخر، عن سعيد بن جبیر: أنها نزلت في مالك بن الصیف حينما ناشده النبي «صلى الله عليه وآله» هل يجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين؟!، فغضب. (و كان حبراً سميناً) فأنكر، وقال: و الله ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال له أصحابه: ويحك، و لا على موسى؟ .

قال: ما أنزل الله على بشر من شيء، فأنزل الله: وَ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ (1) «(2)» .

11- و عن محمد بن كعب القرظي: جاء ناس من اليهود إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، و هو محتب. فقالوا: يا أبا القاسم، ألا تأتينا بكتاب من السماء، كما جاء به موسى ألواحاً؟! ..

فأنزل الله: يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ (3) .

فجثا رجل من اليهود، فقال: ما أنزل الله عليك، و لا على موسى، و لا على عيسى، و لا على أحد شيئاً.

ص: 50

1- الآية 91 من سورة الأنعام.

2- الدر المنثور ج 3 ص 29 عن ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم، و تخريج الأحاديث و الآثار ج 1 ص 443 و راجع: تفسير الثعالبي ج 2 ص 492 و أسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص 147.

3- الآية 153 من سورة النساء.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ: وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ «(1)» .

وهناك رواية أخرى عن محمد بن كعب في شأن نزول هذه الآية، فراجع..

والكلام فيها كالكلام السابق، وهي أن مناقشاته «صلى الله عليه وآله»، مع اليهود قد كانت في المدينة لا في مكة. وأنه حتى لو كان ذلك قد حصل في مكة، فهو أيضا يدل على أن للآية نزولا آخر غير نزولها في ضمن السورة (2).

12- قد نزلت آية: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ (3). في عبد الله بن سعد بن أبي سرح. الذي كان يكتب القرآن لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ثم فر إلى مكة فسأله عن ذلك، فادّعى أنه كان يكتب كيف شاء (4).

ص: 51

1- الدر المنثور ج 3 ص 29 عن ابن جرير، و جامع البيان ج 7 ص 348 و تفسير الثعلبي ج 4 ص 168 و سبل الهدى و الرشاد ج 3 ص 401.

2- الدر المنثور ج 3 ص 29 عن أبي الشيخ، و أسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص 147.

3- الآية 93 من سورة الأنعام.

4- راجع: الدر المنثور ج 3 ص 30 عن الحاكم في المستدرک، و عن ابن أبي حاتم، عن شر حبيب بن سعد، و عن السدي، و البحار ج 22 ص 34 و البحار ج 89 ص 35 و تخريج الأحاديث و الآثار ج 1 ص 444 و الفتح السماوي للمناوي ج 2 ص 613 و تفسير القمي ج 1 ص 210 و التبيان ج 4 ص 202 و تفسير نور الثقلين ج 1 ص 745 و تفسير مقاتل بن سليمان ج 1 ص 335 و جامع البيان ج 7 ص 354 و 355 و تفسير ابن أبي حاتم ج 4 ص 1346 و معاني القرآن للنحاس ج 2 ص 458 و تفسير السمعاني ج 2 ص 126 و أسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص 148 و لباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص 103 و (ط دار الكتاب العلمية) ص 90 و فتح القدير ج 2 ص 141 و تفسير الألوسي ج 7 ص 222 و الإصابة (ط دار الكتاب العلمية) ج 1 ص 562.

وفي نصوص أخرى أنها نزلت في مسيلمة الكذاب (1) . .

وربما يحمل ذلك على تعدد نزولها.

وفي جميع الأحوال نقول: إن ذلك إنما كان في المدينة بعد الهجرة، فهو نزول آخر للآية، حسبما ألمحنا إليه. .

13- وتذكر بعض الروايات: أن آية: وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ

ص: 52

1- راجع: الدر المنثور ج 3 ص 30 عن عبد بن حميد وابن المنذر، وابن جرير، وأبي الشيخ عن ابن جريج، وقتادة، وعكرمة، وجامع البيان للطبري ج 7 ص 354 وتفسير ابن أبي حاتم ج 4 ص 1346 وتفسير السمرقندي ج 1 ص 487 وج 2 ص 108 وتفسير الثعلبي ج 4 ص 169 وتفسير ابن زمنين ج 2 ص 84 ومعاني القرآن للنحاس ج 2 ص 458 وتفسير مقاتل بن سليمان ج 1 ص 335 والبحار ج 22 ص 34 والتبيان للطوسي ج 4 ص 202 وتفسير جوامع الجامع للطبرسي ج 1 ص 593 وتفسير النسفي ج 1 ص 335 وتفسير العز بن عبد السلام ج 1 ص 450 وزاد المسير ج 3 ص 59 وتفسير البغوي ج 2 ص 115 وتفسير الواحدي ج 1 ص 365 وأسباب نزول الآيات ص 148 وتفسير القرطبي ج 7 ص 39 وتفسير القرآن العظيم ج 2 ص 162 والإتقان في علوم القرآن ج 1 ص 47 ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص 103 و (ط دار الكتاب العلمية) ص 90 وفتح القدير ج 2 ص 141 وتفسير الآلوسي ج 7 ص 222 وتاريخ المدينة لابن شبة ج 2 ص 574.

دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ (1) . . قد نزلت حين مشى قريش إلى أبي طالب «عليه السلام» ، و كلمته في أمر ابن أخيه، ثم طلبوا منه أن يكف عن شتم آلهم، وإلا فسوف يشتمونه، ويشتمون من أمره (2) . .

و هذا معناه: أن للآية مناسباتها الخاصة التي أوجبت نزولها فيها أيضا.

يضاف إلى نزولها في ضمن السورة.

14- قالوا: إن آية: وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ . . إلى قوله: يَجْهَلُونَ (3) . .

قد نزلت حين طلب المشركون من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يجعل لهم الصفا ذهابا . .

و الكلام في هذا المورد كالكلام في سابقه (4) . .

15- عن ابن عباس، قال: جاءت اليهود إلى النبي «صلى الله عليه وآله»

ص: 53

1- الآية 108 من سورة الأنعام.

2- الدر المنثور ج 3 ص 38 عن ابن أبي حاتم، و جامع البيان ج 7 ص 404 و تفسير ابن أبي حاتم ج 4 ص 1367 و المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج 2 ص 332 و تفسير القرطبي ج 7 ص 61 و تفسير الثعالبي ج 2 ص 505 و تفسير القرآن العظيم ج 2 ص 169 و تفسير البحر المحيط ج 4 ص 201 و السيرة الحلبية ج 2 ص 45.

3- الآيات 109-111 من سورة الأنعام.

4- الدر المنثور ج 3 ص 39 عن ابن جرير، و راجع ما رواه أيضا عن أبي الشيخ. و ما أخرجه أيضا في نفس الموضع عن ابن أبي شيبه، و عبد بن حميد، و ابن المنذر، و أبي الشيخ، و ابن أبي حاتم، و المناقب لابن شهر آشوب ج 1 ص 50 و البحار ج 9 ص 91 و ج 18 ص 202 و أسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص 150 و تفسير البغوي ج 2 ص 122 و تفسير القرآن العظيم ج 2 ص 170 و لباب النقول (ط) دار إحياء العلوم) ص 103 و (ط دار الكتب العلمية) ص 91.

وآله» ، فقالوا: نأكل مما قتلنا ولا- نأكل مما يقتل الله، فأنزل الله: فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ . إلى قوله: وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (1) (2).

وثمة روايات عديدة أخرى بهذه المضامين (3) .

16- وقال ابن جريج: إن آية: إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (4) . نزلت في ثابت بن قيس بن شماس .

وذلك يعني: أنها قد نزلت في المدينة . وأن لها نزولا آخر غير نزولها في ضمن السورة (5).

ص: 54

1- الآيات 118-121 من سورة الأنعام.

2- الدر المنثور ج 3 ص 41 و 42 عن أبي داود و الترمذي و حسنه، و البزار و ابن جرير، و ابن المنذر، و رواه ابن أبي حاتم، و أبو الشيخ، و ابن مردويه، و الفريابي، و ابن أبي شيبة، و عبد بن حميد، و أبو داود، و ابن ماجة، و الحاكم و صححه، و النحاس و الطبراني، و البيهقي في سننه . و في نص آخر ج 3 ص 42 عن الضحاك، أن المشركين قالوا ذلك. روى ذلك أبو الشيخ، و عبد بن حميد، و ابن جرير و الطبراني، و ابن مردويه، و أبو داود، و تفسير الآلوسي ج 8 ص 13 و سنن أبي داود ج 1 ص 644 و فتح الباري ج 9 ص 538 و تحفة الأحوذ ج 8 ص 353 و التمهيد لابن عبد البر ج 22 ص 301 و الجامع لأحكام القرآن ج 7 ص 74 و تفسير القرآن العظيم ج 2 ص 177 و فتح القدير ج 2 ص 157 و سبل الهدى و الرشاد ج 9 ص 308.

3- راجع الدر المنثور ج 3 ص 42 عن مصادر كثيرة.

4- الآية 141 سورة الأنعام.

5- الدر المنثور ج 3 ص 49 عن ابن جرير و ابن أبي حاتم، و جامع البيان ج 8 ص 81 و تفسير الثعلبي ج 4 ص 198 و تفسير القرآن العظيم ج 2 ص 189 و تفسير البغوي ج 2 ص 136 و فتح القدير ج 2 ص 170 و تفسير الثوري ص 110 و تفسير السمعاني ج 2 ص 150 و زاد المسير ج 3 ص 93.

ب-وقد ذكروا: أن سورة الكهف قد نزلت بمكة (1).

وعن أنس عن النبي «صلى الله عليه وآله»: قال: نزلت سورة الكهف جملة، معها سبعون ألفاً من الملائكة (2).

وذكروا: أن قريشا بعثت النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى يهود المدينة في أمره «صلى الله عليه وآله»، فقالوا لهم: أسألوه عن ثلاث

ص: 55

1- الدر المنثور ج 4 ص 205 عن ابن مردويه، والنحاس في ناسخه، والإتقان ج 1 ص 37 و 38. وراجع: البرهان للزركشي ج 1 ص 30 و سعد السعود ص 288 و نيل الأوطار ج 8 ص 193 و تفسير مقاتل بن سليمان ج 2 ص 278 و معاني القرآن للنحاس ج 4 ص 209 و 211 و تفسير الثعلبي ج 6 ص 144 و تفسير السمرقندي ج 2 ص 334 و جامع البيان ج 15 ص 237 و الغدير ج 1 ص 256 و فتح الباري ج 5 ص 245 و ج 9 ص 37 و عمدة القاري ج 14 ص 7 و ج 19 ص 36 و تحفة الأحوزي ج 8 ص 467 و تفسير القمي ج 2 ص 30 و التبيان للطوسي ج 7 ص 3 و تفسير جوامع الجامع ج 2 ص 401 و تفسير مجمع البيان ج 6 ص 306 و التفسير الصافي ج 3 ص 230.

2- الدر المنثور ج 4 ص 210 عن الديلمي في مسند الفردوس و الإتقان ج 1، و كنز العمال ج 1 ص 578 و تفسير الألوسي ج 15 ص 199 و كشف الخفاء للعجلوني ج 2 ص 327 و راجع: المصباح للكفعمي ص 441 و تفسير مجمع البيان ج 6 ص 306 و تفسير نور الثقلين ج 3 ص 241 و تفسير الثعلبي ج 6 ص 144 و التفسير الكبير للرازي ج 21 ص 73.

مسائل، فإن أخبركم فهو نبي، والأسئلة هي عن أهل الكهف، وعن ذي القرنين، وعن الروح، فرجعوا إلى مكة وسألوه عن هذه المسائل، فجاء جبرئيل «عليه السلام» بسورة الكهف بعد خمسة عشر (أو أربعين) يوماً (1).

وبعد أن اتضح: أن سورة الكهف قد نزلت جملة واحدة، نقول:

إن الروايات تذكر: أن عدداً من آياتها قد نزل في مناسبات مختلفة أيضاً، فمنها على سبيل المثال ما يلي:

1- أخرج ابن مردويه، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في شعب الإيمان عن سلمان: أن قوله تعالى: وَأُتِلْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ. إلى قوله: .. إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً (2). قد نزل حينما جاء المؤلف قلوبهم، وهم: عينية بن بدر، والأقرع بن حابس، إلى النبي «صلى الله عليه وآله» واشتروطوا عليه لكي يجالسوه هم ويحادثوه، يأخذوا عنه، أن يجلس في صدر المجلس، وأن يبعد الفقراء عنه؛ لأنهم كانوا يلبسون جباب الصوف-

ص: 56

-
- 1- الدر المنثور ج 4 ص 210 عن أبي نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل، وابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر. وراجع: والبحار ج 18 ص 245 و ج 56 ص 313 و تفسير السمرقندي ج 3 ص 567 و زاد المسير ج 5 ص 89 و 174 و تفسير الكبير للرازي ج 21 ص 238 و الجامع لأحكام القرآن ج 11 ص 128 و تفسير البيضاوي ج 4 ص 25 و التسهيل لعلوم التنزيل ج 2 ص 186 و تفسير البحر المحيط ج 6 ص 111 و تفسير القرآن العظيم ج 3 ص 83 و تفسير الثعالبي ج 3 ص 506 و تفسير أبي السعود ج 5 ص 273 و تفسير الآلوسي ج 15 ص 247.
- 2- الآيتان 27-29 سورة الكهف.

يعنون سلمان و أباذر (1). .

وفي نص آخر: عن سلمان: نزلت هذه الآية فيّ وفي رجل دخل على النبي «صلى الله عليه وآله» و معي شيء من خوص، فوضع مرفقه في صدري وقال: تنح حتى ألقاني على البساط، ثم قال: يا محمد إنا ليمنعنا من كثير من أمرك هذا وضرباؤه، أن ترى لي قدما و سوادا، فلو نحيثهم إذا دخلنا عليك، فإذا خرجنا أذنت لهم إذا شئت، فلما خرج أنزل الله: **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ** . -إلى قوله- **وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا** (2). .

و من الواضح: أن سلمان قد أسلم في المدينة، فالآيات قد نزلت هناك أيضا، بالإضافة إلى نزولها السابق في ضمن السورة. .

وإن كنا لا نؤيد صحة هذه الروايات لأسباب عديدة، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يمكن أن يرضى بشروط العتاة من المشركين، لأنها شروط يأبأها العقل والشرع والوجدان الإنساني، أو تنفر منها الفطرة السليمة، و تخدش في عصمته «صلى الله عليه وآله» .

يضاف إلى ذلك: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن ليسكت عن

ص: 57

1- الدر المنثور ج 4 ص 219، و جامع البيان ج 15 ص 294 و 314 و البحار ج 69 ص 2 و التفسير الصافي ج 3 ص 240 و تفسير الميزان ج 13 ص 305 و أسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص 201 و زاد المسير ج 5 ص 93 و الجامع لأحكام القرآن ج 10 ص 390 و فتح القدير ج 3 ص 283 و تفسير الألوسي ج 15 ص 262 و الفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم ج 2 ص 339 و تاريخ مدينة دمشق ج 21 ص 405.

2- الدر المنثور ج 4 ص 219 عن عبد بن حميد.

ذلك الرجل الذي اعتدى على سلمان، فالفاه على البساط.

كما أنه لم يكن ليسكت عن إجابة ذلك الرجل حتى خرج.

2-رووا: أن قوله تعالى: وَلَا تُطْعَمَنْ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا (1). .

نزلت في أمية بن خلف، وذلك أنه دعا النبي «صلى الله عليه وآله» إلى أمر كرهه، من طرد الفقراء و تقريب صناديد أهل مكة (2). .

وروا أيضا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» تصدى لأمية بن خلف وهو ساه غافل عما يقال له: فأنزل الله: وَلَا تُطْعَمَنْ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ « (3).

3-رووا: أن قوله تعالى: وَلَا تُطْعَمَنْ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا . . قد نزل في عيينة بن حصن. قال للنبي «صلى الله عليه وآله» قبل أن يسلم: لقد أذاني ريح سلمان الفارسي الخ. (4).

و الكلام في هذا المورد ظاهر، فإننا سواء أقلنا بتكرار نزول الآية، أو

ص: 58

1- الآية 28 من سورة الكهف.

2- الدر المنثور ج 4 ص 220 عن ابن مردويه، وأسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص 202 و الجامع لأحكام القرآن ج 10 ص 392 و زاد المسير ج 5 ص 93 و لباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص 144 و (ط دار الكتب العلمية) ص 130 و فتح القدير ج 3 ص 283 و تفسير البغوي ج 3 ص 159 و تفسير الثعلبي ج 6 ص 166 و تفسير الميزان ج 13 ص 305.

3- الدر المنثور ج 4 ص 220 عن ابن أبي حاتم، و لباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص 144 و (ط دار الكتب العلمية) ص 130.

4- الدر المنثور ج 4 ص 220 عن ابن المنذر عن ابن جريج، و جامع البيان ج 15 ص 293 و تفسير العز بن عبد السلام ج 2 ص 246.

قلنا بعدمه، فإن الآية قد نزلت في مناسبة خاصة، بالإضافة إلى نزولها في ضمن السورة. .

وقصة عيينة بن حصن إنما كانت في المدينة، و السورة قد نزلت دفعة واحدة في مكة (1). .

4-عن السدي، قال: قالت اليهود للنبي «صلى الله عليه وآله»: يا محمد، إنما تذكر إبراهيم وموسى، وعيسى، والنبين، أنك سمعت ذكرهم منا، فأخبرنا عن نبي لم يذكره الله في التوراة إلا في مكان واحد.

قال: ومن هو؟!

قالوا: ذو القرنين.

قال: ما بلغني عنه شيء، فخرجوا فرحين، وقد غلبوا في أنفسهم، فلم يبلغوا إلى باب البيت، حتى نزل جبرئيل بهؤلاء الآيات: وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (2). .

وذلك معناه: أن هذه الآيات قد نزلت في مناسبة خاصة، وأن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يذكر لهم نزول هذه الآيات في سورة الكهف قبل ذلك، ربما لأجل أنه لم ينزل بها جبرئيل بعد ليحدد مناسباتها الخاصة بها (3). .

على أن لنا إشكالا على هذه الرواية، و هو: أنها إذا كانت قد نزلت في مكة في ضمن سورة الكهف، فمعنى ذلك أنه «صلى الله عليه وآله» كان

ص: 59

1- الدر المنثور ج 4 ص 220 وراجع المصادر في بعض الهوامش المتقدمة.

2- الآية 83 من سورة الكهف.

3- الدر المنثور ج 4 ص 240 عن ابن أبي حاتم، وروى نحوه من هذا ابن عمر أيضا فراجع نفس المصدر عنه.

يعرف عن ذي القرنين نفس ما أوردته الآية التي نزلت عليه مرة ثانية عند سؤال اليهود إياه، فما معنى أن يقول لهم: ما بلغني عنه شيء. .

إلا إذ فرض نزول الآية في هذه المناسبة قبل نزول السورة، وهذا بعيد، فإن مناقشات اليهود معه، وأسئلتهم إنما كانت في المدينة. . على ما يظهر.

5- وقالوا: إن جندب بن زهير كان إذا صلى أو صام أو تصدق فذكر بخير ارتاح له، فزاد في ذلك لمقالة الناس، فلامه الله، فنزل في ذلك: **فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ (1) (2)**. .

وفي نص آخر، عن مجاهد، كان رجل من المسلمين، يقاتل وهو يحب أن يرى مكانه، فأنزل الله: **فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ (3)**. .

فالآية نزلت في مناسبة خاصة. . وهي واقعة في ضمن سورة نزلت دفعة واحدة أيضا، في مكة.

ص: 60

1- الآية 110 سورة الكهف.

2- الدر المنثور ج 4 ص 255 عن ابن مندة، وأبي نعيم في الصحابة، وابن عساكر، وأسد الغابة ج 1 ص 303 وفتح السماوي للمناوي ج 2 ص 803 و تفسير الميزان ج 13 ص 406 و لباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص 145 و (ط دار الكتب العلمية) ص 131 و فتح القدير ج 3 ص 318 و أضواء البيان للشنقيطي ج 3 ص 358 و تاريخ مدينة دمشق ج 11 ص 304 و الإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج 1 ص 612.

3- الدر المنثور ج 4 ص 255 عن ابن أبي حاتم، و لباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص 145 و (ط دار الكتب العلمية) ص 131 و أضواء البيان للشنقيطي ج 3 ص 358.

وتكون النتيجة هي: أن الله سبحانه كان ينزل السورة أولا، فيقرأها النبي «صلى الله عليه وآله» بتمامها على الناس، ثم تبدأ الأحداث بالتحقق، فيأتي جبرئيل «عليه السلام» إلى الرسول «صلى الله عليه وآله»، بالآيات التي ترتبط بتلك الأحداث مرة أخرى، فيقرأها على الناس، فيظهر لهم أنهم كانوا قد سمعوها منه قبل ذلك. فيعرف الناس بذلك: أن هذا القرآن منزل من عند عالم الغيب والشهادة. .

بل الظاهر: أن حتى السور التي نزلت نجوما أيضا، كسورة البقرة وسورة آل عمران، كان نزولها يتم بصورة تتلاءم مع هذه السياسة، ولذلك قالوا: إن بضعا وثمانين آية من سورة آل عمران قد نزلت دفعة واحدة. . ثم بدأت الأحداث تتوالى، ويأتي جبرئيل «عليه السلام» بالآيات المرتبطة بها، مع أن هذه الآيات كانت قد نزلت قبل حصول تلك الأحداث، وفي ضمن البضع وثمانين آية المشار إليها. .

وهذا بالذات هو حال سورة المائدة أيضا، فإنها نزلت دفعة واحدة ثم صارت آياتها تنزل تدريجا كلما حدث أمر يقتضي نزول آيات بعينها من تلك السورة. .

وتقدم: أن آية إكمال الدين جاءت قبل آية تبليغ الرسالة، في نطاق سياسة إلهية، تهدف إلى حفظ القرآن، وإلى الرفق بالناس، و تيسير أمر الهداية لهم، حسبما أوضحناه. . وقلنا: إن نزولها كان مرتين على الحقيقة، فراجع.

وقد تقدم قولهم: إن يوم الغدير كان يوم الخميس في الثامن عشر من ذي الحجة. .

ولكن هذا يناقض إجماع أهل السنة على أن يوم عرفة في حجة الوداع كان يوم الجمعة، لأن هذا يحتم أن يكون يوم الأحد، لأنه يكون هو الثامن عشر من ذي الحجة. .

ويؤكد هذا الإشكال: أنهم يقولون: إن أول ذي الحجة كان يوم الخميس (1).

والذي نراه: أن هذا الإجماع السنّي الذي أشار إليه العلامة الأميني، إنما يستند إلى رواية البخاري ومسلم، التي صرح فيها عمر وبعض آخر: بأن يوم عرفة في حجة الوداع كان يوم الجمعة، فإن ظهر خطأ الرواية في

ص: 65

1- راجع: البحار ج 22 ص 534 عن كتاب التنوير ذو النسبين بين دحية والحسين، وفتح الباري ج 3 ص 323 وعمدة القاري ج 16 ص 99 وج 18 ص 60 والبداية والنهاية ج 5 ص 184 وج 5 ص 276 وكشف الغمة ج 1 ص 20 والسيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 333 وج 4 ص 509 وسبل الهدى والرشاد ج 12 ص 306 وراجع: الغدير ج 1 هامش ص 42.

ذلك، فإن على المجمعين أن يغيروا رأيهم تبعاً لما ظهر.

وقد ظهر: أن ما صرحوا به في تحديد يوم الغدير بيوم الخميس يقتضي أن يكون يوم عرفة يوم الثلاثاء. .

وقد صرحت رواية رواها ابن جرير وغيره: بأن يوم عرفة الذي هو يوم نزول سورة المائدة اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ (1) هو يوم الإثنين (2).

ولعل الأمر اشتبه على الراوي بين الإثنين والثلاثاء.

وهذه الرواية وإن حكم عليها بعضهم بضعف السند. لكن ضعف السند لا يعني كذب المضمون. فإذا أيدت الشواهد أنه أقرب إلى الصحة، أخذ به، وأهمل ما عداه، لقوة احتمال السهو أو الغلط، أو تعمد الكذب فيه، وذلك ظاهر لا يخفى.

لماذا لم يحتج علي و الزهراء عليهما السلام بالغدير؟! :

وقد يروق للبعض أن يسجل اعتراضاً على قول الشيعة من دلالة

ص: 66

1- الآية 3 من سورة المائدة.

2- جامع البيان ج 6 ص 54 و الدر المنثور ج 2 ص 258 و 259 عنه. و راجع: مجمع الزوائد ج 1 ص 196 و المعجم الكبير ج 12 ص 183 و كنز العمال ج 12 ص 445 و التبيان للطوسي ج 3 ص 436 و جامع البيان ج 6 ص 112 و تفسير القرآن العظيم ج 2 ص 15 و تاريخ مدينة دمشق ج 3 ص 67 و 69 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 1 ص 26 و البداية و النهاية ج 2 ص 319 و إمتاع الأسماع ج 14 ص 542 و السيرة النبوية لابن كثير ج 1 ص 198 و سبل الهدى و الرشاد ج 1 ص 333 و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 28.

حديث الغدير على الإمامة؛ فيقول: إن الحديث وإن كان ثابتاً ومتواتراً من حيث السند، ولكنه لو كان دالاً على الإمامة والخلافة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» لاحتج به علي «عليه السلام» على مناوئيه، وغاصبي حقه بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» مباشرة، ولو فعل ذلك لحسم الأمر، ولأعيدت الأمور إلى نصابها.

ولا يصح التسويف في هذا الأمر، إذ لا عطر بدون عروس.

ونقول في الجواب:

أولاً: إنكم قد ذكرتم بأن جمهور علماء السنة-إلا من شذ-لا ينكرون صدور هذا الحديث.

فإذا كان الحديث ثابتاً ومعلومًا لدى كل أحد، وكان النبي «صلى الله عليه وآله» قد أورده أمام عشرات الألوف من الناس، كما ذكرت الروايات، فلا تبقى حاجة إلى الإحتجاج به؟! فإن من يعرف حرمة الكذب، ويقرأ الآيات في ذلك، ويسمع تأكيدات الرسول «صلى الله عليه وآله»، على حرمة.

ومن يعرف حرمة السرقة، ويقرأ آيات تحريمها صباح مساء.

ومن يعرف وجوب الصلاة، ويقرأ ويسمع آيات القرآن، وكلمات الرسول «صلى الله عليه وآله» في الحث عليها، والدعوة إليها. فإنه حين يمارس الكذب، ويقدم على السرقة، وعلى ترك الصلاة جهاراً نهاراً، فسيكون الاحتجاج عليه بالآيات والروايات عبثاً، وبلا فائدة أو عائدة.

وهكذا الحال بالنسبة لحديث الغدير، فإن من يأتي بالآلاف من حملة السلاح من بني أسلم، ويستقوي بهم، ويهاجم بيت فاطمة «عليها السلام»،

ص: 67

و يضربها ويسقط جنيها، و يأخذ عليا أمير المؤمنين «عليه السلام» بالقوة للبيعة.

و من يقول: إن النبي ليهجر-و هو على فراش المرض-ليمنعه من كتابة كتاب لا تضل الأمة بعده. . و هو يفعل ذلك كله-قبل أن ينس علي «عليه السلام» و لا غيره بنت شفة حول الخلافة.

مع أنه قد حضر قبل سبعين يوما فقط يوم الغدير، و سمع أقوال رسول الله «صلى الله عليه و آله»، و بايع عليا «عليه السلام»، في ذلك اليوم و هنأ بالولاية. .

إن من يفعل ذلك، فإن الاحتجاج لا ينفع معه لأنه يكون ظاهر الجحود، في نفسه. . و لن يزيد ذلك الناس معرفة بالحق. . لأن الناس كلهم لم ينسوا يوم الغدير و سواه من المواقف الحاسمة، كما لا ينسون صلاتهم و صيامهم. .

ثانيا: لو سلمنا جدلا أن التاريخ لم ينقل لنا شيئا من احتجاجات علي و الزهراء «عليهما السلام»، فهو لا يدل على عدم حصوله منه و منها «عليهما السلام»، لا سيما مع الحرص الظاهر على محاربة علي، و طمس كل شيء يؤيد حقه «عليه السلام» بالأمر، و التخلص من كل ما يدين خصومه فيما أقدموا عليه. .

و عدم نقل أهل السنة ذلك، يعد أمرا طبيعيا، لأن نقلهم له إنما يعني تسجيل إدانة لأناس يريدون تبرئتهم من كل شيء، بل يريدون ادعاء العصمة لهم، و إظهار أهليتهم للإمامة، و الخلافة و الزعامة. كما أنه سوف يحدث خللا اعتقاديا لو أراد الناس الالتزام بلوازمه. . و لا أحب أن أقول

أكثر من هذا. .

ثالثا: إنه ليس ثمة ما يدل على انحصار الحجية بما نقله محدثو ومؤرخو، وعلماء أهل السنة، بحيث يبطل ذلك أقوال، ونقولات غيرهم. . و
من يدعي هذا الانحصار يحتاج إلى دليل. .

بل ربما يكون دليل مخالفهم هو الأقوى. . لأن هذا التوثيق، وذاك الرفض يتوقف على حسم الأمر في مسألة الإمامة وفقا للأدلة الشرعية
المتوفرة، فلا معنى لفرض اتجاه معين في الأخذ بمصادر و مراجع بعينها، قبل حسم الأمر في تلك المسألة، لأن هناك من يقول: إن الأدلة
القاطعة تدل على أن قضايا الدين لا بد أن تؤخذ من القرآن، و من خصوص عترة الرسول «صلى الله عليه وآله» المعصومين، والمنصوص
عليهم، فمن خالفهم في شيء، فإنه يردّ عليه. .

رابعا: إننا نجد في مصادر أهل السنة و الشيعة العديد من الموارد التي أشير فيها إلى أن عليا كان يحتج بحديث الغدير، و يسعى لحمل
الذين حضروا واقعة الغدير على أن يعلنوا للناس بما رأوا و بما سمعوا في ذلك اليوم الأغرّ، وقد أثمرت هذه المناشدات و الإحتجاجات
شهادات بصحة هذا الحديث، و تأكيدات على وقوعه، و اعترافات من المناوئين الذين كانوا يسعون لقلب الأمور رأسا على عقب.

ص: 69

ونحن نذكر من ذلك الشواهد التالية:

ألف-إحتجاجات علي عليه السلام:

إن النصوص قد ذكرت:

1-إحتجاج علي «عليه السلام» بحديث الغدير يوم البيعة لأبي بكر، فإنه «عليه السلام» قد احتج على أبي بكر ومؤيديه، حينما جيء به إلى البيعة، فقال: «يا أبا بكر، ما أسرع ما توثبتتم على رسول الله! بأي حق، وبأي منزلة دعوت الناس إلى بيعتك؟ ألم تبايعني بالأمس بأمر الله وأمر رسوله؟» (1).

ثم لما هددوه بالقتل إن لم يبايع، أقبل عليهم علي «عليه السلام»، فقال: «يا معشر المسلمين والمهاجرين والأنصار، أنشدكم الله، أسمعتم رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول يوم غدير خم كذا وكذا؟ وفي غزوة تبوك كذا وكذا؟ فلم يدع «عليه السلام» شيئاً قاله فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله» علانية للعامة إلا ذكرهم إياه.

قالوا: اللهم نعم.

فلما تخوف أبو بكر أن ينصره الناس، وأن يمنعوه بأدرهم فقال له: كل ما قلت حق، قد سمعناه بأذاننا وعرفناه، ووعته قلوبنا، ولكن قد سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول بعد هذا: «إنا أهل بيت اصطفانا الله وأكرمنا، واختار لنا الآخرة على الدنيا. وإن الله لم يكن ليجمع لنا أهل

ص: 70

1- كتاب سليم بن قيس ج 2 ص 588 و 589 و (بتحقيق الأنصاري) ص 152 و 388 و راجع: ج 3 ص 965 و 966 والبحار ج 28 ص 270 و مجمع النورين ص 99 و شرح النهج للمعتزلي ج 18 ص 372.

فقال علي «عليه السلام» : هل أحد من أصحاب رسول الله شهد هذا معك؟ الخ . (1).

وهو استدلال عجيب وغريب من أبي بكر، فإنه يفضي إلى القول بأن الله ورسوله كانا يعبثان بالناس طيلة ثلاث وعشرين سنة، حيث كان «صلى الله عليه وآله» بأمر من الله يؤكد الولاية لعلي «عليه السلام»، ويجمع الناس في منى وعرفات، وفي غدير خم، ويذكر لهم خلافة علي «عليه السلام» وإمامته، ولايته عليهم من بعده. ويأخذ البيعة له في يوم الغدير الخ . ثم يتبين أن الله-والعياذ بالله-كان مخطئاً حين كان يوجه رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى القيام بهذه الأعمال، وإطلاق هذه الأقوال كلها.

هذا . وقد قال «عليه السلام» لرسول أبي بكر، الذي قال له: أجب خليفة رسول الله: «سبحان الله، ما أسرع ما كذبتكم على رسول الله، إنه ليعلم ويعلم الذين حوله أن الله ورسوله لم يستخلف غيري» .

و حين أرسل إليه: أجب أمير المؤمنين قال: «فو الله إنه ليعلم أن هذا الاسم لا يصلح إلا لي، ولقد أمره رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو سابع سبعة، فسلموا علي بإمرة المؤمنين» .

فاستفهم هو وصاحبه عمر من بين السبعة، فقالا: أحق من الله ورسوله؟

ص: 71

1- كتاب سليم بن قيس ج 2 ص 588 و 589 و (بتحقيق الأنصاري) ص 154 و راجع: ج 3 ص 965 و 966 فهناك مصادر أخرى للحديث، والبحار ج 28 ص 270-274 و 300 و مجمع النورين ص 99 والمحتضر للحلي ص 110.

فقال لهما رسول الله «صلى الله عليه وآله»: نعم، حقا، حقا الخ. (1).

2-احتجاجة «عليه السلام»، بحديث الغدير في يوم الشورى، حيث قال «عليه السلام»: «ولأحتجن عليكم بما لا يستطيع عربيتكم ولا عجميتكم تغيير ذلك، ثم قال: أنشدكم الله، أيها النفر جميعا: أفياكم أحد وحد الله قبلي؟

قالوا: لا..

إلى أن قال: فأنشدكم الله، هل فيكم أحد قال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه، وانصر من نصره. ليلغ الشاهد الغائب، غيري؟

قالوا: اللهم لا.. الخ. (2).

ص: 72

-
- 1- كتاب سليم بن قيس ج 2 ص 583 و (بتحقيق الأنصاري) ص 148 و 268 و راجع مصاد أخرى لهذا الحديث في ج 3 ص 965 و 966 و اليقين لابن طاووس ص 28 و العقد النضيد و الدر الفريد لمحمد بن الحسن القمي ص 111 و 113.
- 2- راجع: الغدير ج 1 ص 159 فما بعدها عن المناقب للخوارزمي الحنفي ص 217 و أخرجه الحموي الشافعي في فرائد السمطين الباب 58 ج 1 ص 319 وفي الدر النضيد لابن حاتم الشامي، قال: أنشدكم بالله، أمنكم من نصّبه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، يوم غدير خم للولاية غيري؟ قالوا: اللهم لا.. و راجع أيضا: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 6 ص 167 و راجع: الغدير ج 1 ص 161 و مصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) للميرجهاني ج 3 ص 216 و شرح الأخبار ج 2 ص 191 و كنز الفوائد ص 227 و الأمالي للطوسي ص 333 و 555 و الإحتجاج للطبرسي ج 1 ص 196 و الروضة في فضائل أمير المؤمنين لشاذان بن جبرئيل القمي ص 118 و البحار ج 31 ص 332 و 351 و 361 و 368 و تفسير أبي حمزة الثمالي ص 152 و تمهيد الأوائل و تلخيص الدلائل للباقلاني ص 514 و بشارة المصطفى للطبري ص 374 و كشف اليقين ص 423.

وعلى كل حال: فقد ذكروا حديث المناشدة عن الدارقطني وابن مردويه، وأبي يعلى وغيرهم.

ولنفترض: أن بعض رجال أسناد هذا الحديث ضعاف، فإن ذلك لا يعني كذب الرواية من الأساس كما هو معلوم. لا سيما مع أن مصلحة الرواة هي في خلاف مضمون ما يروونه. .

3- واحتج علي «عليه السلام»، بهذا الحديث في خلافة عثمان أيضا. . وذلك في المسجد، في حلقة كان فيها أكثر من مائتي رجل (1)، فقال: «أفتقرون أن رسول الله دعاني يوم غدير خم، فنأدي لي بالولاية، ثم قال: ليبلغ الشاهد منكم الغائب» ؟ .

قالوا: اللهم نعم (2).

4- لما بلغه وهو في الكوفة أن الناس يتهمونهم فيما يرويه من تقديم رسول الله «صلى الله عليه وآله» إياه على غيره، حضر في مجتمع من الناس،

ص: 73

1- راجع: إكمال الدين للصدوق ص 274 والإحتجاج للطبرسي ج 1 ص 211 الغدير ج 1 ص 163-165 وفرائد السمطين ج 1 ص 312 وكتاب سليم بن قيس (بتحقيق الأنصاري) ص 71 والتحصيل لابن طاووس ص 631 والبحار ج 31 ص 408 وكتاب الأربعين للماحوزي ص 439.

2- راجع: كتاب سليم بن قيس ج 2 ص 641 و 644 و 645 و 646 و (بتحقيق الأنصاري) ص 193-195 و راجع: المصادر في الهامش السابق.

وناشد من سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم الغدير أن يشهد، فشهد له قوم، وأمسك زيد بن أرقم، فدعا عليه علي «عليه السلام»
بذهاب البصر فعمي.

وقيل: إن الذين لم يشهدوا ثلاثة. وقيل: إنهم قوم.

وقيل: فقام أناس كثير فشهدوا.

وفي نص آخر: شهد له بضعة عشر رجلا، أو اثنا عشر رجلا، أو ثلاثة عشر رجلا (أو بدريا). أو ستة عشر رجلا، أو خمسة، أو ستة، أو
ثلاثون، أو سبعة عشر رجلا، أو ثمانية عشر (1).

ص: 74

1- راجع فيما تقدم: مناقب أهل البيت «عليه السلام» للشيرازي ص 128 وشرح النهج للمعتزلي ج 2 ص 289 و ج 4 ص 74 وخلاصة
عقبات الأنوار ج 7 ص 39 و 62 و 63 و 86 و 98 و 109 و 129 و 135 و 138 و 186 و 209 و 243 و 251 و 262 و 270 و 272 و
286 و 312 و 324 و 341 و 361 و ج 9 ص 15 و 17 و 18 و 20 و 24 و 26 وقاموس الرجال ج 10 ص 333 و ج 11 ص 145 و
449 و المعجم الصغير ج 1 ص 64 و أسد الغابة ج 2 ص 233 و ج 3 ص 93 و 307 و ج 4 ص 28 و ج 5 ص 6 و كتاب الولاية لابن
عقدة ص 226 و 229 و 235 و 237 و مسند أحمد ج 1 ص 88 و 119 و السنن الكبرى للنسائي ج 5 ص 136 و 155 و ذكر أخبار
إصبهان ج 2 ص 228 و كنز العمال ج 13 ص 155 و 170 و تاريخ بغداد ج 14 ص 240 و المعجم الأوسط ج 7 ص 70 و المعجم
الكبير ج 5 ص 175 و جزء الحميري ص 33 و ذخائر العقبى للطبري ص 68 و مجمع الزوائد ج 9 ص 105 و 106 و 108 و أمالي
المحاملي ص 162 و مسند أبي يعلى ج 1 ص 429 و خصائص أمير المؤمنين «عليه السلام» للنسائي ص 96 و 103 و البداية والنهاية ج
7 ص 383 و تاريخ مدينة دمشق ج 42 ص 206 و 207 و 209 و 212 و 214 و تهذيب الكمال للمزي ج 22 ص 397 و السيرة الحلبية
(الملحقات) ج 3 ص 337 و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج 6 ص 305 و 307 و 316 و 323 و 328 و 338 و 378 و ج 21 ص
114 و 119 و ج 22 ص 125 و ج 23 ص 12 و 413 و 416 و ج 30 ص 389 و 404 و ينابيع المودة ج 2 ص 159 و كشف الغمة ج
1 ص 287 و الخرائج و الجرائح ج 1 ص 208 و الإرشاد للمفيد ج 1 ص 352 و الطرائف ص 148 و كتاب الأربعين للماحوزي ص
146 و العمدة لابن البطريق ص 109 و البحار ج 34 ص 341 و ج 37 ص 186 و 196 و 197 و 199 و 200 و ج 41 ص 205 و ج
42 ص 148 و مستدرک سفينة البحار ج 10 ص 469 و المراجعات للسيد شرف الدين ص 268 و 270 و 388. و راجع: الغدير ج 1 ص
166-184 عن مصادر كثيرة.

الأول: لماذا لم يشهد أكثر من هذا العدد؟ ! :

ذكر العلامة الأميني أسماء أربعة وعشرين رجلا، شهدوا لأمير المؤمنين «عليه السلام» بحديث الغدير في رحبة الكوفة (1)، فراجع.

وقد أشار العلامة الأميني: إلى أن رواية أبي الطفيل قد ذكرت: أن عليا «عليه السلام» لما قدم الكوفة نشد الناس بحديث الغدير.

وإنما قدم «عليه السلام» الكوفة سنة 35 للهجرة، وبعد خمسة وعشرين عاما من استشهاد رسول الله «صلى الله عليه وآله». وكان كثير من الذين حضروا يوم الغدير قد ماتوا، وكثير منهم كانوا مبثوثين في مختلف البلاد، وقد فتح العراق بعد استشهاد رسول الله «صلى الله عليه وآله»

ص: 75

بسنوات، وإنما دخل العراق شراذم من الصحابة بعد ذلك. .

كما أن هذا الإستشهاد قد جاء على سبيل الإتفاق، ولم يهتأ له الناس، ولا طلب من الصحابة الحضور للشهادة، لكي تكثر الشهود، و تحضر الرواة، وكان في الحاضرين من يخفي شهادته حنقا أو سفها.

الثاني: شهادتان. . لا شهادة واحدة:

قد ظهر مما تقدم أن ثمة اختلافا في عدد من شهد. فهل سبب ذلك هو أنهم أرادوا عدّ خصوص من كان بدريا. أو أنصاريا، أو على جانبي المنبر. .

أو ان بعضهم أراد تقليل العدد لحاجة في نفسه قضاه؟! كل ذلك محتمل.

و ثمة احتمال آخر، أشير إليه في هامش كتاب الغدير (1) وقد لهجت بصحته النصوص نفسها، وهو: أن هناك مناشدتين:

إحدهما: جرت داخل المسجد، و من على منبره بالذات، فقام ستة شهود من كل جانب من جانبي المنبر. . أو قامت جماعة كان منهم اثنا عشر بدريا (2).

ص: 76

1- راجع الغدير (ط مركز الغدير للدراسات) ج 1 ص 378.

2- راجع: مسند أحمد ج 4 ص 370 و فضائل الصحابة ص 1167 و البداية و النهاية ج 5 ص 211 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج 7 ص 384. و عن الضياء في المختارة، و ينابيع المودة ج 2 ص 159 و البحار ج 3 ص 18 و ج 37 ص 196 و ج 41 ص 205 و ج 42 ص 148 و الخرائج و الجرائح ج 1 ص 208 و الإرشاد للمفيد ج 1 ص 352 و العمدة لابن البطريق ص 106 و 110 و كتاب الأربعين للشيرازي ص 114 و خلاصة عبقات الأنوار ج 3 ص 261 و ج 9 ص 25 و شرح إحقاق الحق ج 6 ص 318 و ج 16 ص 579 إضافة إلى مصادر أخرى تقدمت.

وأخرى: في خارج المسجد في الرحبة التي أمامه. . فقام ناس كثير، أو ثلاثون رجلا (1).

وهناك احتمال ثالث، وهو: أن تكون هذه المناشدات في مسجد الكوفة وفي رحبته قد جرت عدة مرات. . ويدل على ذلك حديث الركبان التالي:

5-مناشدة علي «عليه السلام» حين خروجه من القصر، حيث استقبله ركبان متقلدون السيوف، فقالوا له: السلام عليكم يا مولانا ورحمة الله وبركاته.

فقال «عليه السلام»: من ها هنا من أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» ؟ فقام ثلاثة عشر (أو اثنا عشر) رجلا، فشهدوا أنهم سمعوا النبي «صلى الله عليه وآله» يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه (2).

ص: 77

1- مسند أحمد ج 1 ص 88 و 119 و أمالي المحاملي ص 162 و البداية و النهاية ج 7 ص 348 و أسد الغابة ج 4 ص 28 و مجمع الزوائد ج 9 ص 105 و مسند أبي يعلى ج 1 ص 429 و كنز العمال ج 13 ص 170 و تاريخ مدينة دمشق ج 42 ص 206 و 207 و ذكر أخبار إصبهان ج 2 ص 228 و تاريخ بغداد ج 14 ص 240 و المراجعات للسيد شرف الدين ص 268 و 270 و 388 و خلاصة عقبات الأنوار ج 7 ص 83 و 62 و 86 و 129 و 186 و 207 و 341 و 361 و ج 9 ص 17 و 20 و ج 37 ص 125 و 148 و 188 و 200 و كتاب الأربعين للماحوزي ص 146 و مناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج 2 ص 367 و 408 و 437 و 444 و 445 و الأمالي ص 255 و كتاب الأربعين للشيرازي ص 118 و الطوائف لابن طاووس ص 151 و العمدة لابن البطريق ص 93 بالإضافة على مصادر أخرى تقدمت.

2- راجع: الغدير ج 1 ص 189 و 190 و شرح الأخبار للقاضي النعمان ج 1 ص 109 و أسد الغابة ج 1 ص 368 و البحار ج 41 ص 213 و خلاصة عقبات الأنوار ج 3 ص 261 و ج 7 ص 199 و ج 9 ص 25 و كتاب الولاية لابن عقدة ص 241 و اختيار معرفة الرجال ج 1 ص 246 و موسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب و السنة و التاريخ ج 2 ص 216 و 326 و 331 و كتاب الولاية لابن عقدة ص 241 و نقد الرجال ج 1 ص 265 و معجم رجال الحديث ج 4 ص 185 و أعيان الشيعة ج 3 ص 551 و ج 4 ص 539 و المناشدة و الإحتجاج بحديث الغدير ص 59 و 60 و 61 و شرح إحقاق الحق ج 6 ص 334.

و ذكرت نصوص أخرى: أن ركبانا أتوه فشهدوا له بحديث الغدير، و هو في رحبة الكوفة، فيهم أبو أيوب الأنصاري (1)، فيحتمل تعدد الواقعة.

ص: 78

1- راجع: الغدير ج 1 ص 187 و 188 و 380 و مسند أحمد ج 5 ص 419 و المعجم الكبير ج 4 ص 173 و البداية و النهاية ج 5 ص 231 و ج 7 ص 384 و أعيان الشيعة ج 6 ص 287 و نهج الإيمان لابن جبر ص 116 و العدد القوية ص 184 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 422 و جواهر المطالب ج 1 ص 83 و ينابيع المودة ج 1 ص 107 و موسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب و السنة و التاريخ ج 2 ص 215 و شرح النهج للمعتزلي ج 3 ص 208 و غاية المرام ج 1 ص 269 و 282 و 300 و كشف المهم في طريق خبر غدير خم ص 101 و 148 و المناشدة و الإحتجاج بحديث الغدير ص 57 و 58 و شرح الأخبار للقاضي النعمان ج 1 ص 108 و معجم الرجال و الحديث لمحمد حياة الأنصاري ج 1 ص 37 و 50 و 62 و 268 و تاريخ مدينة دمشق ج 42 ص 211 و الدرجات الرفيعة ص 315 و 453 و العمدة ص 94 و 109 و الإكمال في أسماء الرجال ص 15 و البحار ج 37 ص 148 و مناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرازي ص 128 و خلاصة عبقات الأنوار ج 1 ص 49 و ج 3 ص 261 و ج 7 ص 40 و 70 و 94 و 136 و 166 و 169 و 235 و ج 9 ص 135 و 136 و 137 و المراجعات ص 273 و موسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج 7 ص 342 و شرح إحقاق الحق ج 6 ص 251 و 326 و ج 16 ص 565 و ج 21 ص 59 و 60 و ج 23 ص 7 و 636 و ج 30 ص 422 و 425.

و تذكر النصوص هنا أيضا: أن بعض من لم يشهد أصيب ببلاء أيضا، و هم ستة أشخاص (1).

6- إحتج «عليه السلام» على طلحة بحديث الغدير في حرب الجمل (2).

7- ناشدهم «عليه السلام» بحديث الغدير أيضا في صفين، فشهد له اثنا عشر بدرية (3).

8- و احتجت فاطمة الزهراء «عليها السلام» على غاصبي حقوقها بحديث الغدير أيضا (4).

ص: 79

1- راجع: الإرشاد للمفيد ج 1 ص 352 و كشف الغمة ج 1 ص 287 و شرح النهج للمعتزلي ج 4 ص 74 و كتاب الولاية لابن عقدة ص 246 و أسد الغابة ج 3 ص 321 و تاريخ مدينة دمشق ج 42 ص 208 و مجمع الزوائد ج 9 ص 106 و قاموس الرجال ج 11 ص 116 و المعجم الكبير ج 5 ص 171 و 175 و الإكمال في أسماء الرجال ص 72 و خلاصة عبقات الأنوار ج 3 ص 262 و ج 7 ص 116 و ج 9 ص 23 و 24 و 25 و 26 و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج 6 ص 308 و 318 و 320 و ج 8 ص 743 و 745 و ج 16 ص 567 و ج 30 ص 397 و البحار ج 37 ص 200 و الغدير ج 1 ص 192.

2- راجع: تخريج الأحاديث والآثار ج 2 ص 235 و كنز العمال ج 11 ص 332 و تاريخ مدينة دمشق ج 25 ص 108 و الغدير ج 10 ص 127 و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج 6 ص 249 و 336 و ج 16 ص 568 و ج 23 ص 15 و ج 23 ص 631 و المستدرک للحاكم ج 3 ص 371 و الإكمال في أسماء الرجال ص 115.

3- راجع: كتاب سليم بن قيس (بتحقيق الأنصاري) ص 295 و البحار ج 33 ص 146 و الغدير ج 1 ص 195.

4- راجع: خلاصة عبقات الأنوار ج 7 ص 188 و ج 9 ص 103 و 105 و 106 و قاموس الرجال ج 12 ص 334 و الغدير ج 1 ص 197 و شرح إحقاق الحق ج 21 ص 27.

9-احتج به الإمام الحسن «عليه السلام» المجتبي في خطبته حين فرضت عليه الهدنة مع معاوية (1).

10-خطب الإمام الحسين «عليه السلام» بمنى في أكثر من سبع مائة رجل عامتهم من التابعين، ونحو مائتي رجل من أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله»، فكان مما قال: «أنشدكم الله، أتعلمون أن رسول الله نصبه يوم غدير خم، فنادى له بالولاية، وقال: ليبلغ الشاهد الغائب؟»

قالوا: اللهم نعم (2).

ونضيف إلى ما تقدم:

11-إحتجاج عبد الله بن جعفر على معاوية بحديث الغدير (3).

12-و احتج رجل همداني اسمه برد على عمرو بن العاص بحديث

ص: 80

1- راجع: الأماشي للطوسي ص 561 والبحار ج 10 ص 138 وج 69 ص 151 والغدير ج 1 ص 197 وينابيع المودة ج 3 ص 366 وكتاب الولاية لابن عقدة ص 182 وشرح إحقاق الحق ج 5 ص 58 وعن حلية الأبرار ج 1 ص 253 وتفسير البرهان ج 3 ص 315 ح 26.

2- راجع: كتاب سليم بن قيس (تحقيق الأنصاري) ص 320 والبحار ج 33 ص 183 والغدير ج 1 ص 198 وراجع: الإحتجاج للطبرسي ج 2 ص 19 وصلاح الحسن «عليه السلام» للسيد شرف الدين ص 324.

3- راجع: كتاب سليم بن قيس (بتحقيق الأنصاري) ص 362 والبحار ج 33 ص 265 والغدير ج 1 ص 199.

13- واحتج به عمرو بن العاص على معاوية (2).

14- واحتج به عمار بن ياسر على عمرو بن العاص (3).

15- واحتج به أصبغ بن نباتة في مجلس معاوية أيضا (4).

16- وناشد شاب أبا هريرة بحديث الغدير في مسجد الكوفة (5).

ص: 81

- 1- راجع: الامامة و السياسة (بتحقيق الزيني) ج 1 ص 97 و (بتحقيق الشيري) ج 1 ص 129 و الحجة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب للسيد فخار بن معد ص 232 و خلاصة عبقات الأنوار ج 7 ص 82 و الغدير ج 1 ص 201 و ج 9 ص 137 و شرح إحقاق الحق ج 6 ص 285 و ج 31 ص 382 و ج 32 ص 382.
- 2- راجع: المناقب للخوارزمي ص 199 و كشف الغمة ج 1 ص 258 و البحار ج 33 ص 52 و العقد النضيد و الدر الفريد لمحمد بن الحسن القمي ص 88 و خلاصة عبقات الأنوار ج 7 ص 148 و الغدير ج 1 ص 201 و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج 5 ص 51.
- 3- راجع: كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي ج 3 ص 77 و شرح النهج للمعتزلي ج 8 ص 21 و وقعة صفين للمنقري ص 338 و البحار ج 33 ص 30 و كتاب الأربعين للشيرازي ص 630 و الغدير ج 1 ص 202 و ج 2 ص 145.
- 4- راجع: المناقب للخوارزمي ص 205 و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج 6 ص 257 و الغدير ج 1 ص 202.
- 5- راجع: الإيضاح لابن شاذان ص 535 و الغارات للثقفى ج 2 ص 658 و مناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج 2 ص 394 و السيرة النبوية ج 4 ص 425 و البداية و النهاية ج 5 ص 232 و تاريخ مدينة دمشق ج 42 ص 232 و مسند أبي يعلى ج 11 ص 306 و المصنف لابن أبي شيبة ج 7 ص 499 و مجمع الزوائد ج 9 ص 105 و البحار ج 34 ص 325 و خلاصة عبقات الأنوار ج 7 ص 185 و 237 و 315 و الغدير ج 1 ص 203 و شرح إحقاق الحق ج 6 ص 258 و ج 21 ص 62 و 63.

17-ناشد رجل زيد بن أرقم بحديث الغدير (1).

18-ناشد عراقي جابر الأنصاري بحديث الغدير (2).

قال الذهبي: هذا حديث حسن عال جدا، و متنه متواتر (3).

19-و احتج به قيس بن سعد على معاوية (4).

ص: 82

-
- 1- راجع: المعجم الكبير ج 5 ص 194 و ينابيع المودة ج 2 ص 283 و تاريخ مدينة دمشق ج 42 ص 216 و خلاصة عبقات الأنوار ج 7 ص 111 و 178 و الغدير ج 1 ص 204 و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج 6 ص 232 و ج 21 ص 43.
 - 2- راجع: سير أعلام النبلاء ج 8 ص 334 و قال في هامشه: حديث صحيح، أخرجه ابن ماجة (121) من حديث سعد بن أبي وقاص، و أخرجه أحمد ج 4 ص 368 و الترمذي (713) من حديث زيد بن أرقم، و أخرجه أحمد ج 1 ص 84 و 118 و 119 و 152 من حديث علي، و 331 من حديث ابن عباس، و ج 4 ص 281 من حديث البراء، و ج 4 ص 368 و 370 و 372 من حديث زيد بن أرقم، و ج 5 ص 347 من حديث بريدة، و 419 من حديث أبي أيوب الأنصاري. و راجع: تاريخ مدينة دمشق ج 42 ص 225 و خلاصة عبقات الأنوار ج 7 ص 260 و الغدير ج 1 ص 205 و شرح إحقاق الحق ج 6 ص 254 و ج 21 ص 67 و ج 30 ص 410 و 411 و الجوهرة في نسب الإمام علي و آلہ للبري التلمساني ص 67.
 - 3- راجع: سير أعلام النبلاء ج 8 ص 334.
 - 4- راجع: البحار ج 33 ص 173-175 و الغدير ج 1 ص 106-108 و كتاب سليم بن قيس ج 2 ص 777 ح 26 و (بتحقيق الأنصاري) ص 311.

20- واحتجت به دارمية الحجونية على معاوية (1).

21- احتج به عمرو الأودي على قوم كانوا ينالون من أمير المؤمنين «عليه السلام» (2).

22- استشهد عمر بن عبد العزيز بحديث الغدير أيضا (3).

23- استشهد زريق مولى علي بن أبي طالب على عمر بن عبد العزيز بحديث الغدير (4).

24- احتج المأمون بحديث الغدير على الفقهاء، وفيهم إسحاق بن

ص: 83

-
- 1- راجع: بلاغات النساء لابن طيفور ص 72 و الطرائف ص 27 عن العقد الفريد (ط مصر 1316 هـ) ج 1 ص 115 و البحار ج 33 ص 260 و الغدير ج 1 ص 208 و 344 و مستدرك سفينة البحار ج 3 ص 273 و الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للرحماني ص 767 و مستدركات علم رجال الحديث ج 8 ص 573 و قاموس الرجال ج 12 ص 254.
 - 2- راجع: الأمالي للطوسي ص 558 و البحار ج 40 ص 69 و الغدير ج 1 ص 209.
 - 3- راجع: بشارة المصطفى ص 378 و خلاصة عبقات الأنوار ج 7 ص 177 و الإمام علي «عليه السلام» في آراء الخلفاء للشيخ مهدي فقيه إيماني ص 173 و في هامشه عن: حلية الأولياء ج 5 ص 364 و أسد الغابة ج 5 ص 383 ترجمة عمر بن عبد العزيز، و تاريخ مدينة دمشق ج 5 ص 320 (و (ط دار الفكر) ج 65 ص 324) رواية زريق القرشي المدني، و فرائد السمطين ج 1 ص 66 باب (10) ح 32 و نظم درر السمطين ص 112. و راجع: شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج 6 ص 285 و ج 21 ص 92 و ج 22 ص 118.
 - 4- راجع: تاريخ مدينة دمشق ج 18 ص 138 و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج 21 ص 51.

تعريف كتاب المعارف:

قال المعتزلي: «و روى سفيان الثوري، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن عمر بن عبد الغفار: أن أبا هريرة لما قدم الكوفة مع معاوية، كان يجلس بالعشيات بباب كندة، ويجلس الناس إليه، فجاء شاب من الكوفة، فجلس إليه، فقال: يا أبا هريرة، أنشدك الله، أسمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لعلي بن أبي طالب: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» !

فقال: اللهم نعم.

قال: فأشهد بالله، لقد واليت عدوه، وعاديت وليه! ثم قام عنه» (2).

ص: 84

-
- 1- راجع: قاموس الرجال ج 12 ص 155 و الغدير ج 1 ص 210 و الإمام علي «عليه السلام» في آراء الخلفاء للشيخ مهدي فقيه إيماني ص 182-197 وفي هامشه عن: العقد الفريد ج 5 ص 92-101 و عيون أخبار الرضا للصدوق ج 2 ص 185-200 باختلاف يسير.
 - 2- شرح النهج للمعتزلي ج 4 ص 68 الخطبة رقم 56 و كشف الأستار عن مسند البزار الحديث رقم 2531 و المصنف لابن أبي شيبة حديث رقم 12141 و المطالب العالية حديث 3958 و راجع: أضواء على السنة المحمدية ص 217 و شيخ المضيرة أبا هريرة لأبي رية ص 237 و النص و الإجتهد ص 515 و خلاصة عبقات الأنوار ج 7 ص 230 و الغدير ج 1 ص 204 و مناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج 2 ص 403 و الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» لأحمد الرحمان ص 562 و البحار ج 37 ص 199 و مواقف الشيعة ج 2 ص 311 و موسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب و السنة و التاريخ ج 11 ص 351 و غاية المرام ج 1 ص 300 و كشف المهم في طريق خبر غدير خم ص 150 و المناشدة و الإحتجاج بحديث الغدير ص 83 و راجع: مناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج 2 ص 403.

ثم يواصل كلامه عن أبي هريرة، وأنه كان يؤاكل الصبيان في الطريق، ويلعب معهم. ويخطب الناس بالمدينة. . ثم يقول:

«قلت: قد ذكر ابن قتيبة هذا كله في كتاب، المعارف، في ترجمة أبي هريرة، وقوله فيه حجة، لأنه غير متهم عليه» .

قال الأميني «رحمه الله» : «هذا كله قد أسقطته عن كتاب المعارف (ط مصر سنة 1353 هـ) يد التحريف اللاعبة به، وكم فعلت هذه اليد الأمانة لدة هذه في عدة موارد منه، كما أنها أدخلت فيه ما ليس منه، وقد مر الإيعاز إليه ص 192» (1).

ويبدو أن هناك طبعات أخرى قد أهملت ذلك أيضا، فراجع طبعة سنة 1390 هـ .

وقد ذكرنا: أن هذا الكتاب قد حرف في موارد أخرى، منها ما يرتبط بإسقاط الزهراء «عليها السلام» لجنينها المحسن بضرب عمر بن الخطاب لها. .

تحريف كتاب تاريخ يعقوبي:

قال يعقوبي في تاريخه ج 2 ص 37 (ط النجف الأشرف سنة 1358) : «وقد قيل: إن آخر ما نزل عليه: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ

ص: 85

نَعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا (1).

وهي الرواية الصحيحة، الثابتة الصريحة. وكان نزولها يوم النص على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، بغدير خم» .

لكن تاريخ يعقوبي المطبوع في بيروت سنة (مطبوع في دار صادر- بيروت سنة 1379 هـ -و 1960 م) ج 2 ص 43 قد جاء محرفا كما يلي: «وكان نزولها يوم نفر على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه بعد ترحم» .

وقد ذكرنا طائفة أخرى من الكتب المحرفة في كتابنا: «دراسات وبحوث في التاريخ و الإسلام» فراجع.

وعلى كل حال، فليس هذا بالغريب على هؤلاء، وإنما هي «شنشنة أعرفها من أخزم» .

ب- احتجاج الزهراء عليها السلام:

روى شمس الدين أبو الخير الجزري الدمشقي المقرئ الشافعي في كتابه أسنى المطالب في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب ص 49-51 قال عن حديث الغدير:

فألطف طريق وقع بهذا الحديث وأغربه ما حدثنا به شيخنا خاتمة الحفاظ، أبو بكر محمد بن عبد الله بن المحب المقدسي مشافهة: أخبرتنا الشيخة أم محمد زينب ابنة أحمد عبد الرحيم المقدسية، عن أبي المظفر محمد

ص: 86

بن فتيان بن المثنى، أخبرنا أبو موسى محمد بن أبي بكر الحافظ، أخبرنا ابن عمه والدي القاضي أبو القاسم عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد المدني بقراءتي عليه، أخبرنا ظفر بن داعي العلوي باسترabad، أخبرنا والدي و أبو أحمد ابن مطرف المطرفي قالاً: حدثنا أبو سعيد الإدريسي إجازة فيما أخرجه في تاريخ استرabad، حدثني محمد بن محمد بن الحسن أبو العباس الرشدي من ولد هارون الرشيد بسمرقند و ما كتبناه إلا عنه، حدثنا أبو الحسين محمد بن جعفر الحلواني، حدثنا علي بن محمد بن جعفر الأهوازي مولى الرشيد، حدثنا بكر بن أحمد القسري.

حدثتنا فاطمة وزينب و أم كلثوم بنات موسى بن جعفر «عليه السلام»، قلن حدثتنا فاطمة بنت جعفر بن محمد الصادق، حدثني فاطمة بنت محمد بن علي، حدثني فاطمة بنت علي بن الحسين، حدثني فاطمة و سكينه ابنتا الحسين بن علي عن أم كلثوم بنت فاطمة عن فاطمة بنت النبي، رسول الله «صلى الله عليه وآله» و رضي عنها، قالت:

أنسيتم قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم غدیر خم، من كنت مولاه فعلي مولاه؟

وقوله «صلى الله عليه وآله»: أنت مني بمنزلة هارون من موسى «عليهما السلام»؟

و هكذا أخرجه الحافظ أبو موسى المديني في كتابه المسلسل بالأسماء، وقال:

هذا الحديث مسلسل من وجه، و هو أن كل واحدة من الفواطم تروي

عن عمّة لها، فهو رواية خمس بنات أخ كل واحدة منهن عن عمّتها (1).

حديث الولاية إخبار أم إنشاء؟ ! :

و من الأسئلة التي تطرح هنا السؤال التالي:

هل جملة: «من كنت مولاة فهذا علي مولاة» خبرية محضة، أو أنها خبرية يراد بها الإنشاء؟ ! .

و يجاب بما يلي:

إنه سواء أكانت جملة «من كنت مولاة فهذا علي مولاة» خبرية محضة، أم خبرية يراد بها الإنشاء، فإن النتيجة واحدة، ولا يلحق ذلك أي ضرر في الاستدلال بها على ولاية أمير المؤمنين «عليه السلام» . .

غير أننا نقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد أخبرهم وبيّن لهم طيلة أكثر من عشرين سنة أن عليا «عليه السلام» هو الإمام من بعده، و كان ذلك منه «صلى الله عليه وآله» بأمر من الله سبحانه. .

وقد يعترض على ذلك: بأنه إذا كانت ولاية أمير المؤمنين «عليه السلام» ثابتة من أول بعثة النبي «صلى الله عليه وآله»، فما معنى إعادة إنشائها في يوم الغدير؟ فإن إنشاء الولاية فيه معناه: أنها لم تكن ثابتة قبل ذلك، و أنها إنما توجد بهذا الإنشاء. .

و هذه شبهة في دلالة حديث الغدير، من شأنها أن تجعل الناس كلهم معذورين في عدم الالتزام بولايته «عليه السلام». .

ص: 88

و الجواب: إنه لا- مانع من إنشاء الولاية مرة بعد أخرى، فيأتي اللاحق ليؤكد السابق، خصوصا إذا كان هناك من يفكر في الانقلاب على الأعقاب، ويسعى للتشكيك في جدية الأوامر الصادرة، أو في الالتفاف عليها بطريقة أو بأخرى، أو تجاهلها. وهذا نظير تأكيدات رسول الله «صلى الله عليه وآله» على الناس مرة بعد أخرى بأن جهزوا جيش أسامة.

و تتأكد صحة هذا المعنى إذا كان في الحشد المجتمع يوم الغدير من لم تبلغه الإنشاءات السابقة، أو أنه قد طرحت عليه بعض الشبهات، و التشكيكات، من قبل الطامعين، و الطامحين. .

لا دليل على إمامة علي عليه السلام بلا فصل:

وقد يقول بعضهم: لو سلم دلالة الحديث على إمامة علي «عليه السلام» ، فلا نسلم دلالة على كونها بعد النبي «صلى الله عليه وآله» بلا فصل، لكي تنتفي إمامة الثلاثة: أبي بكر، وعمر، وعثمان.

ويرد عليه:

أولا: كيف يترك النبي «صلى الله عليه وآله» في حال تصديه لنصب إمام المسلمين من بعده، حذرا من حضور أجله-كيف يترك-ذكر ثلاثة من خلفائه، وينص على الرابع منهم، والذي سيكون إماما بعد خمس وعشرين سنة من وفاته «صلى الله عليه وآله» ؟ ! .

ولو جاز ذلك، لكان جميع ولاية العهد محل كلام، إذ لا يقول السلطان عادة: هذا ولي عهدي بلا فصل.

ثانيا: لو أخذنا هؤلاء، فإنه حتى لو قال «صلى الله عليه وآله» : من

كنت مولاه فعلي مولاه بعدي، لقالوا: لا منافاة بين البعدية وبين الفصل بغيره، كما صنع القوشجي في قوله: أنت وصيي و خليفتي من بعدي.

بل لو قال: فعلي مولاه بعدي بلا فصل، لقالوا: يحتمل أن يكون المعنى بلا فصل من غير الثلاثة! (1).

ثالثا: إن حديث الغدير يدل على جعل الولاية لعلي «عليه السلام» فعلا. و من حين صدور الكلام. لا أنه يجعلها له بعد وفاته «صلى الله عليه وآله» .

رابعا: إن الخلفاء الثلاثة لم يجعل لهم النبي «صلى الله عليه وآله» ولاية، بل هم الذين استأثروا بالأمر لأنفسهم، فتبقى الولاية المجعلولة له بحديث الغدير بلا مزاحم.

هل الإمامة لتكميل الخطة العملية للدين؟! :

و يحاول بعض الناس أن يزعم: أن الإمامة تدخل في نطاق إكمال البرنامج العملي، الذي لم يكمله النبي «صلى الله عليه وآله» ، فاحتاج إلى من يكمله بعده.

وعلى أساس ذلك تم التفتيش بين المسلمين عن هذه الشخصية التي تستطيع ملء الفراغ بعد النبي «صلى الله عليه وآله» ، فلم يكن غير الإمام علي «عليه السلام» .

ونقول في الجواب:

إنه لا ريب في أن ولاية أمير المؤمنين «عليه السلام» التي أمر الله سبحانه نبيه «صلى الله عليه وآله» بأن يبلغها في يوم الغدير وغيره، جزء من دين

ص: 90

الإسلام الحنيف، وقد دلت نفس الآيات القرآنية التي نزلت في مناسبة الغدير على ذلك. . فلا حظ:

1-قوله تعالى لنبينه «صلى الله عليه وآله»: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِي مُلْكًا مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (1).

حيث يستفاد من هذه الآية:

أولاً: إن عدم تبليغ ولاية أمير المؤمنين علي «عليه السلام» يوازي عدم تبليغ الدين كله. فلو كانت الحاجة إلى الإمام علي «عليه السلام» هي مجرد حاجة إلى مساعد في إكمال البرنامج العملي، فإن ذلك يتم عبر الاستعانة به، وتمهيد الأمور له ليمسك بزمامها، ولا يحتاج ذلك إلى نص عليه من الله، وتسجيل ذلك في آيات قرآنية تتلى إلى يوم القيامة، ولا إلى تبليغ ما أنزل إليه من الله تعالى، ولا يكون ترك ذلك التبليغ بمثابة ترك تبليغ الرسالة كلها. .

إذ إن الحديث في الآية إنما هو عن قيمة مجرد الإبلاغ، وليس الحديث عن نفس الاستعانة بالإمام علي «عليه السلام» في إكمال البرنامج العملي، في حركة الرسالة في الواقع!!

ثانياً: إنه تعالى قد جعل الآخرين الذين لا يرضون بولاية الإمام علي «عليه السلام» من القوم الكافرين، وهم إنما يكفرون بإنكار حقائق الدين، لا بمجرد الاعتراض على أن يكون الإمام علي «عليه السلام» هو المكمل للبرنامج العملي، إذا كان ذلك ناشئاً عن حسد، أو هوى، لا عن تكذيب

ص: 91

لِلرَسُول «صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» ، وَإِنْكَارَ لَصَدَقِهِ فِيمَا يَبْلِغُهُمْ إِيَّاهُ .

ثالثاً: إن الظاهر هو أن السبب في اعتبار عدم إبلاغ ولايته «عليه السلام» مساوياً لعدم إبلاغ الرسالة كلها، هو أن أعمال العباد لا تقبل بدون ولاية الإمام علي «عليه السلام»، فلو أن أحداً قام ليله، وصام نهاره، وحج دهره، ولم يأت بولاية الإمام علي «عليه السلام» لم ينفعه ذلك كله شيئاً .

كما أن ولايته صلوات الله وسلامه عليه شرط لاكتمال التوحيد، وفقاً لما روي عن الإمام الرضا «عليه السلام»، عن آبائه «عليهم السلام»، عن جبرئيل «عليه السلام»، عن الله سبحانه وتعالى: «كَلِمَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَصْنِي، فَمَنْ دَخَلَ حَصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي» .

ثم قال الإمام الرضا «عليه السلام»: «بشروطها، وأنا من شروطها» (1).

ص: 92

1- راجع: نقله في مجلة مدينة العلم، (السنة الأولى) ص 415 عن صاحب تاريخ نيسابور، وعن المناوي في شرح الجامع الصغير، وهي أيضاً في الصواعق المحرقة ص 122، و حلية الأولياء ص 192، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 135 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج 1 ص 145 و أمالي الصدوق ص 208، و ينابيع المودة ص 364 و 385 وقد ذكر قوله «عليه السلام»: «أنا من شروطها، في الموضع الثاني فقط. و البحار ج 49 ص 123 و 126 و 127 ج 3 ص 7 عن ثواب الأعمال، و معاني الأخبار، و عيون أخبار الرضا «عليه السلام»، و التوحيد، و الفصول المهمة لابن الصباغ ص 240 و نور الأبصار ص 141 و نقلها في مسند الإمام الرضا ج 1 ص 43 و 44 عن التوحيد، و معاني الأخبار، و كشف الغمة ج 3 ص 98. و هي موجودة في مراجع كثيرة أخرى. لكن يلاحظ: أن بعض هؤلاء قد حذف قوله «عليه السلام»: «بشروطها، وأنا من شروطها»، و لا يخفى السبب في ذلك. و راجع: التوحيد ص 25 و ثواب الأعمال للصدوق ص 7 و معاني الأخبار للصدوق ص 371 و روضة الواعظين للفتال النيسابوري ص 42 و المناقب لابن شهر آشوب ج 2 ص 296 و عوالي اللآلي ج 4 ص 94 و نور البراهين للجزائري ج 1 ص 76 و مستدرك سفينة البحار ج 2 ص 235 و مسند الإمام الرضا «عليه السلام» للعطاردي ج 1 ص 44 و راجع: ينابيع المودة ج 3 ص 123.

وفي نص آخر: «ولاية علي بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي» .

و معنى ذلك أنه لا فرق بينهما لجهة: أن كلا منهما-أي التوحيد، و ولاية الإمام علي «عليه السلام» - حصن الله سبحانه.

فقوله تعالى: وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ (1) يعطينا: أن حقائق الإسلام و شرائعه و أحكامه بمثابة الجسد، المكتمل في تكوينه، و الجامع لكل الميزات، و الحائز على جميع الإمكانيات و الطاقات. . ولكنه يبقى خامدا هامدا، لا فائدة فيه إلا إذا نفخت فيه الروح، فتبدأ اليد بالحركة، و تدب فيها القوة، و تصبح العين قادرة على الرؤية، و الأذن متمكنة من السمع، و تعطيه اليقظة في العقل و في المشاعر و الأحاسيس و . . . الخ. .

فولاية الإمام علي «عليه السلام» إذن بمثابة هذه الروح التي تجعل كل أحكام الدين و شرائعه، و حقائقه و قضاياه مؤثرة في الغايات المتوخاة منها، موصلة إلى الله تعالى، هادية إليه. .

فإذا لم يبلغ الرسول «صلى الله عليه و آله» هذه الولاية، فإنه لم يبلغ أي شيء من رسالة الله سبحانه. . لأن جميع ما بلغه يكون ناقصا، و بلا فائدة و لا عائدة، إذ ليس فيه روح و حركة و حياة، و لا يثمر ثمرة، و لا يؤدي إلى نتيجة. .

ص: 93

2- الآية الثانية: وهي قوله تعالى: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا (1)**. أفادت بملاحظة نزولها بمناسبة تبليغ ولاية الإمام علي «عليه السلام» يوم الغدير:

أولا: إن ولاية الإمام علي «عليه السلام» جزء من الدين، ولا يكمل الدين إلا بها. .

ثانيا: إن الإسلام كله لا يكون دينا مرضيا لله سبحانه بدون هذه الولاية. . فلو كانت الحاجة إلى الإمام علي «عليه السلام» هي لمجرد المساعدة في إكمال البرنامج العملي في حركة الرسالة في الواقع، فلا معنى لربط رضا الله لدينه بها، فإن الدين إذا اكتمل، فإنه يصبح مرضيا، سواء طبّقه الناس، أم عصوا الله فيه. .

أضف إلى ذلك أن الكل يعلم: أن الإمام عليا «عليه السلام» قد أقصي عن مركزه الذي جعله الله تعالى له. . فهل بقي هذا الرضا الإلهي لدين الإسلام، أم أنه قد ذهب وزال بسبب ذلك الإقصاء أيضا. . فإذا كنا لا نشك في أن رضاه تعالى للإسلام قد بقي، فذلك يعني أن نفس إبلاغ الولاية هو الذي يكمل به الدين، وليس لطاعة الناس و معصيتهم أثر في ذلك. .

ثالثا: إن رضاه تعالى للإسلام دينا قد حصل بمجرد حصول ذلك الإبلاغ. وقد نزلت الآية الدالة على ذلك بمجرد حصول ذلك الإبلاغ، و لم يكن البرنامج العملي قد أكمل بعد. وذلك يعني أن الذي حصل بالإبلاغ هو إكمال الدين به فقط. . وذلك ظاهر لا يخفى.

ص: 94

وبذلك يتضح: أن ما ذكره ذلك البعض من أن آية الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ قد نزلت قبل نصب علي «عليه السلام» يوم الغدير وأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد بلغ الرسالة للناس (1)، ينافي الآيتين المتقدمتين منافاة ظاهرة، ولا أقل من أنه ينافي صريح الآية الثانية. .

على أن مقتضى كلامه هو أن الإمام عليا «عليه السلام» لم يكن هو الإنسان الذي اصطفاه الله قبل خلق الخلق، إذ مقتضاه: أن الأمر لا ينحصر بالإمام علي «عليه السلام»، فأى إنسان سواه كان يمكنه أن يساعد في إكمال البرنامج العملي، يمكن الاستعانة به، وقد يكون هناك اثنان أو أكثر كان بإمكانهم- لو اجتمعوا- أن يقوموا مقام الإمام علي «عليه السلام» في ذلك. .

ويشير إلى ذلك قول ذلك البعض نفسه: «فلا بد أن يتم التفتيش بين المسلمين عن الشخصية التي تستطيع ملء الفراغ بعد رسول الله الخ. .» (2).

وهذا يخالف ما عليه مذهب شيعة أهل البيت «عليهم السلام»، وما هو الثابت لهم بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة من القرآن ومن السنة الشريفة. .

ويبقى أن نشير إلى أن ما ورد في السؤال من طلب معرفة الفرق بين الدين، وبين البرنامج العملي. فنقول:

إن ذلك من أوضح الواضحات، وأبده البديهيات، فإن الدين هو مجموعة الأحكام والشرائع، والحقائق الإيمانية، الثابتة، التي يطلب من

ص: 95

1- نظرة إسلامية حول الغدير ص 16 من 18.

2- المصدر السابق ص 19.

الناس الإيمان والعمل بها، إلى يوم القيامة. .

وأما البرنامج العملي، فهو ما يطلب من خلاله تهيئة الظروف و المناخات لحمل الناس على قبول تلك الحقائق و الإيمان بها، وعلى الالتزام العملي بتلك الشرائع و الأحكام. .

وهذا الأمر لا يحتاج إلى جعل، ولا إلى تشريع، بل هو نتيجة جهد بشري، سواء في مجال التخطيط، أو في مجال التنفيذ. و التدخل الإلهي في هذه الصورة إن كان، فهو إنما يأتي على سبيل المعونة و التسديد، وليس على سبيل الجعل و التشريع. .

و أين هذا من الدين الذي لا بد من الرجوع فيه إلى الله سبحانه، و الانتهاء إليه فيه. .

وعلى كل حال نقول:

لو كانت القضية قضية إكمال برنامج عملي لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، يرتبط بتعميق الإسلام لدى أناس كانوا حديثي عهد بالجاهلية. . لم يكن الناس في الأجيال اللاحقة بحاجة إلى ولاية الإمام علي «عليه السلام»، لا من حيث الاعتقاد، و لا في دائرة العمل و الممارسة. . و لكانت قضية ولايته محصورة بذلك الجيل من الناس دون سواهم. .

كان الغدير ردا على زيد بن حارثة!! :

و جاء في حديث احتجاج المأمون على الفقهاء، و فيهم إسحاق بن إبراهيم قول المأمون لإسحاق: يا إسحاق، هل تروي حديث الولاية؟

قلت: نعم يا أمير المؤمنين.

ص: 96

قال: إروه.

ففعلت.

قال: يا إسحاق، رأيت هذا الحديث، هل أوجب على أبي بكر وعمر ما لم يوجب لهما عليه؟

قلت: إن الناس ذكروا: أن الحديث إنما كان بسبب زيد بن حارثة، لشيء جرى بينه وبين علي، وأنكر ولاء علي، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه.

قال: في أي موضع قال هذا؟ أليس بعد منصرفه من حجة الوداع؟

قلت: أجل.

قال: فإن قتل زيد بن حارثة قبل الغدير!

كيف رضيت لنفسك بهذا؟

أخبرني لو رأيت ابنا لك قد أتت عليه خمسة عشر سنة يقول: مولاي مولى ابن عمي أيها الناس؟ فاعلموا ذلك. أكنت منكرا ذلك عليه تعريفه الناس ما لا ينكرون ولا يجهلون؟

فقلت: اللهم نعم.

قال: يا إسحاق أفتنزه ابنك عما لا تنزه عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟

ويحكم لا تجعلوا فقهاءكم أربابكم إن الله جل ذكره قال في كتابه: **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ (1)**. ولم يصلّوا لهم، ولا

ص: 97

صاموا، ولا زعموا أنهم أرباب، ولكن أمروهم فأطاعوا أمرهم (1).

والظاهر: أن إشكال المأمون هذا قد أتى ثماره، حيث جاء المصلحون بعد ذلك ليقولوا: إن هذه الحادثة قد جرت بين أسامة بن زيد بن حارثة وبين علي. . وقد كان أسامة حيا آنذ، والذي قتل في مؤتة هو أبوه. . فذكروا: أن أسامة قال لعلي «عليه السلام»: لست مولاي، إنما مولاي رسول الله.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «من كنت مولاه فعلي مولاه» (2).

ومن الواضح: أن إشكال المأمون باستشهاد زيد في مؤتة يدل على أن إقحام اسم أسامة قد جاء متأخرا بهدف حل هذا الإشكال.

لكن لو سلمنا باستبدال زيد بأسامة، فإن إشكال المأمون بعدم معقولية أن يقول الرجل: مولاي مولى ابن عمي. . يبقى على حاله. .

يضاف إلى ذلك: أنه لو صحت رواياتهم، فلا معنى لأن يوقف النبي «صلى الله عليه وآله» عشرات الآلاف في حر الرمضاء، ولا معنى لأخذ

ص: 98

1- قاموس الرجال ج 12 ص 155 والغدير ج 1 ص 211-212 والإمام علي «عليه السلام» في آراء الخلفاء للشيخ مهدي فقيه إيماني ص 182-197 وفي هامشه عن: العقد الفريد ج 5 ص 92-101 و (ط أخرى) ج 5 ص 56-61 و عيون أخبار الرضا للصدوق ج 2 ص 185-200 باختلاف يسير.

2- تحفة الأحوذى ج 10 ص 148 والنهاية لابن الأثير ج 5 ص 228 وعن السيرة الحلبية ج 3 ص 277 وفيض القدير شرح الجامع الصغير ج 6 ص 282 ومعاني القرآن للنحاس ج 6 ص 411 و كتاب الأربعين للماحوزي ص 164 و خلاصة عبقات الأنوار ج 7 ص 42 والغدير ج 1 ص 383 و لسان العرب ج 15 ص 410 و شرح إحقاق الحق ج 6 ص 244 و 291.

البيعة له. . ولا معنى لقول عمر: أصبحت مولاي و مولى كل مؤمن و مؤمنة. . ولا معنى لأن يحتاج إلى العصمة من الناس. . ولا معنى لإكمال الدين وإتمام النعمة، ولا معنى. . ولا معنى. . إذا كان ينحصر بهذا الخلاف البسيط بين أسامة وبين علي «عليه السلام» .

علي عليه السلام كان باليمن:

و ذكر ياقوت الحموي: أن محمد بن جرير الطبري «له كتاب فضائل علي بن أبي طالب «عليه السلام» ، تكلم في أوله بصحة الأخبار الواردة في غدير خم، ثم تلاه بالفضائل، ولم يتم» (1).

وقال: «وكان إذا عرف من إنسان بدعة أبعد و أطرحه. و كان قد قال بعض الشيوخ ببغداد بتكذيب غدير خم، وقال: إن علي بن أبي طالب كان باليمن في الوقت الذي كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» بغدير خم.

وقال هذا الانسان في قصيدة مزدوجة، يصف فيها بلدا بلدا و منزلا منزلا، أبياتا يلوح فيها إلى معنى حديث غدير خم، فقال:

ثم مررنا بغدير خمكم قائل فيه بزور جم

على علي و النبي الأمي

و بلغ أبا جعفر ذلك، فابتدأ بالكلام في فضائل علي بن أبي طالب، و ذكر طرق حديث غدير خم، فكثر الناس لاستماع ذلك الخ. .» (2).

ص: 99

1- معجم الأدباء ج 18 ص 80 و قاموس الرجال ج 9 ص 152.

2- معجم الأدباء ج 18 ص 84 و الغدير ج 1 ص 152.

وقال الطحاوي: «فدفع دافع هذا الحديث، وزعم أنه مستحيل، وذكر أن عليا لم يكن مع النبي «صلى الله عليه وآله» في خروجه إلى الحج من المدينة، الذي مرّ في طريقه بغدير خم بالجحفة.». (1).

ونقول:

إن عليا «عليه السلام» لم يكن باليمن آنئذ، لأنه عاد منها في أيام الحج، وشارك في حجة الوداع، وأشركه النبي «صلى الله عليه وآله» معه في الهدي، وبعد انتهاء حجة الوداع توجه النبي «صلى الله عليه وآله» و معه علي «عليه السلام» إلى المدينة، و جرت قصة الغدير في طريق العودة (2).

و يفهم من كلام الذهبي: أن الذي تكلم في حديث الغدير ودفعه وردّه بهذا الزعم الباطل، هو ابن أبي داود، فبلغ ذلك محمد بن جرير، فعمل كتاب الفضائل، ثم قال: قلت: رأيت مجلدا من طرق الحديث لابن جرير، فاندعشت له، و لكثرة تلك الطرق (3).

و ذكر ابن طاووس: أن ابن جرير سمى كتابه المشار إليه: «كتاب الرد

ص: 100

-
- 1- تذكرة الحفاظ ج 2 ص 713 رقم 728 و الغدير ج 1 ص 314 و 294.
 - 2- إقبال الأعمال ص 453 و أشار إلى كتاب ابن جرير في البداية و النهاية ج 11 ص 146 و تهذيب التهذيب ج 7 ص 339 و الفهرست للطوسي ص 150.
 - 3- تذكرة الحفاظ ج 2 ص 713 و مشكل الآثار ج 2 ص 308 و الصواعق المحرقة ص 42 و 43 و المعتصر من المختصر ج 2 ص 301 و المرقاة في شرح المشكاة ج 10 ص 476 و المسترشد للطبري (الشيعة) ص 43 و خلاصة عبقات الأنوار ج 7 ص 219 و الغدير ج 1 ص 152 و 307 و الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» لأحمد للرحماني ص 808 و فتح الملك العلي لابن الصديق المغربي ص 15.

على الحر قوصية» (1). نسبة إلى حر قوص، أحد زعماء الخوارج، كأنه يشير إلى أن الذي شكك في حديث الغدير كان من هذه الفرقة الخبيثة.

من هما العبدان الصالحان؟! :

ورد في رواية جرير بن عبد الله البجلي لواقعة الغدير: أنه «صلى الله عليه وآله» أخذ بذراع علي «عليه السلام» وقال:

«من يكن الله ورسوله مولا، فإن هذا مولا، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. اللهم من أحبّه من الناس فكن له حبيبا، ومن أبغضه فكن له مبغضا. اللهم إني لا أجد أحدا استودعه في الأرض بعد العبدین الصالحین (2)

ص: 101

1- راجع: مشكل الآثار ج 2 ص 308 و الصواعق المحرقة ص 42 و 43 و المعتصر من المختصر ج 2 ص 301 و المرقاة في شرح المشكاة ج 10 ص 476 و شرح الأخبار ج 1 ص 81 و المسترشد للطبري (الشيعة) ص 35 و إقبال الأعمال لابن طاووس ج 2 ص 239 و البحار ج 37 ص 126 و الغدير ج 1 ص 153 و رجال النجاشي ص 322 و قاموس الرجال ج 9 ص 151 و 154 و 193.

2- الغدير (تحقيق مركز الغدير للدراسات) ج 1 ص 621 عن مجمع الزوائد ج 9 ص 106 و المعجم الكبير ج 2 ص 357 و هداية العقول ص 31 و قال في الغدير: في تعليق هداية العقول (ص 31): لعله أراد بالعبدین الصالحین أبا بكر وعمر، وقيل: الخضر وإلياس، و قيل: حمزة وجعفر رضي الله عنهما، لأن عليا «عليه السلام» كان يقول عند اشتداد الحرب: وا حمزاه ولا حمزة لي؟ وا جعفره ولا جعفر لي؟ أقول: هذا رجم بالغيب، إذ لا مجال للنظر في تفسير العبدین الصالحین بمن ذكر إلا أن يعثر على نص، و الظاهر: عدم ذلك لما ذكره سيدي العلامة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن المفضل «رحمه الله» لما سألهم عن تفسير الحديث، فأجاب بما لفظه: لم أعثر عليه في شيء من كتب الحديث إلا أن في رواية مجمع الزوائد ما يدل على عدم معرفة الراوي أيضا بالمراد بالرجلين لأن فيه قال بشر أي الراوي عن جرير: قلت: من هذان العبدان الصالحان؟ قال: لا أدري. قال «رحمه الله»: و مثل هذا إن لم يرد به نقل فلا طريق إلى تفسيره بالنظر أه . و قال في كتاب على ضفاف الغدير: وأخرجه عنه أحمد بن عيسى المقدسي في الجزء الثاني من فضائل جرير بن عبد الله البجلي الموجود في المجموع 93 في المكتبة الظاهرية. أخرجه في الورقة 240. وأخرجه ابن عساكر في تاريخه: رقم 587، و ابن منظور في مختصر تاريخ دمشق ص 17 ص 358، و القرافي في نفحات العبير الساري: ق 76/ب، و السيوطي في جمع الجوامع ص 1 ص 831، و في قطف الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة ص 277 ح 102، و الزبيدي في لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة ص 206، و الشوكاني في در السحابة ص 210، و الكتاني في نظم المتناثر في الحديث المتواتر ص 194 و إسحاق بن يوسف الصنعاني في تفرج الكروب في حرف الميم.

غيرك (1)، فاقض له بالحسنى.

قال بشر (الراوي عن جرير) قلت: من هذان العبدان الصالحان؟

قال: لا أدري (2).

ص: 102

1- راجع: الغدير ج 1 هامش ص 62.

2- أسد الغابة ج 1 ص 308 وقال: أخرجه الثلاثة. يريد: ابن عبد البر، وابن منة، وأبا نعيم.

ولم يرضوا بتفسير العبدین الصالحین بأنهما الخضر وإلیاس، وقالوا: لا بدّ من أن یحدّدهما نصّ المعصوم، وهو غیر موجود (1).

الزهری لا یحدث بفضائل علی علیه السّلام:

وقد حدث الزهری بحديث الغدير، فقیل له: لا تحدث بهذا بالشّام وأنت تسمع ملء أذنیك سب علی.

فقال: واللّه، إن عندي من فضائل علی «عليه السّلام» ما لو تحدّثت بها لقتلت (2).

وهذا يعطي: أنّ هذا الرجل كان یکتّم من فضائل علی «عليه السّلام» ما هو أهم من حديث الغدير. . وذلك خوفا من القتل، فما بالك بما كان یکتّمه الآخرون من فضائله صلوات اللّه وسلامه علیه!

نص الطبري مؤيد بالنصوص:

وإذا تأملنا في نص خطبة الغدير، وما جرى في التهنئة به، الذي رواه محمد بن جریر الطبري، صاحب التاريخ المعروف، والتفسير الموصوف، ورواه الطبرسي في الإحتجاج وآخرون، ثم راجعنا النصوص المختلفة الأخرى، فسنخرج بنتیجة حاسمة هي: أنه نص جدير بالتأمل، لأن النصوص الأخرى

ص: 103

1- راجع الهامش الذي في الصفحة قبل السابقة.

2- أسد الغابة ج 1 ص 308 وقاموس الرجال ج 12 ص 38 و خلاصة عبقات الأنوار ج 7 ص 228 و الغدير ج 1 ص 24 و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج 6 ص 274 و 376.

تؤيده، و الأحداث و الوقائع تسدده، و تشيده و تؤكد. .

و إذا كانت البيعة في يوم الغدير قد استمرت مدة طويلة، قيل: ثلاثة أيام، وقيل: غير ذلك، فلماذا لا يكون «صلى الله عليه وآله» قد خطب الناس مرة بعد أخرى في تلك الأيام، لكي يقيم الحجة على أبلغ وجه وأتمه، و ليسمعهم المزيد مما ربما يكون أكثر المجتمعين لم يسمعه منه. إذ لعل معظمهم لم يكن قد رأى النبي «صلى الله عليه وآله» قبل ذلك، ولن يراه أكثرهم بعد ذلك.

أما شرح مضامين هذه الخطبة، و الإلمام بدلالات سائر ما جرى فلا بد لنا من الاعتذار عنه، لأنه يحتاج إلى توفر تام، و جهد مستقل.

جبريل. . و عمر بن الخطاب:

لا بد من ذكر الواقعة التي نوقشت هاهنا، وهي في كتاب الغدير الجزء الأول.

و نقول:

لعل عمر بن الخطاب قد بهره جمال ذلك الشاب الذي كان إلى جانبه، حيث لم يعهد في أقرانه، و نظرائه الذين يعرفهم شيئا يذكر من الجمال، باستثناء بني هاشم، فأثار ذلك عجبه، و لم يتهيأ له أن يسأل ذلك الشاب عن نفسه، فروى ما رأى للنبي «صلى الله عليه وآله» عله يعرف منه شيئاً عنه.

أو لعله أراد من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يأتي بذلك الشاب و يؤنبه، على ما فرط منه، حين اتهم من يسعى في حل هذا العقد بأنه منافق.

أو أنه أراد أن يسمع من النبي «صلى الله عليه وآله» كلمة مفادها: أن

الأمر لا يبلغ إلى هذا الحد. وأن الشاب قد أخطأ في تقديره. .

و حينئذ فقط يمكنه أن يروي هذه الواقعة للآخرين.

ولكن عمر قد فوجئ بما لم يكن يخطر له على بال، فقد أخبره النبي «صلى الله عليه وآله» بأن ذلك الشاب هو جبرئيل، وكم كانت جميلة تلك اللحظات التي حلم عمر فيها أن يتمكن من رواية ما يسمعه للآخرين على سبيل التفاخر والمباهاة، باعتبار أن رؤية جبرئيل حدث متميز، ربما يشير إلى خصوصية غير عادية في من يوفق لرؤية هذا الملاك العظيم.

ولكن الذي يصده عن ذلك، كان أعظم وأخطر، فإن ذلك الشاب الجميل الصورة، قد حكم على من يسعى في حل هذا العقد بالنفاق. .

وقد صدق النبي «صلى الله عليه وآله» قوله، مبينا أن قائل هذا القول هو جبرئيل «عليه السلام» .

وإذا عرف الناس ذلك، فسيكون سببا في زيادة تعقيد الأمور أمام الساعين في حل هذا العقد، وعمر بن الخطاب منهم، بل هو العنصر الأبرز والأقوى، والأشد صلابة فيه.

إن ذلك يمثل تأكيدا على أن الله هو الذي أبرم هذا العقد، وأن أي سعي في الإتجاه الآخر سيكون تمردا على الله مباشرة. وليس بالإمكان لمن يعترف بأن جبريل هو الذي حكم بنفاق من يحل العقد أن يدعي للناس: أن من الممكن أن يكون هذا التدبير من ابتكارات رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حبا بصهره وابن عمه. .

قد عرفنا في الفصل السابق: أن قريشا، و من هم على رأيها هم الذين كانوا يخططون لصرف الأمر عن بني هاشم، وبالذات عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه الصلاة والسلام»، و كانوا يتصدون لملاحقة هذا الأمر و متابعتة في جميع تفاصيله و جزئياته، دون كلل أو ملل، و لو عن طريق إثارة الشكوك و الشبهات، و اختلاق الشائعات، و حياكة المؤامرات، و توجيه الاتهامات إلى حد اتهام النبي «صلى الله عليه و آله» بنزاهته، و في عدله، و حتى في عقله. حتى قالوا عنه: إنه يهجر. . و كانت قريش تتحدى، و تمنع بالقول، و بالفعل، حتى منعت النبي «صلى الله عليه و آله» من إعلان هذا الأمر في عرفات، ثم في منى. فراجع.

وقد رأوا: أن رسول الله «صلى الله عليه و آله» كان في مختلف المواقع و المواضع لا يزال يهتف باسمه، و يؤكد على إمامته، لكن الأصعب و الأمر عليهم أن يعلن إمامته «عليه السلام» أمام تلك الجموع الغفيرة، التي جاءت للحج من جميع الأقطار و الأمصار، و لأجل ذلك بادروا إلى التشويش و الإخلال بالنظام. و حين غلبوا على أمرهم، و أعلن «صلى الله عليه و آله» أن الأئمة اثنا عشر كانت قريش بالذات هي التي قصدت النبي

«صلى الله عليه وآله» في منزله بعد هذا الموقف مباشرة، لتستوضح منه ماذا يكون بعد هؤلاء الأئمة، لترى إن كان لها نصيب في هذا الأمر ولو بعد حين.

فكان الجواب: ثم يكون الهرج.

وفي نص آخر: (الفرج)، كما رواه الخزاز (1).

والظاهر: أن هذا هو الصحيح.

وقد رأى النبي «صلى الله عليه وآله»: أن مجرد التلميح لهذا الأمر، قد دفعهم إلى هذا المستوى من الإسفاف والإسراف في التحدي لإرادة الله سبحانه. ولشخص النبي «صلى الله عليه وآله»، دون أن يمنعهم من ذلك شرف المكان، ولا خصوصية الزمان، ولا قداسة المتكلم، وشأنه وكرامته. حسبما أشار إليه «صلى الله عليه وآله» في تقريره لهم حين سألهم عن أي شهر أعظم حرمة، وأي بلد أعظم حرمة، وأي يوم أعظم حرمة (2).

ص: 110

1- راجع: كفاية الأثر ص 52 ويقارن ذلك مع ما في إحقاق الحق (الملحقات) وغيبة النعماني وغيرهما. فإنهم صرحوا بأن قريشا هي التي أتته.

2- راجع هذه الفقرات: في خطبة النبي «صلى الله عليه وآله» في حجة الوداع في المصادر التالية: مسند أحمد ج 3 ص 313 و 371 و كنز العمال ج 5 ص 286 و 287 و المصنف لابن أبي شيبة ج 8 ص 600 و الكافي ج 7 ص 273 و 275 و دعائم الإسلام ج 2 ص 484 و المجموع للنووي ج 8 ص 466 و ج 14 ص 231 و المحلى لابن حزم ج 7 ص 288 و الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج 29 ص 10 و (ط دار الإسلامية) ج 19 ص 3 و التفسير الصافي ج 2 ص 67 و تفسير نور الثقلين ج 1 ص 655 و تفسير القمي ج 1 ص 171 و مستدرک الوسائل ج 17 ص 87 و البحار ج 37 ص 113 و إمتاع الأسماع ج 10 ص 343 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 391 و البداية و النهاية ج 5 ص 215 و جامع أحاديث الشيعة ج 26 ص 100 و مستدرک سفينة البحار ج 7 ص 170 إضافة إلى مصادر أخرى تقدمت.

فكيف لو صرح «صلى الله عليه وآله» بذلك، و جهر باسمه «عليه الصلاة والسلام» في ذلك الموقف، فقد يصدر منهم ما هو أمر وأدهى، وأشر وأقبح، وأشد خطرا على الإسلام وأهله.

وقد فضح الله بذلك أمر هؤلاء المتظاهرين بغير حقيقتهم، أمام فئات من الناس، جاءت للحج من كل حذب و صوب، وسيرجع الناس بذكريات مرة عنهم، ليحدثوا بها أهلهم، وأصدقاءهم، وزوارهم. . في زمان كان الرجوع من سفر كهذا، والنجاة من أخطاره ومشقاته، بمثابة ولادة جديدة. .

التدخل الإلهي:

ثم جاء التهديد الإلهي لهم، فحسم الموقف، وأبرم الأمر، و ظهر لهم أنهم عاجزون عن الوقوف في وجه إرادة الله، القاضية بلزوم إقامة الحجة على الناس كافة، وفق ما يريد الله ويرتضيه. وأدركوا: أن استمرارهم في المواجهة السافرة قد يؤدي بهم إلى حرب حقيقية، مع الله ورسوله، وبصورة علنية ومكشوفة.

فلم يكن لهم بد من الرضوخ، والانصياع، لا سيما بعد أن أفهمهم الله سبحانه: أنه يعتبر عدم إبلاغ هذا الأمر بمثابة عدم إبلاغ أصل الدين،

وأساس الرسالة، وأن معارضتهم لهذا الإبلاغ، تجعلهم في جملة أهل الكفر، المحاربين، الذين يحتاج الرسول إلى العصمة الإلهية منهم.

وهذه الأمور الثلاثة قد تضمنتها الآية الكريمة التي حددت السياسة الإلهية تجاههم، فهي تقول:

وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (1).

والتأكيد على هذه الأمور الثلاثة معناه: أن القرار الإلهي هو أنه تعالى سوف يعتبر عدم تبليغ هذا الأمر للناس بصورة علنية بمثابة العودة إلى نقطة الصفر، وخوض حروب في مستوى بدر، وأحد والخندق، وحنين وسواها من الحروب التي خاضها المسلمون ضد المشركين، من أجل تثبيت أساس الدين وإبلاغه.

ومن الواضح لهم: أن ذلك سوف ينتهي بهزيمتهم وفضيحتهم، وضياع كل الفرص، وتلاشي جميع الآمال في حصولهم على امتياز يذكر، أو بدونه، حيث تكون الكارثة بانتظارهم، حيث البلاء المبرم، والهلاك والفناء المحتّم.

فأثروا الرضوخ-مؤقتا-إلى الأمر الواقع، والانحناء أمام العاصفة، في سياسة غادرة و مأكرة. . ولزمتهم الحجة، بالبيعة التي أخذت منهم له «عليه السلام» في يوم الغدير. وقامت الحجة بذلك على الأمة بأسرها أيضا. ولم يكن المطلوب أكثر من ذلك. وكان ذلك قبل استشهاد «صلى الله عليه

ص: 112

سياسة الفضائح:

ولكن ذلك لم يكن ليمنعهم من ادعاء التوبة عما صدر عنهم، و الندم على ما بدر منهم، و ادعاء أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد رضي عليهم و سامحهم، وأنه قد استجدت أمور دعت النبي إلى العدول عن ذلك كله، فصرف النظر عن تولي الإمام علي «عليه السلام» للأمر بعده. . ربما لأنه رأى أن العرب لن ترضى بهذا الأمر، لأن عليا «عليه السلام» وترها، وقتل رجالها. . أو لغير ذلك من أسباب. .

1- فكانت قضية تجهيز جيش أسامة، و ظهور عدم انصياعهم لأوامر النبي «صلى الله عليه وآله» و انسحابهم من منظومة ذلك الجيش، و سعيهم في تعطيل مسيره، رغم إصرار النبي «صلى الله عليه وآله» عليهم في ذلك، حتى لقد لعن «صلى الله عليه وآله» من تخلف عن جيش أسامة. .

كانت هذه القضية هي الدليل الآخر على أنهم لا يزالون على سياساتهم تجاه النبي «صلى الله عليه وآله»، و أنهم كانوا دائما بصدد عصيان أوامره، رغم شدة غضبه «صلى الله عليه وآله»، منهم، و من موقفهم. .

وقد يعتذرون عن ذلك بأن جبههم للنبي «صلى الله عليه وآله»، و خوفهم من أن يحدث له أمر في غيبتهم، هو الذي دعاهم إلى هذا العصيان، فليس هو عصيان تمرد و لا هو عن سوء نية، بل هو يدل على أنهم في غاية درجات الحسن و الصلاح. .

ثم إنهم قد يقولون للناس -وقد قالوا ذلك بالفعل-: إن لعن النبي لهم

هو من أسباب زيادة درجات الصلاح فيهم، حيث روى الرواة عنه «صلى الله عليه وآله» زورا وبهتانا، أنه قال:

«والله إنني بشر، أَرْضَى وَأَغْضِب، كما يَغْضِبُ الْبَشَرُ، اللَّهُمَّ مِنْ سَبِيَّتِهِ، أَوْ لَعْنَتِهِ، فَاجْعَلْ ذَلِكَ زَكَاةً لَهُ وَرَحْمَةً». . أو نحو ذلك من الألفاظ (1).

2- فجاءت قضية صلاة أبي بكر بالناس، في مرض موته «صلى الله عليه وآله»، وعزل النبي «صلى الله عليه وآله» له عنها، لتفسد عليهم أي ادعاء لأن يكونوا أهلاً لما هو أدنى من مقام إمامة الأمة، وخلافة النبوة، فإن

ص: 114

1- راجع: مسند أحمد ج 2 ص 243 و 493 و ج 6 ص 52 و صحيح مسلم ج 8 ص 26 و 27 و شرح مسلم للنووي ج 16 ص 151 و مجمع الزوائد ج 8 ص 267 و فتح الباري ج 11 ص 147 و أبو هريرة لشرف الدين ص 43 ص 91 و قاموس الرجال ج 10 ص 125 و التاريخ الكبير للبخاري ج 4 ص 109 و تاريخ مدينة دمشق ج 67 ص 326 و أسد الغابة ج 4 ص 386 و البداية والنهاية ج 8 ص 113 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 267 و ج 2 ص 251 و 252 و سبل الهدى والرشاد ج 10 ص 434 و عمدة القاري ج 22 ص 310 و عون المعبود ج 12 ص 270 و 271 و مسند ابن راهويه ج 1 ص 275 و ج 2 ص 543 و الآحاد والمثاني ج 2 ص 200 و صحيح ابن حبان ج 14 ص 444 و الاستذكار ج 2 ص 75 و تخريج الأحاديث والآثار ج 2 ص 261 و اللمع في أسباب ورود الحديث ص 82 و كنز العمال ج 3 ص 609 و 611 و 613 و الفتح السماوي ج 2 ص 768 و تفسير السمعاني ج 2 ص 369 و ج 3 ص 223 و أحكام القرآن ج 3 ص 431 و تفسير الرازي ج 22 ص 231 و الجامع لأحكام القرآن ج 10 ص 227 و تفسير الآلوسي ج 15 ص 24 و 25 و مكاتيب الرسول ج 1 ص 587 و 589 و 617 و الغدير ج 8 ص 251 و 252.

عدم الأهلية حتى للإمامة في الصلاة، التي لا تحتاج إلا إلى صحة القراءة «و العدالة» (1)، يكشف عن عدم الصلاحية لمقام الإمامة الذي يحتاج إلى العلم الغزير، وإلى العدالة، وإلى الشجاعة، وإلى غير ذلك من صفات. .

ولكنهم قد يعتذرون عن ذلك أيضا بالتشكيك في اشتراط العدالة، ويروون عن النبي «صلى الله عليه وآله» زورا و بهتاناً أيضا أنه قال: «صلوا خلف كل بر وفاجر» . . ثم يفتي فقهاؤهم بذلك، أو يدعون أن النبي هو الذي صلى خلف أبي بكر، كما صلى -بزعمهم الفاسد و رأيهم الكاسد- خلف عبد الرحمن بن عوف. . و يدعون. . و يدعون. .

3-فجاءت قضية كتابة النبي «صلى الله عليه وآله» الكتاب الذي لن يضلوا بعده أبدا، لتظهر كيف أنهم لا يتورعون حتى عن اتهام النبي «صلى الله عليه وآله» في عقله، حتى ليقول قائلهم: «إن النبي ليهجر» !! أو قال كلمة معناها: «غلبه الوجع» .

رغم أنه «صلى الله عليه وآله» لم يصرح لهم بأنه يريد أن يعين الخليفة من بعده، بل قال: «أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي أبدا» . . فواجهوه بهذا الأمر العظيم، فكيف لو زاد على ذلك ما هو أوضح وأصرح؟!

ألا يحتمل أن يبادروا حتى إلى قتله؟!

وقد يعتذرون عن ذلك أيضا بأن الذي تجرأ على النبي «صلى الله عليه وآله» وواجهه بهذا القول، هو عمر بن الخطاب قد ندم و تاب، وقد يدعون أنه اعتذر إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ، وأنه «صلى الله عليه وآله» قد عذره

ص: 115

1- وفق مذهب أهل البيت «عليهم السلام» فقط.

بل لقد قالوا: إن ما صنعه عمر، من منع النبي «صلى الله عليه وآله» من كتب الكتاب كان هو الأصح والأصلح، وأنه لو كتب ذلك الكتاب لاختلف المسلمون، ولكانت المصيبة أعظم. وسيأتي بيان ذلك

4-فجاء ما جرى على السيدة الزهراء «عليها السلام» ليؤكد إصرارهم على مناوأة النبي «صلى الله عليه وآله» في أهدافه، وعلى أنهم لا يتورعون حتى عن الاعتداء على البنت الوحيدة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» . . إلى حد إسقاط الجنين، وكسر الضلع، وضربها إلى حد التسبب باستشهادها. . وذلك بعد أن جمعوا الألوف من المقاتلين، خصوصا من قبيلة بني أسلم. التي كانت تعيش أعرابيتها بالقرب من المدينة، وقد قال تعالى: وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ (1).

وقد يعتذرون عن ذلك ويقولون للناس أيضا: لعن الله الشيطان لقد كانت ساعة غضب وعجلة، ولم تكن نحب أن نسيء إلى بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله» . . وقد ندمننا أعظم الندم على ما صدر و بدر منا-رغم أن لنا، أسوة برسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فإنه إذا كان النبي قد ييدر منه حين الغضب ما لا يناسب مقامه، وفقا لحديث: إني بشر أرضى وأغضب كما يغضب البشر، اللهم من سببته أو لعنته الخ. . فكيف يمكن تنزيه غيره «صلى الله عليه وآله» عن مثل ذلك؟!

وهذا معناه: أن ما صدر منهم لا يعني بالضرورة أنهم لا يصلحون

ص: 116

لمقام الإمامة والخلافة، خصوصا وأن ما صدر منهم تجاه السيدة الزهراء «عليها السلام» كان في ساعات حرجة، مشوبة بالكثير من الإنفعال والتوتر، وهم يزعمون: أنهم يسعون فيها إلى حفظ الإسلام، قبل انتشار الأمر، وفساد التدبير. .

5- فجاءت قضية فدك لتبين أن هؤلاء غير صادقين فيما يدّعون، وأنهم يفقدون أدنى المواصفات لمقام خلافة النبوة، فهم:

غير مأمونين على دماء الناس، كما أظهره فعلهم بالسيدة الزهراء «عليها السلام» .

وغير مأمونين على أعراضهم، كما أوضحه هتكهم لحرمة بيتها، وهي التي تقول: خير للمرأة أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل.

وغير مأمونين على أموال الناس كما أوضحه ما صنعوه في فدك. .

فإذا كانوا لا يحفظون أموال ودماء وعرض رسول الله، فهل يحفظون دماء وأعراض وأموال الضعفاء من الناس العاديين؟! !

وإذا كانوا يجهلون حكم الإرث، فقد علمتهم إياه السيدة الزهراء «عليها السلام» .

وبعد التعليم، والتذكير، فإن الإصرار يدل على فقدانهم لأدنى درجات الأمانة والعدالة.

فهل يمكنهم بعد ذلك كله ادعاء أنهم يريدون إقامة العدل، وحفظ الدماء، والأعراض، والأموال، وتعليم الناس دينهم، وتربيتهم، وبث فضائل الأخلاق فيهم، وغير ذلك. .

والنتيجة من ذلك هي: أن هؤلاء القوم قد أصروا على صرف هذا

الأمر عن الإمام علي «عليه السلام»، و نكثوا بيعته، و أجبروا الناس على البيعة لهم. .

وقد توسلوا للوصول إلى أهدافهم بقوة السلاح، فجهزوا ألوفاً من المقاتلين من قبيلة بني أسلم، وفرضوا على الناس البيعة، وأهانوهم من أجلها، وسحبوهم إلى البيعة من بيوتهم سحباً، و حملوهم عليها قهراً، و جبراً، كما صرحت به النصوص التاريخية.

وكان هناك من يدلهم على البيوت التي اختبأ فيها أفراد لا يريدون البيعة لأبي بكر، فكانوا يستخرجون الرجلين و الثلاثة، و يأتون بهم ملبسين، مهانين إلى المسجد ليبيعوا أبا بكر. .

و بعد أن تضايقت سكك المدينة بالرجال المسلحين من بني أسلم و غيرهم، فإنه إن كان هناك أفراد يحبون نصره الإمام علي «عليه السلام» ، فكيف يمكنهم الوصول إليه؟! و قد أخذ الرجال عليهم أقطار الأرض، و آفاق السماء؟!!

لقد كان ما جرى إنقلاباً مسلحاً بكل معنى الكلمة، قام به أناس بعد وفاة النبي «صلى الله عليه و آله» ، و بعد إحساسهم بالآمن، و بالقوة.

فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ (1).

وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَ أَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَ لِيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ (2).

ص: 118

1- الآية 10 من سورة الفتح.

2- الآية 13 من سورة العنكبوت.

وقد يدور بخلد بعض الناس السؤال التالي: إنه كيف يمكن أن نصدق أن يقدم عشرات الألوف من الصحابة على مخالفة ما رسمه النبي «صلى الله عليه وآله» لهم في أمر الخلافة والإمامة. وهم أصحابه الذين رباهم على الورع والتقوى، وقد مدحهم الله عز وجل في كتابه العزيز، وذكر فضلهم، وهم الذين ضحوا في سبيل هذا الدين، وجاهدوا فيه بأموالهم وأنفسهم؟!!

ونقول في الجواب:

إن ما يذكرونه حول الصحابة أمر مبالغ فيه. وذلك لأن الصحابة الذين حجوا مع النبي «صلى الله عليه وآله» قبيل وفاته، وإن كانوا يعدون بعشرات الألوف. ولكن لم يكن هؤلاء جميعا من سكان المدينة، ولا عاشوا مع النبي «صلى الله عليه وآله» فترات طويلة، تسمح له بتربيتهم وتزكيتهم، وتعليمهم وتعريفهم بأحكام الإسلام، ومفاهيمه.

بل كان أكثرهم من بلاد أخرى، بعيدة عن المدينة أو قريبة منها، وقد فازوا برؤية النبي «صلى الله عليه وآله» هذه المرة، ولعل بعضهم كان قد رآه قبلها أو بعدها بصورة عابرة أيضا، ولعله لم يكن قد رآه.

ولعل معظمهم -بل ذلك هو المؤكد- قد أسلم بعد فتح مكة، وفي عام الوفود، سنة تسع من الهجرة: فلم يعرف من الإسلام إلا اسمه، ومن الدين إلا رسمه، مما هو في حدود بعض الطقوس الظاهرية والقليلة.

وقد تفرق هؤلاء بعد واقعة الغدير مباشرة، وذهب كل منهم إلى أهله وبلاده.

ولم يبق مع رسول الله بعد حادثة الغدير، إلا أقل القليل، ربما بضعة

مئات من الناس، ممن كان يسكن المدينة.

وربما كان فيهم العديد من الخدم والعبيد، والأتباع، بالإضافة إلى المنافقين الذين هم ممن حولهم من الأعراب و من أهل المدينة، مردوا على النفاق، ولم يكن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يعلمهم بصورة تفصيلية، وكان الله سبحانه هو الذي يعلمهم (1).

قال تعالى: وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ (2).

هذا إلى جانب فئات من الناس، من أهل المدينة نفسها، كانوا لا يملكون درجة كافية من الوعي للدين، وأحكامه ومفاهيمه، وسياساته، بل كانوا مشغولين بزراعتهم، وبأنفسهم، وتجاراتهم، وملذاتهم، فإذا رأوا تجارة أو لهوا، انفضوا إليها، وتركوا النبي «صلى الله عليه وآله» قائما.

وقد تعرض كثير من الناس منهم لتهديدات النبي «صلى الله عليه وآله» بحرق بيوتهم، لأنهم كانوا يقاطعون صلاة الجماعة التي كان يقيمها رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالذات، كما أنه قد كان ثمة جماعة اتخذت لنفسها مسجدا تجتمع فيه، وتركت الحضور في جماعة المسلمين، وهو ما عرف بمسجد الضرار، وقد هدمه «صلى الله عليه وآله»، كما هو معروف.

وتكون النتيجة هي أن من كان في ساحة الصراع والعمل السياسي في

ص: 120

1- الظاهر: أنه لا- يعلمهم في مقام الظاهر، وفقا لوسائل العلم العادية، أما بعلم الشاهدية، فإنه كان «صلى الله عليه وآله» يرى أعمال الخلائق. .

2- الآية 101 من سورة التوبة.

المدينة، هم أهل الطموحات، وأصحاب النفوذ من قريش، صاحبة الطول و الحول في المنطقة العربية بأسرها. بالإضافة إلى أفراد معدودين من غير قريش أيضاً.

فكان هؤلاء هم الذين يدبرون الأمور، ويوجهونها بالاتجاه الذي يصب في مصلحتهم، ويؤكد هيمنتهم، ويحركون الجماهير بأساليب متنوعة، اتقنوا الاستفادة منها بما لديهم من خبرات سياسية طويلة.

فكانوا يستفيدون من نقاط الضعف الكثيرة لدى السذج والبسطاء، أو لدى غيرهم ممن لم يستحكم الإيمان في قلوبهم بعد، ممن كانت تسيرهم الروح القبلية، و تهيمن على عقلياتهم وروحياتهم المفاهيم والرواسب الجاهلية.

وكان أولئك الذين وترهم الإسلام-أو قضى على الإمتيازات التي لا يستحقونها، وقد استأثروا بها لأنفسهم ظلما وعلوا-كانوا-يسارعون إلى الاستجابة إلى أي عمل يتوافق مع أحقادهم، وينسجم مع مشاعرهم وأحاسيسهم الثائرة ضد كل ما هو حق و خير، و دين وإسلام.

وهذا هو ما عبر عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله» حينما ذكر: أن تأخير إبلاغ أمر الإمامة بسبب أنه كان يخشى قومه، لأنهم قريبو عهد بجاهلية، بغیضة و مقیة، لا يزال كثيرون منهم يعيشون بعض مفاهيمها، و تهيمن عليهم بعض أعرافها.

وهكذا يتضح: أن الخيار الواعين من الصحابة، كانوا قلة قليلة. و حتى لو كثر عددهم، فإن الآخرين هم الذين كانوا يقودون التيار، بما تهيأ لهم من عوامل و ظروف، في المدينة التي كانت بمثابة قرية صغيرة، لا يصل عدد سكانها إلى بضعة ألوف من الناس، لا تصل إلى عدد أصابع اليد الواحدة، قد

عرفنا بعض حالاتهم، فكان أن تمكنوا من صرف أمر الخلافة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن أصحابها الشرعيين، إلى غيرهم، حسبما هو مذكور و مسطور في كتب الحديث و التاريخ.

محاولة قتل رسول الله صلى الله عليه وآله:

هذا. . وقد تقدم: أن بعض النصوص يقول: إن التنفير برسول الله «صلى الله عليه وآله» ليلة العقبة، ليسقط في ذلك الوادي السحيق قد كان بعد حجة الوداع، وبعد البيعة لعلي «عليه السلام» في يوم الغدير (1).

ولعله يمكن ترجيح هذا القول لكثير من الإعتبارات التي اتضح جانب كبير منها.

خلاصة و بيان:

وبعد ما تقدم، فإنه يصبح واضحاً أن الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» كان يواجه عاصفة من التحدي، و الإصرار على إفشال الخطط الإلهية، بأي ثمن كان، و بأي وسيلة كانت!

و أن التدخل الإلهي، و التهديد القرآني إنما هو موجه إلى العناصر التي أثارت تلك العاصفة، لإفهامهم: أن إصرارهم على التحدي، يوازي في خطورته و في زيف نتائجه، وقوفهم في وجه الدعوة الإلهية من الأساس.

ص: 122

1- البحار ج 28 ص 99 و إرشاد القلوب للدليمي ص 331 و كتاب سليم بن قيس (بتحقيق الأنصاري) ص 272 و العقد النضيد و الدر الفريد لمحمد بن الحسن القمي ص 114 و المحتضر ص 109 و البحار ج 28 ص 128.

وقد حسم هذا التدخل الموقف، ولجم التيار، لا سيما بعد أن صرح القرآن بكفر من يتصدى، ويتحدى، وتعهد بالحماية والعصمة له «صلى الله عليه وآله»: «وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (1)».

وإذا كان الله سبحانه هو الذي سيتصدى لكل معاند و جاحد، فمن الواضح: أنه ليس بمقدور أحد أن يقف في وجه الإرادة الإلهية، فما عليهم إلا أن ينسحبوا من ساحة التحدي، من أجل أن يقيم الله حجته، ويبلغ الرسول «صلى الله عليه وآله» دينه ورسالته.

وليؤثروا بإثم المكر والبغي، ول يحملوا وزر النكث والخيانة. .

ص: 123

1- الآية 67 من سورة المائدة.

الفصل الأول: مرض النبي ووصاياه

الفصل الثاني: سرية أسامه بن زيد

الفصل الثالث: الكتاب الذي لم يكتب

الفصل الرابع: تمحلات بالية وأعدار واهية

الفصل الخامس: عزل أبي بكر عن الصلاة

الفصل السادس: أحداث الوفاة في النصوص والآثار

الفصل السابع: تغسيل رسول الله صلى الله عليه وآله

الفصل الثامن: تكفين النبي صلى الله عليه وآله والصلاة عليه

مدة مرض رسول الله صلى الله عليه وآله:

قال الحافظ: اختلف في مدة مرضه «صلى الله عليه وآله»، فالأكثر على أنها ثلاثة عشر يوماً.

وقيل: بزيادة يوم.

وقيل: بنقصه.

وقيل: تسعة أيام. رواه البلاذري عن علي «عليه السلام».

وقيل: عشرة، وفيه جزم سليمان التيمي.

وكان يخرج إلى الصلاة إلا أنه انقطع ثلاثة أيام.

قال في العيون: أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يصلي بالناس، فصلى بهم فيما روينا سبع عشرة صلاة، ورواه البلاذري عن أبي بكر بن أبي سبرة (1).

ص: 129

1- راجع: سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 244 وفتح الباري ج 8 ص 98 وراجع: إمتاع الأسماع ج 2 ص 130 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 507 و البداية و النهاية ج 5 ص 276 وعمدة القاري ج 18 ص 60 و الكامل لابن عدي ج 4 ص 26 و تاريخ مدينة دمشق ج 30 ص 298 و سير أعلام النبلاء ج 8 ص 506.

حديث لد النبي صلى الله عليه وآله خرافة:

وقد ذكروا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد لدّ في مرض موته (1)، (أي أنهم داووه باللدود، وهو من الأدوية ما يسقاه المريض في أحد شقي الفم) (2)، في اليوم الذي ثقل فيه، واشتد ما يجده حتى أغمي عليه، وذلك في يوم الأحد (3)، قبل وفاته «صلى الله عليه وآله» بيوم واحد.

فمن النصوص والآثار التي حكّت لنا ذلك:

1- ما رواه البخاري وغيره عن عائشة قالت: لدناه في مرضه، فجعل يشير إلينا: أن لا تلدونى، فقلنا: كراهية المريض للدواء، فلما أفاق قال: ألم أنهكم أن تلدونى؟

قلنا: كراهية المريض للدواء.

فقال: لا يبقى أحد في البيت إلا لد وأنا أنظر، إلا العباس فإنه لم

ص: 130

1- شرح النهج للمعتزلي ج 13 ص 31 و ج 10 ص 266 و 267 و ذخائر العقبى ص 192 و تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 438 و إمتاع الأسماع ج 14 ص 434 و السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 1065 و عمدة القاري ج 18 ص 73 و سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 228 و البداية والنهاية ج 5 ص 245 و إمتاع الأسماع ج 10 ص 328 و ج 14 ص 433 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 446.

2- وفي لسان العرب ج 3 ص 390 عن الفراء، قال: اللد أن يؤخذ بلسان الصبي فيمد إلى أحد شفثيه، ويوجر في الآخر الدواء في الصدف بين اللسان وبين الشدف.

3- كنز العمال ج 10 ص 573.

2- ولفظ محمد بن سعيد: كانت تأخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله» الخاصرة، فاشتدت به فأغمي عليه، فلما أفاق قال: هذا من فعل نساء جئن من هنا، وأشار إلى الحبشة، وإن كنتم ترون أن الله يسلط علي ذات الجنب، ما كان الله ليجعل لها علي سلطانا، والله لا يبقى أحد في البيت إلا لد، فما بقي أحد في البيت إلى لد، ولدنا ميمونة وهي صائمة (2).

3- ومن طريق أبي بكر بن عبد الرحمن: أن أم سلمة وأسماء بنت عميس أشارتا بأن يلدوه (3).

وفي رواية رواها عبد الرزاق بسند صحيح: أن قضية اللد قد جرت في

ص: 131

1- صحيح البخاري ج 3 ص 54 و (ط دار الفكر) ج 5 ص 143 و ج 7 ص 17 و ج 8 ص 40 و 42 و صحيح مسلم ج 7 ص 24 و شرح مسلم للنووي ج 14 ص 199 و عمدة القاري ج 18 ص 73 و ج 21 ص 248 و 249 و ج 24 ص 48 و 57 و تغليق التعليق ج 4 ص 164 و صحيح ابن حبان ج 14 ص 554 و كتاب الوفاة للنسائي ص 29 و تحفة الأحوذى ج 6 ص 170 و البداية و النهاية ج 5 ص 246 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 437 و مسند ابن راهويه ج 5 ص 42 و السنن الكبرى للنسائي ج 4 ص 255 و 375 و شرح النهج للمعتزلي ج 13 ص 32، و مسند أحمد ج 1 ص 53 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 449.

2- فتح الباري ج 8 ص 112 و 113 و عمدة القاري ج 18 ص 73 و سبل الهدى و الرشاد ج 12 ص 228.

3- راجع: فتح الباري ج 8 ص 113 و في الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 236: أنهما لدتا.. .

بيت ميمونة، وأن نساء تشاورن في ذلك، فلما أفاق قال: هذا من فعل نساء جنن من ها هنا وأشار إلى الحبشة (1).

4- قال المعتزلي: «وإن أهل داره ظنوا: أن به ذات الجنب فلدوه وهو مغمى عليه، وكانت العرب تداوي باللدود من ذات الجنب، فلما أفاق علم أنهم قد لدّوه، فقال: «لم يكن الله ليسلطها عليّ، لدوا كل من في الدار» ،

فجعل بعضهم يلد بعضا» (2).

5- وفي رواية عن العباس: أنه دخل على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعنده نساؤه فاستترن مني إلا ميمونة، فقال: لا يبقى في البيت أحد شهد اللد إلا لد الخ. (3).

6- وفي رواية مطولة عن عائشة، قالت: وفرنح الناس إليه، فظننا أن به

ص: 132

1- راجع: المصنف للصنعاني ج 5 ص 429 و مسند ابن راهويه ج 5 ص 42 و موارد الزمآن ج 7 ص 57 و كنز العمال ج 7 ص 268 و تاريخ مدينة دمشق ج 26 ص 333 و الثقات لابن حبان ج 2 ص 131 و المعجم الكبير ج 24 ص 140 و فتح الباري ج 8 ص 112، و المستدرك للحاكم ج 4 ص 202 و صحيح ابن حبان ج 14 ص 553 و مجمع الزوائد ج 9 ص 33 و مسند أحمد ج 1 ص 438، لكن فيه: أن الذي اتهم نساء الحبشة هو غير النبي «صلى الله عليه وآله» .

2- شرح النهج للمعتزلي ج 10 ص 266 و مسند أبي يعلى ج 12 ص 62 و راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 236.

3- مسند أحمد ج 1 ص 209 و تاريخ مدينة دمشق ج 26 ص 333 و راجع: مجمع الزوائد ج 5 ص 181 و مسند أبي يعلى ج 12 ص 62 و سبل الهدى والرشاد ج 11 ص 252.

ذات الجنب، فلددناه ثم سرّي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأفارق فعرف أنه قد لد، ووجد أثر اللدود، فقال: ظننتم أن الله عز وجل سلطها علي؟ ما كان الله يسلطها علي، والذي نفسي بيده، لا يبقى في البيت أحد إلا لد إلا عمي، فرأيتهم يلدونهم رجلا رجلا.

وقالت عائشة، ومن في البيت يومئذ فتذكر فضلهم، فلد الرجال أجمعون، وبلغ اللدود أزواج النبي «صلى الله عليه وآله»، فلددن امرأة امرأة، حتى بلغ اللدود امرأة منا-قال ابن أبي الزناد: لا أعلمها إلا ميمونة قال: وقال بعض الناس: أم سلمة-قالت: إني والله صائمة.

فقلنا: بئسما ظننت أن نتركك وقد أقسم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلددناها، والله يابن أختي، وإنها لصائمة (1).

7-عن ابن عباس، قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن خير ما تداويهم به السعوط، و اللدود، و الحجامه، و المشي.

فلما اشتكى رسول الله «صلى الله عليه وآله» لده أصحابه، فلما فرغوا قال: لدوهم، قال: فلدوا كلهم غير العباس. (2).

وعنه أيضا: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لده العباس وأصحابه،

ص: 133

1- مسند أحمد ج 6 ص 118 و المستدرک للحاکم ج 4 ص 203 و تاریخ مدينة دمشق ج 26 ص 332 و تغلیق التعليق ج 4 ص 166 و مسند أبي يعلى ج 8 ص 354 و سبل الهدى و الرشاد ج 12 ص 227.

2- سنن الترمذي ج 3 ص 262 و 264 و الطب النبوي لابن القيم الجوزي ص 41 و العهود المحمدية للشعراني ص 586 و الفائق ج 3 ص 313 و النهاية ج 4 ص 245، وزاد: أنه فعل ذلك عقوبة لهم.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: من لدني؟ فكلهم أمسكوا.

فقال: لا يبقى أحد في البيت إلا لد غير عمه العباس.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث عباد بن منصور (1).

8- وأخيرا. فقد روت عائشة قالت: أغمى على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والدار مملوءة من النساء: أم سلمة، وميمونة، وأسماء بنت عميس، وعندنا عمه العباس بن عبد المطلب، فأجمعوا على أن يلدوه، فقال العباس: لا ألدّه، فلدوه.

فلما أفاق قال: من صنع بي هذا؟

قالوا: عمك.

قال لنا: هذا دواء جاء من نحو هذه الأرض -وأشار إلى أرض الحبشة- قال: فلم فعلتم ذلك؟

فقال العباس: خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجنب.

فقال: إن ذلك لداء ما كان الله ليقدفني به، لا يبقى أحد في البيت إلا لد إلا عمي.

قال: فلقد لدت ميمونة وإنها لصائمة لقسم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، عقوبة لهم بما صنعوا. (2).

ص: 134

1- سنن الترمذي ج 3 ص 265.

2- شرح النهج للمعتزلي ج 13 ص 31 و 32 و ذخائر العقبى ص 192 و تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 438 و السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 1065 و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 471 و راجع: تاريخ مدينة دمشق ج 26 ص 333 و المعجم الكبير ج 24 ص 140.

ونحن بدورنا لا نصدق هذه الروايات، وذلك لما يلي:

أولاً: عدا عن المناقشة في أسانيدها. فإن في هذه الروايات تناقضاً واختلافاً، ونحن نكتفي بذكر موارد خمسة لهذه التناقضات، ونترك الباقي لنظر القارئ وملاحظته، فنقول:

1-رواية تذكر: أن العباس قد لده.

وأخرى تقول: إنه رفض أن يلده، واكتفى بالإشارة بذلك. .

وثالثة تقول: لم يشارك لا في لده ولا في المشورة به (1).

2-واحدة تقول: إن صحابته قد لدوا رجلاً رجلاً حتى بلغ اللدود نساء «صلى الله عليه وآله» .

وأخرى تذكر: أن اللد كان للنساء فقط. .

وثالثة تذكر: أن اللد كان لصحابته، ولا تشير إلى النساء أصلاً. .

3-ثم هناك الخلاف في من التدت وهي صائمة، هل هي: أسماء بنت عميس، أو هي ميمونة. .

4-واحدة تذكر: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يعرف باللد إلا عندما أفاق، حيث وجد أثره في فمه، وأخرى تذكر أنه نهاهم عن ذلك صراحة أو بالإشارة، ولكنهم لم يمثلوا لأنهم اعتبروا أن ذلك منه كراهة المريض للدواء. .

5-رواية تذكر: أن اللدود دواء جاءهم من قبل الحبشة. . وأخرى تقول: «كانت العرب تداوي باللدود من به ذات الجنب» .

ص: 135

1- راجع: شرح النهج للمعتزلي ج 13 ص 32 و 33 وراجع المصادر المتقدمة في الهوامش السابقة.

إلا أن يقال: لا منافاة بينهما، فلعله كان يأتي من الحبشة، فتأخذه العرب، فتداوي به مرضاها.

ثانيا: لقد صرحت رواية المعتزلي، و الزمخشري، وابن الأثير (1): بأن الرسول «صلى الله عليه وآله» أراد أن يلدهم جميعا عقوبة لهم. . و هذا «فيه نظر، لأن الجميع لم يتعاطوا ذلك» (2) فلماذا يعاقب غير الجنة؟! . .

ولو سلم أنهم جميعا استحقوا العقوبة لتركهم الإنكار على الفاعلين، ولا سيما مع نهيه «صلى الله عليه وآله» لهم عن ذلك. .

فيرد عليه: أنهم إذا كانوا قد ظنوا أنه «صلى الله عليه وآله» نهاهم عن ذلك كراهية المريض للدواء كما يدعون، فهم معذورون في ذلك لأنهم قد انساقوا مع تأويلهم وفهمهم. .

هذا كله، عدا عن أن بعض الروايات تنكر أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد نهاهم عن ذلك، بل تصرح: بأنه لم يعرف بالأمر إلا بعد إفاقة من إغمائه. .

ولو سلم. . فإنهم في فعلهم ذلك كانوا يحسبون أنهم يحسنون له «صلى الله عليه وآله»، ويبرونه، ويحافظون عليه، فهل هم مع هذا يستحقون عقابا أو تأديبا كما يزعمه العسقلاني؟! (3).

و هل ذلك منه «صلى الله عليه وآله» لهم إلا كجزاء سنمار؟! . .

ثم ليس يقولون: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن ينتقم لنفسه من

ص: 136

1- الفائق ج 3 ص 313، و النهاية ج 4 ص 245، وفيهما: فعل ذلك عقوبة لهم، لأنهم لدوه بغير إذنه. و راجع المصادر في الهوامش السابقة.

2- فتح الباري ج 8 ص 112.

3- نفس المصدر السابق.

أحد؟! (1)، فلماذا غيّر عاداته في هذا الوقت بالذات؟ ..!

ولو سلم أنهم يستحقون العقاب، فهل عقابهم يكون على هذه الصورة؟! .

وهل كل من لدّ شخصا مع عدم رضاه تكون عقوبته اللدّ في المقابل؟! .

وكيف صار عقاب المرتكب للجريمة هو نفس عقاب الراضي بالفعل، وهل كل من رضي بفعل قوم لا بد وأن يتعرض لنفس العقاب الذي يتعرّضون له؟! فلو قتل رجل رجلا ورضي به آخر، فهل يقتلان معا: الراضي والقاتل على حد سواء؟! .

إلى غير ذلك من الأسئلة التي تحتاج إلى أجوبة مقنعة ومفيدة. .

ثالثا: الرواية تصرّح: بأن الله لم يكن ليبثليه «صلى الله عليه وآله» بذات الجنب. . ولكن أبا يعلى روى لنا بسند فيه ابن لهيعة، عن عائشة نفسها: أن النبي «صلى الله عليه وآله» مات من ذات الجنب (2).

قال المعتزلي: «و احتج الذهابون إلى أن مرضه كان ذات الجنب بما روي من انتصابه و تعذر الإضطجاع و النوم عليه.

قال سلمان الفارسي: دخلت عليه صبيحة يوم قبل اليوم الذي مات فيه، فقال لي: يا سلمان، ألا تسأل عما كابدته الليلة من الألم و السهر أنا و علي؟

فقلت: يا رسول الله، ألا أسهر الليلة معك بدله؟

ص: 137

1- نفس المصدر السابق.

2- تهذيب التهذيب ج 5 ص 331 و سبل الهدى و الرشاد ج 12 ص 227 و المعجم الأوسط ج 9 ص 6 و فتح الباري ج 8 ص 113، و شرح النهج للمعتزلي ج 10 ص 267 و مسند أبي يعلى ج 8 ص 258 و عمدة القاري ج 21 ص 253 و مجمع الزوائد ج 9 ص 34 و المستدرک للحاكم ج 4 ص 405.

فقال: لا، هو أحق بذلك منك» (1).

وقال من شرح قول علي «عليه السلام» في نهج البلاغة: (وفاضت بين نحري وصدري نفسك) «يروى: أنه «صلى الله عليه وآله» قذف دما يسيرا وقت موته، و من قال بهذا القول زعم أن مرضه كان ذات الجنب، وأن القرحة التي كانت في الغشاء المستبطن للإضلاع انفرجت في تلك الحال، وكانت فيها نفسه «صلى الله عليه وآله» . .» (2).

رابعاً: لو سلمنا: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يمت من ذات الجنب، وإنما مات بالحمى والسرسام الحار. . فإننا لا يمكن أن نقبل أنهم ظنوا: أن به ذات الجنب، وذلك لأن الحاكم قد روى في المستدرک أن: «ذات الجنب من الشيطان. .» (3).

ص: 138

-
- 1- شرح النهج للمعتزلي ج 10 ص 267 و 266 على الترتيب، وراجع: كتاب الأربعين للشيرازي ص 129 و مستدرک سفينة البحار ج 7 ص 381 و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج 6 ص 533.
 - 2- شرح النهج للمعتزلي ج 10 ص 267 و 266 على الترتيب.
 - 3- المستدرک ج 4 ص 405 و مسند ابن راهويه ج 2 ص 577 و مسند أحمد ج 6 ص 274 و فتح الباري ج 8 ص 113 و عمدة القاري ج 21 ص 253 و سبل الهدى و الرشاد ج 11 ص 459 و ج 12 ص 228 و كنز العمال ج 11 ص 469 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 438 و البداية و النهاية ج 5 ص 245 و إمتاع الأسماع ج 10 ص 328 و ج 11 ص 228 و إمتاع الأسماع ج 14 ص 433 و 435 و الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ج 2 ص 120 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 446.

فإذا كانت من الشيطان فلا يصح أن يتوهموا أن به ذات الجنب، لأن الشيطان ليس له سلطان على عباد الله الصالحين من المؤمنين، فكيف بسيد الأنبياء والمرسلين: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ (1) وقال تعالى حكاية لكلام الشيطان: لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ (2).

وقول ابن حجر العسقلاني: إن ذات الجنب تطلق بإزاء مرضين: الورم الحار الذي يعرض للغشاء المستبطن، والآخر ريح محتقن بين الأضلاع، والأول هو المنفي له «صلى الله عليه وآله» عن نفسه (3).

لا يحل الإشكال، لأنه لو كان كذلك. فقد كان عليه «صلى الله عليه وآله»: أن يبين أيهما هو المعني بكلامه نفيًا وإثباتًا. . و كان على الباحثين ذكر ذلك عنه، وإذا كان كذلك ولم يبين فلا بد أن يحمل كلامه على ما هو المتعارف، والتفكيك في كلامه يحتاج إلى دليل.

ثم كيف يكون هذا هو المنفي في كلامه مع أنه هو الذي يقولون: إنه مات به كما تقدم نقله عن المعتزلي؟! ..

خامسًا: إذا كان «صلى الله عليه وآله» مغمى عليه حينما لدّوه كما تقول رواية البخاري، فما معنى تصريح نفس تلك الرواية بأنه «صلى الله عليه وآله» يشير إلينا أن لا تلدّوني؟! .

فقلنا: كراهة المريض للدواء.

ص: 139

1- الآية 42 من سورة الحجر.

2- الآية 83 من سورة ص، والآية 40 من سورة الحجر.

3- فتح الباري ج 8 ص 112 و ج 10 ص 145 و سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 228.

وروايات أخرى تصرّح: بأنه «صلى الله عليه وآله» قد علم بأنهم لدّوه بعد إفاقته من الإغماء. وهذا يتنافى مع رواية البخاري: إنه أشار إليهم أن لا يلدّوه، فقالوا: كراهة المريض للدواء.

سادسا: قول بعض الروايات: إن جميع أزواج النبي «صلى الله عليه وآله» قد احتجبن من العباس سوى ميمونة غريب، فإن العباس وإن كان زوج أخت ميمونة، ولكن ذلك لا يخرجّه عن كونه رجلا أجنبيا عنها كسائر الرجال الأجانب، فلماذا لا تحتجب منه ميمونة زوج النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»؟! .

وأخيرا. فقد قال المعتزلي: «وسألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد البصري عن حديث اللدود، فقلت: ألدّ علي بن أبي طالب ذلك اليوم؟ فقال: معاذ الله، لو كان لدّ لذكرت عائشة ذلك فيما تذكره وتنعه عليه.

قال: وقد كانت فاطمة حاضرة في الدار، وابناها معها، أفترها لدّت أيضا؟ ولدّ الحسن والحسين؟! كلا، وهذا أمر لم يكن، وإنما هو حديث ولدّه من ولدّه تقريبا إلى بعض الناس الخ.». .

ثم يذكر: أن من لدّ هو فقط أسماء بنت عميس و ميمونة، وأن الدواء جاء به جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة (1).

ولكن كيف ذلك ونحن نرى ابن أبي الحديد نفسه يصّرح: بأن اللدود كانت تستعمله العرب لذات الجنب؟! (2) كما تقدم.

ص: 140

1- شرح النهج للمعتزلي ج 13 ص 32.

2- شرح النهج للمعتزلي ج 10 ص 266.

وهكذا يتضح: أن هذه الرواية لا يمكن أن تصح، وأن ذكرها في صحيح البخاري وغيره لا يبرر الالتزام بها، وتصديقها. .

ولعل سر اختلاقها هو إظهار صحة نسبة الهجر إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مرضه. ولعل النقيب المعتزلي يشير إلى هذا في عبارته الآتية.

وما أكثر الأكاذيب والمفتريات على نبي الأمة الأعظم «صلى الله عليه وآله»، رد الله كيد الكاذبين والمنحرفين إلى نحورهم، وعصمنا من الزلل في الفكر وفي القول والعمل.

الدنانير وعائشة:

عن سهل بن سعد قال: كان عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» سبعة دنانير وضعها عند عائشة، فلما كان في مرضه قال: يا عائشة، ابعتي الذهب إلى علي، ثم أغمي عليه، وشغل عائشة ما به، حتى قال ذلك مرارا، كل ذلك يغمي على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويشغل عائشة ما به، فبعث به إلى علي فتصدق به (1).

وعن المطلب بن عبد الله بن حنطب: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله»

ص: 141

1- سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 250 عن ابن سعد والطبراني برجال الصحيح، وراجع: مجمع الزوائد ج 3 ص 124 و اليهود المحمدية للشعراني ص 158 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 239 و إمتاع الأسماع ج 14 ص 515 و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج 8 ص 627 و المعجم الكبير ج 6 ص 198 و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 472.

وآله» قال لعائشة-وهي مسندته إلى صدرها-: «يا عائشة، ما فعلت تلك الذهب؟

قالت: هي عندي.

قال: فأنفقيها، ثم غشي عليه و هو على صدرها، فلما أفاق قال: هل أنفقت تلك الذهب يا عائشة؟!

قالت: لا والله يا رسول الله.

قالت: فدعا بها فوضعها في كفه، فعدّها، فإذا هي ستة دنانير، فقال: ما ظن محمد بربه أن لو لقي الله و هذه عنده؟ فأنفقها كلها، و مات من ذلك اليوم (1).

و عن عائشة قالت: قال لي رسول الله «صلى الله عليه وآله» في وجعه الذي مات فيه: ما فعلت بالذهب؟

قلت: هو عندي يا رسول الله.

قال: ائت بها.

فأتيت بها، فجعلها في كفه، و هي بين الخمس و السبع، فرفع بها كفه و قال: أنفقيها، و قال: ما ظن محمد إن لقي الله و هذه عنده، أنفقيها (2).

ص: 142

1- سبل الهدى و الرشاد ج 12 ص 250 عن ابن سعد، و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 237 و راجع: إمتاع الأسماع ج 14 ص 516.

2- سبل الهدى و الرشاد ج 12 ص 250 عن مسدد، و أبي عمر، و ابن أبي شيبة، و أحمد برجال الصحيح، و تاريخ مدينة دمشق ج 4 ص 110 و إمتاع الأسماع ج 2 ص 292 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 238 و صحيح ابن حبان ج 8 ص 8.

وعن سهل بن يوسف عن أبيه عن جده قال: أعتق النبي «صلى الله عليه وآله» في مرضه أربعين نفسا (1).

و نقول: 1- لا ندري لماذا تتوانى عائشة في تنفيذ أمر النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» لها بإرسال الذهب إلى علي «عليه السلام» ، حتى تلجئه إلى معاودة هذا الأمر مرارا وتكرارا، من دون فائدة أو عائدة؟ ! حتى اضطر أن يبادر هو بنفسه «صلى الله عليه وآله» إلى أن يبعث به لعلي «عليه السلام» ليتصدق به؟ !

وما الذي كان يشغل عائشة عن امتثال ما يأمرها به النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ؟ ! ألم تكن عائشة تستطيع أن تقول لأي إنسان دخل عليها: خذ تلك الدنانير التي في ذلك المكان إلى علي ليتصدق بها؟ !

و إذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي يعاني من الأوجاع، فمم كانت عائشة تعاني؟ !

وما الذي كانت تفعله للنبي «صلى الله عليه وآله» حين كان يتوجع، أو يغمى عليه؟ ! أليس غاية ما تدعي أنها فعلته له أنها أسندته و هو في وجعه إلى صدرها؟ !

و مع افتراض صحة ذلك، فهل كان هذا يمنعها من امتثال أمره «صلى

ص: 143

1- سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 250 عن أبي طاهر المخلص، وإمتاع الأسماع ج 6 ص 302 و ج 14 ص 516 و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 422 و الترايب الإدارية ج 1 ص 27.

اللّٰه عليه وآله» الذي كرره عليها مرارا و تكرارا؟ !

ألم يكن بإمكانها أن تستفيد من نفس الوسيلة التي استفاد منها رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين اضطر هو إلى مباشرة إرسال تلك الدنانير إلى عليه «عليه السلام» ؟ !

و هل كانت ستتركها إلى هذا الحد لو كان «صلى الله عليه وآله» قد أمرها بإرسال تلك الدنانير إلى أبيها، أو إلى أي كان من الناس غير علي «عليه السلام» ؟ !

و ألا يعتبر تلكؤها هذا من موجبات الأذى لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ؟ !

و أين كانت سائر نساء النبي «صلى الله عليه وآله» عنه في يوم موته؟ ! فلا نسمع إلا اسم عائشة يتردد في كل اتجاه؟ !

و لماذا تركه الناس كلهم حتى علي «عليه السلام» ، و تركته نساؤه كلهم إلا عائشة، فتكون هي الوحيدة التي تسنده إلى صدرها، و تهتم بأوجاعه، و تعصي أوامره؟ ! كما ترويه لنا عائشة نفسها!!

و أين كانت عنه ابنته الوحيدة فاطمة «عليها السلام» في ساعاته الأخيرة و الحرجة؟ !

2-أما رواية ابن حنطب، فقد استبعدت عليا «عليه السلام» بالكلية، و قررت أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» وضع الدنانير في كفه، و لم تذكر أنه أنفقها بنفسه، أو أرسلها إلى أحد من الناس!! و إلى من أرسلها!!

لقد سكنت و لم تذكر شيئا من ذلك، ثم جاءت رواية عائشة لتستأثر هي بإفناق هذه الدنانير، و تستبعد عليا «عليه السلام» حتى من دائرة

الإحتمال بالكلية. .

فتبارك الله أحسن الخالقين. .

3-أما ما رواه أبو طاهر فنلاحظ عليه: أنه لم يذكر لنا عن هؤلاء الأربعين الذين أعتقهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مرض موته شيئا يعرفنا بهم، أو بأسمائهم، و انتماءاتهم، و خصوصياتهم. كما أننا لم نجد أحدا ممن تقدم على أبي طاهر قد روى شيئا من ذلك، و إن كنا لا نمنع من وقوعه. .

فاطمة عليها السلام أول أهل بيته لحوقا به:

عن عائشة قالت: اجتمع نساء رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يغادر منهم امرأة في وجعه الذي مات فيه، و ما رأيت أحدا أشبه سمته و هديا و دلاّ برسول الله «صلى الله عليه وآله» ، في قيامها و قعودها من فاطمة، و كانت إذا دخلت عليه قام إليها، و قبلها، و أجلسها في مجلسه، و كان إذا دخل عليها فعلت ذلك.

فلما مرض جاءت تمشي ما تخطئ مشيتها مشية رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فقال: مرحبا يا بنتي. فأجلسها عن يمينه، أو عن شماله، فأكبت عليه تقبله، فسارها بشيء، فبكت، ثم سارها فضحكت.

فقلت: ما رأيت اليوم فرحا أقرب من حزن، فسألتها عن ذلك، قلت لها: ما خصك رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالسرار و تبكين.

فلما أن قامت قلت لها: أخبريني بما سارك؟

قالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

فلما أن توفي قلت لها: أسألك بما لي عليك من الحق لما أخبرتيني.

ص: 145

قالت: أما الآن فنعم، سارني فقال: إن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، وإنه لم يكن نبي كان بعده نبي إلا عاش بعده نصف عمر الذي كان قبله، ولا أرى ذلك إلا اقترب أجلي.

وفي لفظ: فقالت: إنه أخبرني أنه يقبض في وجعه، فاتقي الله واصبري، إن جبريل أخبرني أنه ليس امرأة من نساء المؤمنين أعظم رزنة منك، فلا تكوني أدنى امرأة منهن صبرا، فنعم السلف أنا لك، فبكيت.

ثم سارني فقال: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة.

وفي لفظ: «أخبرني أنني أول أهله لحوقا به، فضحكت ضحكي الذي رأيت» (1).

قال الصالح الشامي:

قال الحافظ-أي العسقلاني-: اتفقت الروايات على أن الذي سارها به أولا فبكت هو إعلامه إياها بأنه ميت في مرضه ذلك، واختلف فيما سارها به فضحكت.

ففي رواية عروة: أنه إخباره إياها بأنها أول أهله لحوقا به.

وفي رواية مسروق: بأنه إخباره إياها أنها سيدة نساء أهل الجنة، وجعل كونها أول أهله لحوقا به، مضموما إلى الأول وهو الراجح، ويحتمل تعدد

ص: 146

1- سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 251 عن الخمسة، والطبراني، وابن حبان، والحاكم.

ونقول:

1-إن من القريب جداً أن يكون «صلى الله عليه وآله»، قد أخبر ابنته

ص: 147

1- سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 251 وراجع: ينابيع المودة ج 2 ص 55 وراجع: صحيح البخاري (ط مطبعة الأميرية) ج 4 ص 203 وصحيح مسلم ج 7 ص 142 و مسند الطيالسي ص 196 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 8 ص 26 و حلية الأولياء ج 2 ص 39 و الخصائص للنسائي (ط دار التقدم بمصر) ص 34 و مصابيح السنة (ط دار الخيرية بمصر) ج 2 ص 204 و مسند أحمد ج 6 ص 282 و أنساب الأشراف ج 1 ص 552 و صفة الصفوة (ط حيدر آباد) ج 2 ص 5 و طرح التثريب ج 1 ص 149 و المختار من مناقب الأخيار (ط دمشق) ص 56 و نظم درر السمطين ص 179 و تذكرة الخواص ص 319 و منتخب تاريخ ابن عساكر ج 1 (ط الترقى بدمشق) ص 298 و البداية و النهاية ج 5 ص 226 و جمع الفوائد ج 2 ص 233 و تكملة المنهل العذب المورود ج 3 ص 222 و الثغور الباسمة (ط بمبي) ص 13 و أشعة اللمعات في شرح المشكاة ج 4 ص 693 و وسيلة النجاة للمولوي ص 228 و مرآة المؤمنين ص 190 و أضواء على الصحيحين ص 345 و فضائل الصحابة ص 77 و سنن ابن ماجه ج 1 ص 518 و مسند أبي يعلى ج 12 ص 112 و المعجم الكبير ج 22 ص 419 و عن أسد الغابة ج 5 ص 522 و الأوائل للطبراني ص 84 و عن المصادر التالية: كتاب الأربعين للماحوزي ص 314 و فتح الباري ج 8 ص 103 و مسند أبي يحيى الكوفي ص 79 و مسند ابن راهويه ج 5 ص 7 و السنن الكبرى للنسائي ج 5 ص 96 و 146 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 448 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 120 و كشف الغمة ج 2 ص 80.

السيدة الزهراء «عليها السلام» بالأمرين معا، أي أنه قال لها أولا: إنه «صلى الله عليه وآله» ميت في مرضه ذلك، فبكت. ثم أخبرها بأنها سيدة نساء أهل الجنة، وبأنها أول أهل بيته لحوقا به، فضحكت.

2- إنه لا بد من الوقوف عند دلالات هذا الإجلال والتعظيم من قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» لابنته فاطمة «عليها السلام»، حتى إنه يقوم إعظاما لها، ويجلسها في مجلسه، مع أن من عادة الآباء إسقاط الكلفة مع أبنائهم، ولا سيما إذا كانوا يعيشون معهم، ويرونهم في كل يوم، فإذا كانوا يقومون للغير فإنهم لا يقومون لأبنائهم، فضلا أن يجلسوهم في مجلسهم.

و من الواضح: أن تعظيم رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأي إنسان ليس لمجرد قرباه النسبي به، وإنما هو لقربه من الله، ولعظيم فضله و موقعه من هذا الدين. .

3- قد يستفاد من سياق الحديث أن هذا الذي جرى قد كان في أول مرض رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقد قالت عائشة عن فاطمة «عليها السلام»: «فلما مرض جاءت تمشي الخ.». .

4- إن رفض الزهراء «عليها السلام» إفشاء سر رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى لزوجته في حال حياته يدل على أنها أهل لهذا السر، و أن من تسعى إلى الاطلاع على ما يريد الرسول «صلى الله عليه وآله» أن يستره عنها وعن غيرها ليست أهلا له، إذ لا معنى لأن تطلب هذه المرأة من الزهراء «عليها السلام» أن تفعل ما لا يرضاه الرسول، و من يدعو غيره إلى ذلك، فإنه لا يؤمن من أن يخالف أمره، ويرتكب ما لا يرضيه في حياته و بعد مماته. .

5-واللافت هنا: أن الله سبحانه كان قبل ذلك قد أنزل آيات قرآنية فضحت عائشة ورفيقتها حفصة في أمر مشابه لهذه الحادثة، أي لإفشائهما سر رسول الله «صلى الله عليه وآله» وتظاهرهما عليه.

قال تعالى: وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (1).

فمطالبتها فاطمة الزهراء «عليها السلام» بأن تنفي سر رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، يدل على عدم توبتها من هذا الذنب.

6-إن ما أخبر به النبي «صلى الله عليه وآله» فاطمة «عليها السلام» هو من الغيوب التي اختصها به، وهو من الأمور التي لا يمكن إدراكها بالعقول، ولا-بالتحليلات، لأنه أخبرها بوقت موته، وبوقت موتها أيضا، ليظهر لعائشة، ولكل من هو على رأيها: أن الله ورسوله وأهل البيت كانوا يعرفون حتى مثل هذا الأمر، فكيف بغيره مما دلت عليه قرائن الأحوال، وأظهرت بواطنه فلتات الألسن، وسيئات الأقوال والأعمال، فلا يظن هؤلاء أنهم يتذكرون على الله ورسوله وأهل بيته، وأن ما يضمرونه ويريدونه يخفى عليهم، وأنهم تمكنوا من خداعهم، والتليس عليهم. .

ص: 149

وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام:

عن علي «عليه السلام» قال: «أوصاني النبي «صلى الله عليه وآله» إذا أنا مت، فغسلني بست قرب من بئر غرس، فإذا فرغت من غسلني، فادرجني في أكفاني، ثم ضع فاك على فمي.

قال: ففعلت، فأنبأني بما هو كائن إلى يوم القيمة» .

وروي نحو ذلك عن الإمام الصادق «عليه السلام» (1).

وعن عمرو بن أبي شعبة قال: «لما حضر رسول الله «صلى الله عليه وآله» الموت دخل عليه علي «عليه السلام» فأدخل رأسه معه ثم قال: يا علي، إذا أنا مت فاغسلني، وكفني، ثم أقعدني، وسائلني، واكتب» (2).

ونقول:

يدلنا هذا النص على عدة أمور نذكرها فيما يلي:

1- حياة النبي صلى الله عليه وآله بعد موته:

إن هذا النص يدل على أن النبي «صلى الله عليه وآله» حي حتى بعد أن يموت، ولأجل ذلك نقرأ في زيارتنا للمعصومين والنبي «صلى الله عليه وآله» أعظم شأنًا منهم: «أشهد أنك ترى مقامي، وتسمع كلامي، وترد

ص: 150

1- بصائر الدرجات ص 304 والبحار ج 40 ص 213 و 214 و 215 و ج 22 ص 517 و 514 عنه، ومستدرک الوسائل ج 2 ص 189 و جامع أحاديث الشيعة ج 3 ص 190 ومستدرکات علم رجال الحديث ج 1 ص 649.

2- البحار ج 40 ص 213 و 214 و ج 22 ص 518 عن بصائر الدرجات، وعن الخرائج والجرائح، والكافي.

بل قالوا: إن الأخبار قد تواترت بحياة النبي «صلى الله عليه وآله» في قبره، وكذلك سائر الأنبياء «عليه السلام» (2).

وقالوا أيضاً: إن صلاتنا معروضة على النبي «صلى الله عليه وآله» ، وإن سلامنا يبلغه، وهم أحياء عند ربهم كالشهداء (3).

ويؤكد ذلك النص القرآني على: أن النبي «صلى الله عليه وآله» شاهد على أمته، قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (4).

وشهادته على الأمة لا تقتصر على خصوص من عاشوا معه في حال حياته. .

2-علي عليه السلام هو الوصي:

وغني عن البيان: أن وصية النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام» بأن يضع فمه على فمه، وسماعه منه ما هو كائن إلى يوم القيامة

ص: 151

-
- 1- راجع: عدة الداعي لابن فهد الحلبي ص 56 و جامع أحاديث الشيعة ج 12 ص 364 و 516 و 523 و مستدرك الوسائل ج 10 ص 345 و البحار ج 97 ص 295.
 - 2- سبل الهدى و الرشاد ج 10 ص 466 و 486 و ج 12 ص 355 و 356 و 360 عن إنباه الأذكىاء بحياة الأنبياء، وعن التذكرة للقرطبي و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 2 ص 82 و 84 و 432 و ج 35 ص 385.
 - 3- سبل الهدى و الرشاد ج 12 ص 355 عن الأنوار في أعمال الأبرار للأردبيلي الشافعي، وعن التذكرة للقرطبي. و راجع: فتاوى عبد القاهر بن طاهر البغدادي، و تنوير الحلك للسيوطي ص 5.
 - 4- الآية 45 من سورة الأحزاب.

تؤكد أن لعلي «عليه السلام» خصوصية ليست لأحد سواه، وهي ترتبط بعلم الإمامة، من خلال اتصاله بالنبي «صلى الله عليه وآله» بعد موته.

3- العلم بما هو كائن:

وقد قلنا أكثر من مرة: إن معرفة الإمام تقوم على ركنين:

أحدهما: النص الدال على الاختيار الإلهي لشخص بعينه لمنصب الإمامة.

والآخر: العلم الخاص، الذي يؤثر الله به من يشاء من عباده.

وربما يحتاج أيضا إلى إظهار الكرامة والمعجزة.

وقد ألمح الحديث الآنف الذكر إلى ذلك بصورة أو بأخرى، فأشار إلى الاختيار بما ظهر من وضع فمه «عليه السلام» على فم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإظهار المعجزة بكلامه بعد موته.

والعلم الخاص هو: أنه «صلى الله عليه وآله» قد علّمه ما هو كائن، إلى يوم القيامة، وذلك ظاهر لا يخفى.

وصايا النبي صلى الله عليه وآله حول تجهيزه ودفنه:

وكان فيما أوصى النبي «صلى الله عليه وآله» به عليا «عليه السلام» قوله: «ضع يا علي رأسي في حبرك، فقد جاء أمر الله تعالى، فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك، وامسح بها وجهك.

ثم وجهني إلى القبلة.

وتول أمري.

وصل علي أول الناس.

ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي.

ص: 152

فأخذ علي «عليه السلام» رأسه، فوضعه في حجره. .

إلى أن تقول الرواية:

ثم قبض «صلى الله عليه وآله»، و يد أمير المؤمنين تحت عنقه، ففاضت نفسه «صلى الله عليه وآله» فيها، فرفعها إلى وجهه، فمسحه بها.

ثم وجهه، و غمضه، و مد عليه إزاره، و اشتغل بالنظر في أمره (1).

و كان مما أوصى به رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يدفن في بيته الذي قبض فيه. و يكفن بثلاث أثواب. أحدهما: يمان. و لا يدخل قبره غير علي «عليه السلام» (2).

و في نص آخر عن ابن عباس: لما مرض رسول الله «صلى الله عليه وآله»، و عنده أصحابه قام إليه عمار بن ياسر، فقال له: فداك أبي و أمي يا رسول الله، من يغسلك منا، إذا كان ذلك منك؟!

ص: 153

-
- 1- الإرشاد للمفيد ص 94-98 و (ط دار المفيد) ج 1 ص 187 و البحار ج 22 ص 470 و 521 عنه، و عن إعلام الوری ص 82-84 و (ط أخرى) 143-144 و (ط مؤسسة آل البيت) ج 1 ص 267 و عن مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 203 و مصباح الفقيه (ط. ق) ج 1 ق 2 ص 346 و جواهر الكلام ج 4 ص 11 و راجع: قصص الأنبياء للراوندي ص 357 و الدر النظيم ص 194 و الحجة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب للسيد فخار بن معد ص 304.
 - 2- البحار ج 22 ص 493 و 494 و ج 87 ص 379 عن الطوائف ص 42 و 43 و 45 و جامع أحاديث الشيعة ج 3 ص 231 و 234 و 350 و الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج 3 ص 83 و (ط دار الإسلامية) ج 2 ص 779 و مستدرک الوسائل ج 2 ص 206.

قال: ذاك علي بن أبي طالب، لأنه لا يهم بعضهم من أعضائي إلا أعانته الملائكة على ذلك.

فقال له: فذاك أبي وأمي يا رسول الله، فمن يصلي عليك منا إذا كان ذلك منك؟!

قال: مه رحمك الله! ثم قال لعلي: يا ابن أبي طالب، إذا رأيت روحي قد فارقت جسدي فاغسلني.

إلى أن قال: و احملوني حتى تضعوني شفير قبوري (ثم أخرجوا عني ساعة، فإن الله تعالى أول من يصلي علي) فأول من يصلي علي الجبار جل جلاله من فوق عرشه، ثم جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل (ثم ملك الموت). في جنود من الملائكة لا يحصي عددهم إلا الله عز وجل، ثم الحافون بالعرش، ثم سكان أهل سماء فسماء، (ثم أدخلوا علي زمرة زمرة، فصلوا علي وسلموا تسليماً). ثم جلّ أهل بيتي ونسائي، الأقربون فالأقربون.

يومون إيماء، و يسلمون تسليماً، لا يؤذوني بصوت نادية، و لا مرّة.

(قال أبو بكر: فمن يدخل قبرك؟!)

قال: الأدنى فالأدنى من أهل بيتي مع ملائكة لا ترونهم.

قوموا نادوا عني إلى من وراءكم.

فقلت للحارث بن مرة: من حدثك هذا الحديث؟

قال: عبد الله بن مسعود).

و ذكر الثعلبي ما يقرب من هذه القضية، لكنه ذكر اسم أبي بكر بدل

عمار، وعلي ثم ما وضعناه بين قوسين إنما هو من رواية الثعلبي (1).

وفي نص آخر: أوصى أن يخرجوا عنه، حتى تصلي عليه الملائكة (2).

ويذكر نص آخر: أن مما أوصى به النبي «صلى الله عليه وآله» عليا «عليه السلام» قوله: «يا علي، كن أنت وابنتي فاطمة، والحسن والحسين، وكبروا خمسا وسبعين تكبيرة، وكبر خمسا وانصرف. وذلك بعد أن يؤذن لك في الصلاة.

قال علي «عليه السلام»: بأبي وأمي، من يؤذن غدا؟!

قال: جبرئيل «عليه السلام» يؤذك. قال: ثم من جاء من أهل بيتي يصلون علي فوجا فوجا، ثم نساؤهم، ثم الناس بعد ذلك (3).

أداء أمانات الرسول صلى الله عليه وآله بعد وفاته:

ويبقى سؤال، وهو: أنه هل كانت هناك أمانات مالية لدى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أداها عنه علي «عليه السلام» بعد استشهاد «صلى الله

ص: 155

1- الأُمالي للصدوق ص 732 و 733 و البحار ج 22 ص 507 و 531 عنه، وعن كشف الغمة ص 6-8 عن الثعلبي، و روضة الواعظين للفتال النيسابوري ص 72 و جامع أحاديث الشيعة ج 3 ص 231.

2- سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 329 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 527 و البداية والنهاية ج 5 ص 285.

3- البحار ج 22 ص 493 و 494 و ج 78 عن الطوائف ص 42 و 43 و 45 و جامع أحاديث الشيعة ج 3 ص 350 و الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج 3 ص 83 و (ط دار الإسلامية) ج 2 ص 779.

عليه وآله» .

ونجيب:

إننا نلاحظ ما يلي:

1- قال ابن شهر آشوب: «وقد ولاه في رد الودائع لما هاجر إلى المدينة، واستخلف عليا في أهله وماله، فأمره أن يؤدي عنه كل دين، وكل دية، وأوصى إليه بقضاء ديونه» (1).

ولكن هذه العبارة ليس لها ظهور في وجود ودائع عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين وفاته، وأنه أمر عليا «عليه السلام» بردها إلى أصحابها. لأنها إنما تتحدث عن أمر الهجرة من مكة إلى المدينة، وهي قد كانت قبل استشهاد «صلى الله عليه وآله» بأكثر من عشر سنوات.

2- هناك روايات كثيرة حول أن الإمام عليا «عليه السلام» هو الذي يقضي دين رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وينجز عداوته، ويرى ذمته. (2).

ص: 156

-
- 1- مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 329-333 و (ط المكتبة الحيدرية-النجف) ج 1 ص 396 والبحار ج 38 ص 73 عنه.
 - 2- كتاب سليم بن قيس (بتحقيق الأنصاري) ص 136 والبحار ج 21 ص 380 و 381 ج 28 ص 55 و ج 36 ص 109 و 311 و 355 ج 38 ص 1 و 73 و 103 و 111 و 334 ج 39 ص 33 و 216 ج 72 ص 445 و ج 99 ص 106 والخصال ج 2 ص 84 و الأمالي للصدوق ص 450 و عيون أخبار الرضا «عليه السلام» ج 1 ص 9 وكفاية الأثر ص 76 و 135 و 217 و مناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج 1 ص 432 و شرح الأخبار ج 1 ص 113 و 117 و 211 و مائة منقبة لمحمد بن أحمد القمي ص 140 و الأمالي للطوسي ص 600 و المناقب لابن شهر آشوب ج 1 ص 396 ج 2 ص 247 و ج 3 ص 16 و كتاب الأربعين للماحوزي ص 192 و العمدة لابن البطريق ص 181 و المزار لابن المشهدي ص 577 و إقبال الأعمال لابن طاووس ج 1 ص 507 و الطرائف ص 133 و كتاب الأربعين للشيرازي ص 53 عن المناقب لابن المغازلي الشافعي ص 261 ح 309 وبشارة المصطفى للطبري ص 101 و 258 و كشف الغمة ج 1 ص 341 و نهج الإيمان ص 196 و 440 و فضائل أمير المؤمنين «عليه السلام» لابن عقدة الكوفي ص 204 و تفسير نور الثقلين ج 3 ص 624 و تفسير القمي ج 2 ص 109 و مسند الإمام الرضا «عليه السلام» للعطاردي ج 1 ص 123 و 127 و جامع أحاديث الشيعة ج 23 ص 252.

فقد يستفاد من كلمة يبرئ ذمته: أنه يرد الودائع إلى أهلها.

غير أنني أشك في صحة هذا الاستنتاج، وأرجح أن تكون هذه العبارة تفسيرية لما قبلها، وذلك لأنه «صلى الله عليه وآله»، لما نزلت عليه سورة: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ. . في أواسط أيام التشريق في حجة الوداع، عرف أنه الوداع، فركب راحلته العضباء، وخطب الناس خطبته المعروفة، وفيها:

«أيها الناس، من كانت عنده ودیعة، فليؤدها إلى من اتّمنه عليها» (1).

ص: 157

1- الكافي ج 7 ص 273 و 275 و الخصال ص 487 و من لا يحضره الفقيه ج 4 ص 93 و تحرير الأحكام العلامة ج 4 ص 520 و ج 5 ص 416 و جواهر الكلام ج 41 ص 670 و مصباح الفقيه (ط. ق) ج 2 ق 1 ص 169 و تحف العقول ص 31 و الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج 5 ص 120 و ج 29 ص 10 و (ط دار الإسلامية) ج 3 ص 424 و ج 19 ص 3 و مستدرک الوسائل ج 9 ص 12 و الفصول المهمة ج 2 ص 80 و البحار ج 21 ص 381 و ج 73 ص 349 و ج 74 ص 118 و ج 80 ص 279 و جامع أحاديث الشيعة ج 13 ص 479 و ج 18 ص 545 و ج 26 ص 100 و مستدرک سفينة البحار ج 10 ص 270 و مسند أحمد ج 5 ص 73 و السنن الكبرى للبيهقي ج 6 ص 97 و مجمع الزوائد ج 3 ص 266 و 267 و شرح النهج للمعتزلي ج 1 ص 126 و كنز العمال ج 5 ص 131 و جامع البيان للطبري ج 3 ص 434 و إعجاز القرآن للباقلاني ص 132 و تفسير الثعلبي ج 4 ص 347 و تفسير البغوي ج 2 ص 243 و أحكام القرآن لابن العربي ج 2 ص 503 و الدر المنثور ج 3 ص 235 و التعديل والتجريح للباقي ج 1 ص 18 و تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 402 و البداية والنهاية ج 5 ص 221 و 222 و ج 2 ق 2 ص 58 و إمتاع الأسماع ج 2 ص 118 و السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 1022 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 402 و 403 و سبل الهدى والرشاد ج 8 ص 482.

فإذا كان «صلى الله عليه وآله» يأمر الناس برد الودائع، فالمتوقع أن يبادر هو «صلى الله عليه وآله» إلى ذلك حين علم بقرب أجله.

إلا أن يقال: إنه إذا كان مطمئناً إلى وجود من يوصل الودائع بعده إلى أهلها، فلا غضاضة في أن يوكل الأمر إليه.

3- وثمة شاهد آخر لعله يشير إلى ما نرمي إليه، وهو: أن الروايات قد صرحت بأن النبي «صلى الله عليه وآله» حينما دنا أجله، كانت لديه سبعة أو ستة دنائير، فخاف أن يقبضه الله، وهي عنده، فأمر أهله بالتصدق بها. ثم تصدق بها (1).

وهذا يشير إلى أنه «صلى الله عليه وآله» لا بد أن يهتم بأمانات الناس،

ص: 158

1- راجع: مسند أحمد ج 6 ص 104 والسنن الكبرى للبيهقي ج 6 ص 356 وصحيح ابن حبان ج 8 ص 9 وموارد الزمآن ج 7 ص 42
والبداية والنهاية ج 6 ص 61.

و بإيصالها إلى أهلها قبل أن يقبضه الله تعالى، وأن لا يكل ذلك إلى وصيه من بعده. .

ولعلك تقول: إن هذه الاستفادة لا- تلائم ما هو معروف عنه «صلى الله عليه وآله» من أنه خرج من مكة حين هاجر، دون أن يرجع الأمانات إلى أصحابها، بل هو قد وَّكَّل الإمام عليا «عليه السلام» بالقيام بهذه المهمة، ثم هاجر.

وقد روى الواقدي، وإسحاق الطبري: «أن عمير بن وائل الثقفي أمره حنظلة بن أبي سفيان: أن يدَّعي على علي «عليه السلام» ثمانين مثقالاً من الذهب وديعة عند محمد «صلى الله عليه وآله»، وأنه هرب من مكة وأنت وكيله، فإن طلب بينة الشهود، فنحن معشر قريش نشهد عليه. وأعطوه على ذلك مائة مثقال من الذهب، منها قلادة-عشرة مثاقيل-لهند. .

فجاء، وادَّعى على علي «عليه السلام»، فاعتبر الودائع كلها، ورأى عليها أسامي أصحابها، ولم يكن لما ذكره عمير خبر، فنصح له نصحا كثيرا، الخ. «(1)».

وهذا معناه: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يرجع الودائع إلى أصحابها حين الهجرة، و اكتفى بتوكيل علي «عليه السلام» لكي يقوم بذلك بعده. . وفيها: أنه يريد أن يظهر للناس موقع علي «عليه السلام» منه «صلى الله عليه

ص: 159

1- المناقب لابن شهر آشوب ج 1 ص 486 و 487 و (ط المكتبة الحيدرية-النجف) ج 2 ص 175 و البحار ج 40 ص 219 و 220 عنه و جامع أحاديث الشيعة ج 25 ص 106 و مستدرک الوسائل ج 17 ص 384.

وآله» . . وأنه هو الذي يقوم مقامه في غيبته، وغير ذلك. .

فيجاب بأن: ثمة فرقا بين الهجرة وبين الوفاة، فإنه «صلى الله عليه وآله» لو باشر بنفسه بإرجاع الودائع لأصحابها حين الهجرة، لأثار ذلك الكثير من التساؤلات، لربما يفتضح أمر هجرته، ويزيد الأمر تعقيدا، ولربما يغيّر ذلك من مسار الأحداث إلى ما هو أضرّ وأمرّ. . فكان أن أوكل ذلك إلى علي «عليه السلام»، مشيرا للناس إلى أن عليا «عليه السلام» هو الذي يقوم مقامه في غيبته، وعليهم أن يعرفوا له هذا الموقع منه «صلى الله عليه وآله» .

و لم يكن هذا المحذور قائما حين وفاته «صلى الله عليه وآله» . . فالمتوقع أن يأتي تصرفه حين الوفاة موافقا لما هو المطلوب منه في الحالات الطبيعية. . ولم يكن هناك مانع آخر يمنع من ذلك. .

4-وقد ورد في حديث الغدير قوله: ثم أخذ بيد علي «عليه السلام» فرفعها، فقال: هذا وليي، ويؤدي عني ديني، وأنا موالي من والاه، و معادي من عاداه ⁽¹⁾.

غير أننا نقول:

لعل المراد هو الإعلان بأن لعلي «عليه السلام» هذا الموقع من رسول

ص: 160

1- خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي ص 28 و (ط مكتبة نينوى الحديثة) ص 48 و السنن الكبرى للبيهقي ج 5 ص 107 ح 8397 و خلاصة عبقات الأنوار ج 7 ص 313 و المراجعات للسيد شرف الدين ص 263 و الغدير ج 1 ص 38 و شرح إحقاق الحق ج 22 ص 190 و ج 30 ص 428 و ج 31 ص 31.

اللّٰهُ «صلى اللّٰهُ عليه وآله» ، وهو موقع المسؤول بعد موت الرسول «صلى اللّٰهُ عليه وآله» عن كل ما كان الرسول مسؤولاً عنه في حياته.
ولعل مما يدل على ذلك دلالة واضحة الحديث المتقدم عن أنه حين دنا أجل رسول اللّٰهُ «صلى اللّٰهُ عليه وآله» كانت لديه سبعة دنانير،
فخاف أن يقبضه اللّٰهُ وهي عنده، فأمر أهله بالتصدق بإرسالها إلى علي «عليه السلام» ليتصدق بها، فلم يفعلوا، فأرسلها إليه «صلى اللّٰهُ
عليه وآله» بنفسه و تصدق بها.

فلو كان عليه دين، فالأولى أن يقضي بها دينه، لا أن يتصدق بها.

قال الصالحى الشامى:

إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أقام بعد حجته بالمدينة بقية ذي الحجة، والمحرم، وما زال يذكر مقتل زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب وأصحابه، ووجد عليهم وجدا شديدا.

فلما كان يوم الإثنين لأربع ليال بقين من صفر. سنة إحدى عشرة أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالتهيؤ لغزو الروم، وأمرهم بالجد، ثم دعا من الغد يوم الثلاثاء لثلاث بقين من صفر أسامة بن زيد فقال: «يا أسامة، سر على اسم الله وبركته، حتى تنتهي إلى (موضع) مقتل أبيك، فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش، فأغر صباحا على أهل أبى (1) وحرّق عليهم. وأسرع السير تسبق الأخبار، فإن أظفرك الله، فأقلل اللبث فيهم، وخذ معك الأدلاء، وقدم العيون والطلائع أمامك» (2).

ص: 165

1- أبى: ناحية بالبقاء بين عسقلان و الرملة، وهي قرب مؤتة.

2- راجع: سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 248 و راجع: المغازي للواقدي ج 3 ص 1117 و السيرة الحلبية (ط مصطفى محمد) ج 3 ص 234 و السيرة النبوية لدحلان (بهاشم الحلبية) ج 2 ص 339 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 190 و راجع: سنن ابن ماجه ج 2 ص 412 و المبسوط للسرخسي ج 10 ص 31 و سنن أبى داود ج 3 ص 38 و أحكام القرآن للجصاص ج 3 ص 429 و مسند أحمد ج 5 ص 205 و 209 و نهج السعادة للمحمودي ج 5 ص 263 و تاريخ مدينة دمشق ج 2 ص 54 و ج 22 ص 4 و إمتاع الأسماع ج 2 ص 123 و ج 14 ص 519.

فلما كان يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر بدئ برسول الله «صلى الله عليه وآله» وجعه، فحمّ وصدع. فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواء بيده.

ثم قال: «اغز بسم الله في سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، اغزوا ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة، ولا تتمنوا لقاء العدو فإنكم لا تدرن لعلكم تبطلون بهم، ولكن قولوا: اللهم اكفناهم بما شئت، واكفف بأسهم عنا.

فإن لقوكم قد جلبوا وضجوا، فعليكم بالسكينة والصمت، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، وقولوا: اللهم إنا نحن عبيدك وهم عبادك، نواصينا ونواصيهم بيدك، وإنما تغنيهم أنت، واعلموا أن الجنة تحت البارقة» .

فخرج أسامة بلوائه (معقودا)، فدفعه إلى بريدة بن الحصيب الأسلمي، وعسكر بالجرف، فلم يبق أحد من (وجوه) المهاجرين الأولين و الأنصار إلا انتدب في تلك الغزوة منهم أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وأبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، في رجال آخرين من الأنصار عدة، مثل قتادة بن النعمان،

وسلمة بن أسلم بن حريش (1).

فاشتكى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو على ذلك، ثم وجد من نفسه راحة فخرج عاصبا رأسه فقال: «أيها الناس، أنفذوا بعث أسامة» .

ثم دخل رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

فقال رجل من المهاجرين-كان أشدهم في ذلك قولاً-عياش بن أبي ربيعة (المخزومي): «يستعمل هذا الغلام على المهاجرين» ؟ .

فكثرت المقالة، وسمع عمر بن الخطاب بعض ذلك فردّه على من تكلم به، وأخبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فغضب غضبا شديدا.

وخرج يوم السبت عاشر المحرم سنة إحدى عشرة.

وقد عصب رأسه بعصابة و عليه قطيفة، ثم صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:

«أما بعد، أيها الناس، فما مقالة قد بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة، ولئن طعنتم في إمارة أسامة لقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وإيم الله، كان للإمارة لخليقا، وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلي، وإنهما لمخيلا لكل خير، فاستوصوا به خيرا، فإنه من خياركم» (2).

ص: 167

1- سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 248 والبحار ج 21 ص 410 وج 30 ص 428 وعمدة القاري ج 18 ص 76 و عيون الأثر لابن سيد الناس ج 2 ص 352.

2- راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 190 و (ط دار صادر) ج 2 ص 249 و سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 248 و 249 و منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج 4 ص 182 و كنز العمال ج 10 ص 572 و 573 و المغازي للواقدي ج 3 ص 119 و شرح النهج للمعتزلي ج 1 ص 159 و السيرة الحلبية (ط مصطفى محمد) ج 3 ص 234 و السيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج 2 ص 339 و تاريخ مدينة دمشق ج 2 ص 55 و عيون الأثر لابن سيد الناس ج 2 ص 352 و إمتاع الأسماع ج 14 ص 520.

ثم نزل فدخل بيته، وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فيهم عمر بن الخطاب، و يمضون إلى المعسكر بالجرف.

ودخلت أم أيمن فقالت: «يا رسول الله، لو تركت أسامة يقيم في معسكره حتى تتماثل، فإن أسامة خرج على حالته هذه لم ينتفع بنفسه». فقال: «أنفذوا بعث أسامة».

فمضى الناس إلى المعسكر فباتوا ليلة الأحد.

وفي نص آخر: ثم ثقل «صلى الله عليه وآله» في مرضه، فجعل يقول: «جهزوا جيش أسامة، أنفذوا جيش أسامة، أرسلوا بعث أسامة» يكرر ذلك (1).

ونزل أسامة يوم الأحد ورسول الله «صلى الله عليه وآله» ثقیل مغمور، وهو اليوم الذي لدوه فيه، فدخل عليه وعينه تهملان، وعنده الناس والنساء حوله، فطأطأ عليه أسامة فقبله، والنبي «صلى الله عليه وآله» لا يتكلم، فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعها على أسامة، كأنه يدعو له.

ورجع أسامة إلى معسكره.

ص: 168

1- راجع: كنز العمال ج 10 ص 573 ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج 4 ص 182.

ثم دخل يوم الإثنين، وأصبح رسول الله «صلى الله عليه وآله» مفيقاً، وجاءه أسامة فقال له: «اغد على بركة الله» (1).

فودعه أسامة، وخرج إلى معسكره لما رأى رسول الله «صلى الله عليه وآله» مفيقاً.

ودخل أبو بكر فقال: «يا رسول الله، أصبحت مفيقاً بحمد الله واليوم يوم ابنة خاتمة فاذن لي». فاذن له، فذهب إلى السبخ.

وركب أسامة إلى العسكر، وصاح في أصحابه بالحق بالعسكر، فانتبهى إلى معسكره، وأمر الناس بالرحيل وقد متع النهار.

فبينما هو يريد أن يركب أتاه رسول أمه أم أيمن يخبره أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يموت.

فأقبل إلى المدينة، وأقبل معه عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، فانتبهوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يجود بنفسه، فتوفي رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذلك اليوم.

ودخل المسلمون الذي عسكروا بالجرف إلى المدينة، ودخل بريدة بن الحصيب باللواء معقوداً، فغرز به عند باب رسول الله «صلى الله عليه وآله» و«آله».

ص: 169

1- راجع: سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 249 والمغازي للواقدي ج 3 ص 1120 والطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 191 وكنز العمال ج 10 ص 574 و (ط مؤسسة الرسالة) ج 10 ص 573 وتاريخ مدينة دمشق ج 2 ص 56 وإمتاع الأسماع ج 2 ص 125 و ج 14 ص 520 و شرح النهج للمعتزلي ج 1 ص 160 و السيرة الحلبية ج 3 ص 235 و السيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج 2 ص 340 و المسترشد للطبري (الشيعة) ص 112.

و حسب نص الجوهرى: «فتثاقل أسامة، و تثاقل الجيش بتثاقله، و جعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مرضه يثقل و يخف، و يؤكد القول في تنفيذ ذلك البعث، حتى قال له أسامة: بأبي أنت و أمي، تأذن أن أمكث أياما حتى يشفيك الله؟

قال: اخرج، و سر على بركة الله.

قال: يا رسول الله، إن أنا خرجت و أنت على هذه الحال خرجت و في قلبي قرحة.

فقال: سر على النصر و العافية.

قال: يا رسول الله، إنني أكره أن أسأل عنك الركبان.

قال: انفذ لما أمرتك به.

ثم أغمى على رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

ثم تذكر الرواية: أنه خرج حتى نزل بالجرف، و معه أبو بكر، و عمر، و أكثر المهاجرين الخ .

ثم أتاه رسول أم أيمن تخبره بأن النبي يموت (1).

فلما بويح لأبي بكر أمر بريدة أن يذهب باللواء إلى بيت أسامة، ليمضي لوجهه، و ألا يحله حتى يغزوهم.

ص: 170

1- شرح النهج للمعتزلي ج 6 ص 52 عن كتاب السقيفة لأبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهرى و راجع: المراجعات ص 374 و كنز العمال ج 10 ص 571 و 574 و البحار ج 30 ص 430 و النص و الإجتهد للسيد شرف الدين ص 42 و كتاب الأربعين للشيرازي ص 527 و نهج السعادة للمحمودي ج 5 ص 259 و السقيفة و فدك للجوهرى ص 77 و قاموس الرجال ج 12 ص 21.

وقال لأسامة: أنفذ في وجهك الذي وجهك فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله». وأمر الناس بالخروج، فعسكروا في موضعهم الأول، وخرج بريدة باللواء.

فلما ارتدت العرب، كلم أبو بكر في حبس أسامة، فأبى (1).

ومشى أبو بكر إلى أسامة في بيته فكلمه في أن يترك عمر، وأن يأذن له في التخلف، ففعل.

وخرج ونادى مناديه عزمت لا يتخلف عن أسامة من بعثه من كان انتدب معه في حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإني لن أوتى بأحد أبطأ عن الخروج معه إلا ألحقته به ماشيا. فلم يتخلف عن البعث أحد.

وخرج أبو بكر يشيع أسامة.

فركب من الجرف لهلال ربيع الآخر في ثلاثة آلاف، فيهم ألف فارس، و سار أبو بكر إلى جنبه ساعة وقال:

«أستودع الله دينك، وأمانتك، وخواتيم عملك. إني سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوصيك، فانفذ لأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإني لست آمرك ولا أنهاك عنه، إنما أنا منفذ لأمر به رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

ص: 171

1- سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 249 و كنز العمال ج 10 ص 575 و منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج 4 ص 183 و الكامل في التاريخ ج 2 ص 334 و 335 و السيرة الحلبية ج 3 ص 236 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 191 و عيون الأثر لابن سيد الناس ج 2 ص 353 و إمتاع الأسماع ج 2 ص 126 و تاريخ مدينة دمشق ج 2 ص 57.

فخرج سريعاً، فوطئ بلاداً هادية، لم يرجعوا عن الإسلام، جهينة وغيرها من قضاة. حتى نزل وادي القرى، فسار إلى أبني في عشرين ليلة. فقدم له عين له من بني عذرة يدعى حريشاً، فأنتهى إلى أبني، ثم عاد فلقى أسامة على ليلتين من أبني، فأخبره أن الناس غارون ولا جموع لهم، وحثهم على السير قبل اجتماعهم.

فسار إلى أبني وعباً أصحابه، ثم شن عليهم الغارة، فقتل من أشرف له، وسبى من قدر عليهم، وحرقت بالنار منازلهم، وحرثهم، ونخلهم، فصارت أعاصير من الدواخين، وأجال الخيل في عرصاتهم، وأقاموا يومهم ذلك في تعبئة ما أصابوا من الغنائم. وكان أسامة على فرس أبيه سبعة، وقتل قاتل أبيه في الغارة، وأسهم للفرس سهمين، وللفرس سهماً، وأخذ لنفسه مثل ذلك.

فلما أمسى أمر الناس بالرحيل ثم أغد السير، فورد وادي القرى في تسع ليال، ثم بعث بشيراً إلى المدينة بسلامتهم. ثم قصد بعد في السير، فسار إلى المدينة، ستاً حتى رجع إلى المدينة ولم يصب أحد من المسلمين.

وخرج أبو بكر في المهاجرين وأهل المدينة يتلقونهم سروراً بسلامتهم، ودخل على فرس أبيه سبعة، واللواء أمامه، يحمله بريدة بن الحصيب حتى انتهى إلى باب المسجد، فدخل فصلى ركعتين. ثم انصرف إلى بيته.

وبلغ هرقل وهو بحمص ما صنع أسامة، فبعث رابطة يكونون بالبلقاء، فلم تزل هناك حتى قدمت البعوث إلى الشام في خلافة أبي بكر وعمر (1).

ص: 172

1- سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 250 وراجع: عمدة القاري ج 18 ص 77 والطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 189-192 وعيون الأثر لابن سيد الناس ج 2 ص 352-354.

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم الوقفات التالية:

تناقض ظاهر في كلام الشامي:

لقد ذكر الصالحي الشامي:

أن النبي «صلى الله عليه وآله» أمر بالتهيؤ لغزو الروم يوم الإثنين، لأربع ليال بقين من شهر صفر، سنة إحدى عشرة، وفي يوم الثلاثاء أمر أسامة بتولي هذه المهمة، وفي يوم الأربعاء بدئ برسول الله وجعه، فحمّ وصدع، وفي يوم الخميس عقد لأسامة لواء بيده.

ولكنه يعود فيقول: إنه «صلى الله عليه وآله» لما سمع طعن الطاعنين في تأمير أسامة على المهاجرين، «خرج يوم السبت عاشر المحرم سنة إحدى عشرة، وقد عصب رأسه بعصابة، ثم صعد المنبر، فخطبهم، وفند مقالتهم وردّها» (1). وهذا تناقض واضح.

إلا أن يدعى: أن ثمة غلطا في هذا النص الأخير، وأن الصحيح هو: أنه خطبهم في العاشر من شهر ربيع الأول، لا شهر محرم.

ولكنها دعوى موهونة أيضا، فإن الصحيح هو أنه «صلى الله عليه وآله» قد توفي في الثامن والعشرين من شهر صفر.

ص: 173

1- راجع: سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 248 و 249.

ولا ندري كيف يمكن أن نحكم على عياش بن أبي ربيعة وعلى القوم الذين تكلموا بمثل كلامه، بصحة الإيمان ونحن نرى أنه يعترض على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في تأميره أسامة، ويخطئه، ويطعن في عصمته؟! (1).

ويزيد الأمر إشكالا: تبرير اعتراضه هذا بأنه «صلى الله عليه وآله» قد أمر أسامة على المهاجرين، مع أنه أمره على المهاجرين والأنصار معا.

وكأنه يرمي إلى الإيحاء بأن المهاجرين طبقة مميزة عن غيرهم من سائر المسلمين بما في ذلك الأنصار.

فهو ينطلق من شعور عنصري، أو مفهوم طبقي، أدانته الإسلام ورفضه، ولا يعترف به، بل يعتبره من الدعوات المنتنة والبغيضة.

ويلاحظ: أن ابن أبي الحديد المعتزلي وتبعه الحلبي قد زادا كلمة والأنصار على النص من عند أنفسهما، مع عدم وجود هذه الكلمة في المصادر الأولية كما يعلم بالمراجعة، فلماذا هذا التصرف يا ترى؟!!

ص: 174

1- راجع: البحار ج 21 ص 410 وج 30 ص 429 وعمدة القاري ج 18 ص 76 وكنز العمال ج 10 ص 572 وتاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 714 وتاريخ مدينة دمشق ج 2 ص 55 والطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 190 وشرح النهج للمعتزلي ج 1 ص 159 وج 10 ص 184 وج 17 ص 182 و 194 وفتح الباري (المقدمة) ص 298 وج 7 ص 69 وج 8 ص 115 والعثمانية للجاحظ ص 146 و إمتاع الأسماع ج 2 ص 124 وج 14 ص 520 وعيون الأثر لابن سيد الناس ج 2 ص 352 السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 227 وسبل الهدى والرشاد ج 6 ص 248 وسبل الهدى والرشاد ج 6 ص 144.

لعن الله من تخلف عن جيش أسامة:

ولا نستطيع أن نتجاهل ما ورد في النصوص التي رواها السنة والشيعة، من أن النبي «صلى الله عليه وآله» حين أمر أسامة بن زيد على ذلك الجيش الذي جمع فيه المهاجرين والأنصار، ومن بينهم الطامعون بالخلافة، وقال: جهزوا جيش أسامة، لعن الله من تخلف عن جيش أسامة (1). أو نحو ذلك.

فلم يطيعوا أمره «صلى الله عليه وآله»، وسؤفوا وتعللوا بالعلل، وبالمعاذير الواهية.

فكيف ولماذا عرضوا أنفسهم لللعن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ؟ !

هل كانوا يرونه مخطئاً في تجهيزه لذلك الجيش؟

أم اتكلوا على حديث رواه الكذابون عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، يدعون فيه أنه «صلى الله عليه وآله» قال: اللهم من سببته أو لعنته،

ص: 175

1- راجع: الملل والنحل (ط دار المعرفة) ج 1 ص 23 و (بهامش الفصل لابن حزم) ج 1 ص 20 و شرح النهج للمعتزلي ج 6 ص 52 عن كتاب السقيفة لأحمد بن عبد العزيز الجوهري و راجع: المسترشد للطبري ص 112 و البحار ج 30 ص 431 و 432 و نفحات اللاهوت ص 113 و تشييد المطاعن ج 1 ص 47 و معالم المدرستين ج 2 ص 77 و وصول الأخيار إلى أصول الأخبار لوالد البهائي العاملي ص 68 و كتاب الأربعين للشيرازي ص 141 و 527 و قاموس الرجال ج 12 ص 21 و السقيفة و فدك للجوهري ص 77 و نهج السعادة للمحمودي ج 5 ص 259 و مستدرک سفينة البحار ج 5 ص 209 و النص و الإجتهد ص 42 و المراجعات للسيد شرف الدين ص 374 و إحقاق الحق (الأصل) ص 218.

فاجعل ذلك زكاة ورحمة له؟! (1).

وقد ذكرنا هذا الحديث أكثر من مرة في هذا الكتاب، وبيننا خطله وفساده. .

استعمله النبي صلى الله عليه وآله و تأمرني أن أنزعه؟! :

وذكروا: أن عمر بن الخطاب جاء إلى أبي بكر يلتمس منه بلسان الأنصار عزل أسامة، و تولية غيره، فوثب أبو بكر إلى عمر، فأخذ بلحيته، فقال: ثكلتك أمك و عدمتك يا بن الخطاب، استعمله رسول الله و تأمرني أن أنزعه؟! (2).

ص: 176

1- راجع: صحيح مسلم ج 8 ص 24 و 25 و 26 و 27 و سنن الدارمي ج 2 ص 315 و مسند أحمد ج 2 ص 317 و 390 و 449 و 488 و 493 و 496 و ج 3 ص 33 و 391 و 400 و ج 5 ص 437 و 439 و ج 6 ص 45 و البداية و النهاية ج 8 ص 119 عن صحيح البخاري (كتاب الدعوات) ج 4 ص 7 إضافة إلى مصادر أخرى تقدمت.

2- راجع: تاريخ الأمم و الملوك ج 3 ص 226 و (ط دار صادر) ج 2 ص 462 و الكامل في التاريخ ج 2 ص 335 و السيرة الحلبية (ط مصطفى محمد) ج 3 ص 236 و (ط دار المعرفة) ج 3 ص 230 و عن السيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج 2 ص 340 و راجع: التمهيد للباقلاني ص 193 و تاريخ مدينة دمشق ج 2 ص 50 و مختصر تاريخ دمشق ج 1 ص 171 و تاريخ أبي الفداء ج 1 ص 156 و عن الروض الأنف ج 2 ص 375 و جواهر الكلام ج 30 ص 142 و البحار ج 30 ص 502 و ج 34 ص 383 و النص و الإجتهد للسيد شرف الدين ص 35 و الغدير ج 7 ص 224 و شرح النهج للمعتزلي ج 17 ص 183 و كنز العمال ج 10 ص 579 و الفصول المهمة في تأليف الأمة للسيد شرف الدين ص 103.

ونقول:

أولاً: إنه إذا مات النبي أو الوصي، يستطيع وصيه أو الولي من بعده أن يعزل قواد الجند، والأمراء والعمال على البلاد، لأن الظروف قد تتغير، وتمس الحاجة إلى صرف النظر عن بعض الإجراءات، أو استبدال بعض القادة على الجند أو العمال والولاة. .

لكن الذي لا يعزل هو فقط الإمام وولي الأمر المنصوص عليه من الله ورسوله. .

فما معنى أن يحتج الخليفة على عدم عزل أسامة بأن النبي قد نصبه؟! (1).

ثانياً: إن أبا بكر نفسه قد عزل عددا ممن نصبهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حياته، واستمروا على عملهم إلى ما بعد وفاته «صلى الله عليه وآله»، فقد ذكر العلامة الأميني: أن أبا بكر جعل خالد بن سعيد بن العاص على مشارق الشام في الردة، وكان النبي «صلى الله عليه وآله» قد استعمله على ما بين زمع زبيد إلى حد نجران. أو على صدقات مذحج، ومات وهو على عمله (2).

ص: 177

1- راجع: الغدير ج 7 ص 224 و 225.

2- راجع: الغدير ج 7 ص 224 و 225 و مكاتيب الرسول ج 1 ص 14 وفي هامشه عن: الإصابة ج 2 ص 222 (4234) في ترجمة طاهر بن أبي هالة و ص 539 (5846) في ترجمة عمرو و ج 1 ص 407 (2167) في ترجمة خالد، والإستيعاب ج 3 ص 357 في ترجمة معاذ و ج 1 ص 400 في ترجمة خالد، و اليعقوبي ج 2 ص 65 و 112 و فتوح البلاذري ص 142 و البداية و النهاية ج 6 ص 307 و ابن خلدون ج 2 ق 2 ص 59 و ابن أبي الحديد ج 6 ص 31 و 41 و ج 2 ص 58 و البحار ج 21 ص 407 و التراتيب الإدارية ج 1 ص 245 و 397 و صحبة النبي «عليه السلام» ص 120 و الطبري ج 3 ص 136 و 185 و 228 و 318. و الإرشاد للمفيد ص 80 و 81 (وفي أسد الغابة ج 2 ص 83 أرسل عليا «عليه السلام» و خالد بن سعيد إلى اليمن، وقال: إذا اجتمعتما فعلي الأمير.

و استعمل أبو بكر يعلى بن أمية على حلوان. مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد استعمله على الجند. و توفي «صلى الله عليه وآله» و هو على عمله (1).

و كان عمرو بن العاص على عمان، و توفي «صلى الله عليه وآله» و هو أميرها (2).

و كان عكرمة على صدقات هوازن عام وفاته. فاستعمل أبو بكر

ص: 178

1- راجع: الغدير ج 7 ص 224 و 225. و راجع: مكاتيب الرسول ج 1 ص 47 و في هامشه عن: البحار ج 21 ص 407 و الطبري ج 3 ص 228 و 318 و ابن خلدون ج 2 ق 2 ص 59 و البداية و النهاية ج 6 ص 307 و يعقوبي ج 2 ص 113. و راجع: أسد الغابة ج 5 ص 128 و قاموس الرجال ج 11 ص 143.

2- راجع: سبل السلام للكحلاني ج 1 ص 127 و البحار ج 22 ص 249 و الغدير ج 7 ص 225 و مكاتيب الرسول ج 1 ص 116 و في هامشه عن: الكامل لابن الأثير ج 2 ص 87 و أسد الغابة، و السيرة النبوية لزيني دحلان (بهامش الحلبية) ج 3 ص 75 و الطبقات الكبرى ج 1 ص 262 و الإصابة، و ابن أبي الحديد ج 2 ص 112. و راجع: الإستيعاب لابن عبد البر ج 3 ص 1187.

عكرمة على عمان ثم عزله، واستعمل عليها حذيفة بن محصن (1).

ثم ذكر أن عمر نفسه قد عزل بعض من كانوا في عهد النبي «صلى الله عليه وآله»، وكذلك عثمان، فاستعمل عثمان بن أبي العاص على عمان والبحرين سنة 15، وكان على الطائف من زمن النبي «صلى الله عليه وآله» وغير ذلك (2).

ثالثاً: إن المعترضين على تأمير أسامة إنما أخذوا مبررات الإعتراض مما جرى في السقيفة، حيث استدلووا على أحقية أبي بكر للخلافة بكبر سنه، فلا غضاضة على الأنصار إذا طالبوه بعزل صغير السن عنهم، وتولية من هو أسن منه.

بل إن هذا الإعتراض قد صدر من بعض المهاجرين والأنصار في عهد النبي على النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه بالنسبة لزيد بن حارثة، أبي أسامة، فاضطر «صلى الله عليه وآله» إلى أن يخطب الناس، ويؤكد أهليته للإمارة كأبيه، ويشير إلى أن اعتراضهم لم يكن لأجل سنه، وإنما لأمر أخرى يخفونها، ولو كان السبب هو مجرد السن، فلماذا يطعنون بإمارة أبيه من قبل.

رابعاً: لماذا يتكلم عمر بلسان الأنصار، ونحن نعرف أنه لم يكن يكنّ لهم الكثير من الود والصفاء، ولا سيما بعد قصة السقيفة؟!

ص: 179

-
- 1- راجع: الغدير ج 7 ص 225 والطبقات الكبرى لابن سعد ج 7 ص 404 ومكاتيب الرسول ج 1 ص 31 وفي هامشه عن: الإصابة ج 2 ص 496 (5638) والتراتب الإدارية ج 1 ص 397 وأسد الغابة ج 4 ص 5 والإستيعاب ج 3 ص 149.
 - 2- راجع: الغدير ج 7 ص 225.

خامسا: قد برّروا الإعتراض على تأمير أسامة بأنه لا يجوز أن يتأمر على المهاجرين، كما تقدم عن عياش بن أبي ربيعة، ولم نسمع للأنصار اعتراضا على تأمير أسامة. .

سادسا: إذا كان أبو بكر متقيدا إلى هذا الحد بتوجيهات رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلماذا طلب من أسامة أن يتخلى له عن عمر بن الخطاب، و يبقيه عنده؟! !

سابعا: إذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد قرر ذلك، فهل يحق لأسامة أن يبطل قرار النبي «صلى الله عليه وآله» فيه؟! !

هذا كله عدا عن تخلف أبي بكر نفسه عن ذلك الجيش، بعد أن كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد ندبه ليكون فيه كسائر الناس؟! ! .

أبو بكر في جيش أسامة:

قال الصالحي الشامي:

ذكر محمد بن عمر، وابن سعد: أن أبا بكر كان ممن أمره رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالخروج مع أسامة إلى أبنى، و جرى عليه في المورد، و جزم به في العيون، والإشارة، والفتح في مناقب زيد بن حارثة.

و أنكر ذلك الحافظ أبو العباس بن تيمية، فقال في كتابه الذي رد فيه على ابن المطهر الرافضي:

«لم ينقل أحد من أهل العلم أن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسل أبا بكر وعثمان في جيش أسامة، فقد استخلفه يصلي بالمسلمين مدة مرضه إلى أن مات. و كيف يتصور أن يأمره بالخروج في الغزاة وهو يأمره بالصلاة

بالناس» ؟ و بسط الكلام على ذلك.

فقلت: وفيما ذكره نظر من وجهين:

أولهما: قوله: لم ينقل أحد من أهل العلم الخ. فقد ذكره محمد بن عمر، وابن سعد، وهما من أئمة المغازي.

ثانيهما: قوله: وكيف يرسل أبا بكر في جيش أسامة؟ الخ. . ليس بلازم، فإن إرادة النبي «صلى الله عليه وآله» بعث جيش أسامة كان قبل ابتداء مرض رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فلما اشتد به المرض استثنى أبا بكر، وأمره بالصلاة بالناس.

وقال ابن سعد: حدثنا عبد الوهاب بن عطاء العجلي قال: حدثنا المعمر بن نافع عن ابن عمر:

أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث سرية فيها أبو بكر وعمر، واستعمل عليهم أسامة بن زيد، وكان الناس طعنوا فيه أي في صغره، فبلغ ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله» الخ. . فذكر الحديث (1).

ونقول:

إن علينا أن نضيف إلى ما تقدم ما يلي:

1- إن النص المتقدم يقول: «لم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار، إلا انتدب (بالبناء للمفعول) في تلك الغزوة، منهم أبو بكر الخ. .» .

ومن الواضح: أن انتداب وجوه المهاجرين والأنصار، إنما كان من قبل

ص: 181

1- راجع: سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 250 و 251.

2- إن الذين ذكروا أبا بكر في جيش أسامة لا ينحصرون بالواقدي وابن سعد، بل فيهم اليعقوبي، والبلاذري، وكثيرون آخرون (1).

3- بالنسبة لاستخلاف النبي «صلى الله عليه وآله» له ليصلي بالمسلمين. . نقول:

قد تعرضنا لهذا الموضوع بالتفصيل في فصل مستقل، وبيّنا و هن ما استندوا إليه في ذلك، مع أن الروايات الصحيحة قد دلت على: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد عزله عن الصلاة، حين رآه يؤم الناس. . الأمر الذي يعزز الروايات التي تقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن يعلم بتصديه للصلاة، بل كان ذلك بتدبير من عائشة، كما نقله المعتزلي عن علي «عليه السلام»، أو عن أبي بكر نفسه.

على أن نفس التناقض الشديد فيما بين الروايات يسقطها عن درجة الاعتماد، فراجع ما ذكرناه حين الحديث عن هذا الأمر. .

4- يضاف الى ما تقدم: أنه إذا كان «صلى الله عليه وآله» قد جعله في

ص: 182

1- راجع: تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 74 وأنساب الأشراف ج 1 ص 474 وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج 2 ص 391 و ج 3 ص 215 وأسد الغابة ج 1 ص 68 و تاريخ الخميس ج 2 ص 172 و تاريخ أبي الفداء ج 1 ص 156 و الطبقات الكبرى ج 2 ص 190 و ج 4 ص 66 و سبل الهدى و الرشاد ج 6 ص 248 و سمط النجوم العوالي للعاصمي ج 2 ص 224 و شرح النهج للمعتزلي ج 1 ص 159 و ج 6 ص 52 و الكامل ج 2 ص 317 عن السيرة الحلبية ج 3 ص 234 و عن السيرة النبوية لدحلان ج 2 ص 339 و كنز العمال ج 10 ص 570 و منتخب كنز العمال ج 4 ص 180 و حياة محمد ص 467.

جيش أسامة، فلماذا تراجع عن قراره وغيّر رأيه بهذه السرعة؟ ! فإن حاجة الناس إلى من يؤمهم في صلاتهم لا توجب استدعاء أبي بكر، إلا إذا فرض: أنه لم يكن بين الذين تخلفوا عن جيش أسامة من هو مؤهل لإمامتهم في الصلاة! !

وهذا لا يمكن قبوله. إذ ما هو النقص الذي كان يحول بينهم وبين ذلك؟ ! هل هو بأنهم كانوا بأجمعهم لا يحسنون القراءة مثلاً؟ !

أم هو عدم وجود من يملك صفة العدالة بينهم؟ ! إن ذلك بعيد، ولا مجال للمصير إليه، لما يلي:

أولاً: لمنافاته لقولهم بعدالة جميع الصحابة.

ثانياً: إنهم يروون عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال: صلوا خلف كل بر وفاجر.

ثالثاً: إننا إذا قلنا باشتراط العدالة في الإمام، فمن الصعب الحكم بفسق أولئك الناس كلهم. فالحديث عن أن استثناء أبي بكر قد كان بعد اشتداد مرض النبي «صلى الله عليه وآله»، لا معنى له. .

أقلّ اللبث فيهم:

ولا بد لنا من التأمل في السبب الذي دعا النبي «صلى الله عليه وآله» أن يأمر أسامة بأن يقلّ اللبث في أهل أبي، بعد أن يظفر بهم، فهل هو لا يريد أن يفسح المجال أمام أولئك الأعداء لانتهاز الفرصة لتسديد ضربتهم للمسلمين على حين غفلة منهم؟ ! فإن هذا ما يوجبه النصح للمسلمين والمحافظة عليهم، وحفظهم من أن يتعرضوا لصدمة روحية، قد تبلغ حد

الإحباط لدى بعض ضعفاء النفوس . .

أو لأنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يبقى على حالة الإبهام والغموض، والتهيب للمسلمين، في نفوس أولئك الأعداء؟ !

أو لأنه يريد منه أن يسرع بالرجوع إلى المدينة، لأن طول غيابه قد يفسح المجال أمام بعض الفئات لجمع قواهم، والإنقضاض على المدينة عاصمة الإسلام.

أو لأنه يريد أن يحميه من أن يتمكن هرقل من إرسال جيوشه الهائلة لنجدة أهل أبني، ويتمكن من إلحاق الأذى بأسامة و بجيشه.

أو أن كل ذلك كان مقصودا؟! !!

ربما يكون هذا الأخير هو الأولى والأظهر . .

إشارة إلى حديث الدود:

وقد أشارت بعض النصوص المتقدمة إلى الحديث الذي يقول: إنهم لدوا رسول الله في مرضه، وقد تكلمنا عن هذا الحديث في هذا الجزء من الكتاب وقلنا: إنه حديث خرافة، فراجع . .

حرق عليهم:

وقد نسبوا إلى النبي «صلى الله عليه وآله» أنه أمر أسامة بأن يحرق على أهل أبني، ونحن نشك في صحة هذه الرواية، وذلك لما يلي:

1-إن كان المراد تحريق الشجر مثل النخل وغيره، فنقول:

قد ورد عن ثوبان أنه سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: من قتل صغيرا أو كبيرا، أو أحرق نخلا، أو قطع شجرة مثمرة، أو ذبح شاة

لإهابها، لم يرجع كفافاً (1).

فإنه يدل على أن هذا العمل مرجوح عند الشارع، ولا يأمر النبي «صلى الله عليه وآله» بما هو مرجوح.

بل قد ورد ما يدل على حرمة أيضاً، وبذلك أفتى عدد من الفقهاء إلا في حال الضرورة (2).

و حكم كثير منهم بالكراهة (3).

ص: 185

-
- 1- راجع: مسند أحمد ج 5 ص 276 و مجمع الزوائد ج 5 ص 317 و ج 14 ص 261 و كنز العمال ج 15 ص 35 و سبل الهدى و الرشاد ج 9 ص 118 و عمدة القاري ج 14 ص 261 و كنز العمال ج 15 ص 35.
 - 2- راجع: المذهب لابن البراج (مطبوع ضمن الينابيع الفقهية) كتاب الجهاد ص 88 مقيدا للأشجار ب «المثمرة» وفي منتهى المطلب ج 2 ص 909 عن أحمد، وقد حكى القول بعدم الجواز عن الليث بن سعد، وأبي ثور، والأوزاعي فراجع: فتح الباري ج 5 ص 7 و الجامع الصحيح ج 4 ص 122 و فقه السيرة ص 280 و شرح مسلم للنووي ج 5 ص 7 و ج 12 ص 50 و عمدة القاري ج 4 ص 179 و رياض المسائل للطباطبائي ج 7 ص 502 و البحار ج 73 ص 319.
 - 3- تذكرة الفقهاء ج 1 ص 412 و 413 و راجع: السرائر ص 157 و تحرير الأحكام ج 1 ص 135 و شرائع الإسلام ج 1 ص 312 و القواعد (المطبوع مع الإيضاح) ج 1 ص 357 و الجامع لأحكام الشرائع ص 236 و منتهى المطلب ج 2 ص 909 و الوسيلة (المطبوع ضمن الجوامع الفقهية) ص 696 و الخراج لأبي يوسف ص 210 و المبسوط للسرخسي ج 10 ص 31 عن الأوزاعي، و المبسوط للشيخ الطوسي «رحمه الله» ج 2 ص 11 و عون المعبود ج 7 ص 275 و مجمع الأنهر ج 1 ص 590 و إيضاح الفوائد لابن العلامة ج 1 ص 357 و مسالك الأفهام ج 3 ص 25 و جامع المقاصد للمحقق الكركي ج 3 ص 385 و كشف الغطاء (ط. ق) ج 2 ص 406 و جواهر الكلام ج 21 ص 66.

و النبي «صلى الله عليه وآله» لا يأمر بالمكروه فضلا عن الحرام إلا مع الضرورة. فيرتفع معها عنوان الحرمة أو الكراهة.

إلا أن يقال: إن المرجوح هو فعل ذلك بالمسلمين، أو في نخلهم، و شجرهم، ولا يشمل نخل المحاربين و شجرهم، و أملاكهم.

و يجاب: بأن الكلام قد جاء مطلقا، كما أن النهي عن ذلك قد يكون لأجل أنه من مصاديق الإفساد في الأرض، و هذا صادق على صورة كون النخل للمحاربين أيضا، إلا مع الحاجة إليه لكسر شوكة العدو، و تحقيق النصر عليه.

2-و إن كان المراد تحريق الناس بالنار، فقد روي عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال: لا يعذب بالنار إلا رب النار. أو نحو ذلك (1).

ص: 186

1- راجع: صحيح البخاري كتاب الجهاد، باب لا يعذب بعذاب الله ج 3 ص 1098 ح (2853) و مسند أحمد ج 3 ص 494 و ج 2 ص 307 و عن سنن أبي داود ج 2 ص 219 و (ط دار الفكر) ج 1 ص 603 و ج 2 ص 532 و الجامع الصحيح للترمذي ج 4 ص 117 و السنن الكبرى للبيهقي ج 9 ص 71 و 72 و مصابيح السنة ج 2 ص 528 و 530 و فتح الباري ج 6 ص 105 و ج 12 ص 239 و شرح النهج للمعتزلي ج 5 ص 6 و ج 14 ص 194 و الإستهباب (ط دار الجيل) ج 4 ص 1536 و المعجم الكبير ج 3 ص 161 و مسند أبي يعلى ج 3 ص 106 و الآحاد و المثاني ج 4 ص 340 و المصنف للصنعاني ج 5 ص 215 و تحفة الأحوذى ج 6 ص 173 و عمدة القاري ج 14 ص 220 و تيسير الوصول ج 1 ص 279 و مجمع الزوائد ج 6 ص 251 و حاشية رد المحتار لابن عابدين ج 4 ص 317 و الشرح الكبير لابن قدامة ج 9 ص 405 و ج 10 ص 396 و المحلى لابن حزم ج 10 ص 376 و ج 11 ص 383 و نيل الأوطار ج 8 ص 4 و ج 9 ص 95 و البحار ج 19 ص 352 و الغدير ج 7 ص 155 و بداية المجتهد و نهاية المقتصد لابن رشد الحفيد ج 1 ص 309 و كشف القناع للبهوتي ج 3 ص 55 و المغني لابن قدامة ج 9 ص 391 و 502.

إلا- أن يقال: إن التعذيب بالنار المنهي عنه هو: أن يكون من يراد تعذيبه في قبضة الإنسان المؤمن، ويريد أن يورد عليه عقوبة أو أذى مشروعا من حدّ أو تعزير.

وأما الإستفادة من النار في قتال العدو فلا مانع منه.

3- ما نسب إلى علي «عليه السلام» من أنه أحرق عبد الله بن سبأ. . لعله غير دقيق، فقد روي:

أنه «عليه السلام» حفر له ولأصحابه حفائر، و خرق بعضها إلى بعض، ثم دخن عليهم حتى ماتوا (1).

4- من الممكن أن يكون هذا الحديث قد نسب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بهدف تبرير فعل صدر عن أبي بكر، الذي أحرق الفجاءة

ص: 187

1- راجع: السنن الكبرى للبيهقي ج 9 ص 71 والغدير ج 7 ص 156 وفتح الباري ج 6 ص 106 وشرح النهج للمعتزلي ج 5 ص 5 و ج 8 ص 119 وأحكام القرآن لابن العربي ج 3 ص 515 وعمدة القاري ج 14 ص 264 و شرح إحقاق الحق ج 8 ص 645.

السلمي (1)، و صدر أيضا من خالد بن الوليد (2)، ثم صدر من أسامة تجاه أهل أبي، و معه جماعات من الصحابة ممن لا يحب هؤلاء الناس أن تنسب إليهم مخالفات صريحة، لأنهم كانوا-عموما-من أنصار الحاكم الجديد.

أغز عليهم:

تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لأسامة: «أغز عليهم» و هو تصحيف، إذ لا معنى لتعدية كلمة «أغز» بعلی، فقله: «أغز عليهم» كلام ركيك، إلى حد الغلط، و هو لا يصدر عن أفصح و أبلغ الناس، فالصحيح هو: «أغز عليهم» . . و لعل عدم وجود النقط للحروف هو الذي أوقع في الإشتباه. .

الغارة على الآمنين:

و لا- مجال للإعتراض بأن النبي «صلى الله عليه وآله» لا- يأمر بالإغارة على الآمنين. و ذلك لأن أهل أبي كانوا معلنين للحرب على الإسلام

ص: 188

-
- 1- راجع: تاريخ الأمم و الملوك ج 3 ص 264 و البداية و النهاية ج 6 ص 319 و الإصابة ج 5 ص 223 و تاريخ يعقوبي ج 2 ص 137 و كتاب الفتوح لابن أعثم ج 1 ص 10 و الخصال ص 171 و البحار ج 30 ص 123 و خلاصة عبقات الأنوار ج 3 ص 322 و 324 و الغدير ج 7 ص 170 و تاريخ مدينة دمشق ج 30 ص 418 و 420 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 619.
 - 2- راجع: الرياض النضرة ج 1 ص 129 و المحلى لابن حزم ج 11 ص 380 و تذكرة الفقهاء (ط. ق) ج 9 ص 69 و (ط. ق) ج 1 ص 412 و.

وأهله، وقد كان لهم دور بارز في مؤتة.

ولا مانع من صحة ما روي، من أن قاتل زيد بن حارثة كان فيهم أو منهم، وليس للمحارب أن يتوقع من عدوه أن يعلمه بموقعه، وبخططه، أو بما يحمله من سلاح، أو بساعة إغارته عليه. بل عليه هو أن يكون حذرا، وأن يستعد للمفاجآت، ويحسب لها حسابها.

ولعدوه الحق بأن يموه عليه، وأن يطلب غرته ويغير عليه. فلا محذور في أن يأمر النبي «صلى الله عليه وآله» أسامة بن زيد بأن يغير على أهل أبنى في أي وقت شاء.

سبب التناقل و التخلف عن أسامة:

قال العلامة البحاث السيد عبد الحسين شرف الدين «رحمه الله»، في بيانه لأسباب تناقلهم ثم تخلفهم عن جيش أسامة:

«لا يفوت البعث بتناقلهم عن السير، ولا بتخلف من تخلف منهم عن الجيش». أما الخلافة فإنها تنصرف عنهم لا محالة، إذا انصرفوا إلى الغزوة قبل وفاته «صلى الله عليه وآله».

وكان أبى هو و أمي-أراد أن تخلو منهم العاصمة، فيصفو الأمر من بعده لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» على سكون و طمأنينة.

فإذا رجعوا وقد أبرم أمر الخلافة، وأحكم لعلي «عليه السلام» عقدها، كانوا عن المنازعة والخلاف أبعد.

وإنما أمر عليهم أسامة و هو ابن سبع عشرة سنة (1) ليا لأعنة البعض، وردًا لجماح أهل الجماح منهم، واحتياطًا من الأمن في المستقبل من نزاع أهل التنافس لو أمر أحدهم كما لا يخفى.

لكنهم فطنوا إلى ما دبر «صلى الله عليه وآله»، فطعنوا في تأمير أسامة، و تناقلوا عن السير معه، فلم يبرحوا من الجرف حتى لحق النبي «صلى الله عليه وآله» بربه، فهمّوا حينئذ بإلغاء البعث، و حلّ اللواء تارة، و بعزل أسامة أخرى، ثم تخلف من تخلف منهم عن الجيش، و في أولهم أبو بكر و عمر (2).

تناقل أسامة و الجيش إلى أي مدى؟! :

و يفهم من قول الجوهري «فتناقل أسامة، و تناقل الجيش بتناقله»: أن السبب في تناقل الجيش هو أسامة بالذات. .

ص: 190

1- راجع: الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج 1 ص 34 و الإصابة ج 1 ص 46 و الوافي بالوفيات ج 9 ص 263 و تاريخ يعقوبي ج 2 ص 113 و المراجعات للسيد شرف الدين ص 369 و مستدرک سفينة البحار ج 5 ص 37 و النص و الإجتهد ص 36 و أسد الغابة ج 1 ص 64 و الفصول المهمة في تأليف الأمة ص 104 و عن السيرة الحلبية ج 3 ص 234 و (ط دار المعرفة) ج 3 ص 227 و قيل: كان عمره 18 سنة، و قيل: 20 سنة.

2- النص و الإجتهد ص 36 و 37. و راجع: مكاتيب الرسول ج 3 ص 681 و في هامشه عن: أسد الغابة ج 1 ص 64 و الإصابة ج 1 ص 31 و الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج 1 ص 57 و قاموس الرجال ج 1 ص 468 و تنقيح المقال ج 1 ص 108 و الكشي ص 39/80 و 81 و الطبقات الكبرى ج 4 ق 1 ص 42.

غير أن من الواضح: أن أكثر الجيش، ربما لم يكن مدركا لما يجري، وكان يتعامل مع الأمور بعفوية، وسلامة طوية و انقياد و طاعة، غير أن المفروض بأعيان القوم، وزعمائهم أن لا يستسلموا للأمور ببساطة، بل لا بد أن يتساءلوا عن مبررات هذا الثاقل، و سير فضونه إن وجدوا أنه لا يملك مبررات تقنعهم، و سترتفع عقيرتهم بالإعتراض و الإدانة. .

و لكننا حين نراجع موقفهم هنا نجد: أنهم لم يرتفع لهم صوت، رغم شدة و تواصل حثّ النبي «صلى الله عليه و آله» لهم على المسير، إلى حد لعن المتخلفين، بل كان هؤلاء الأعيان و الزعماء يشاركون في هذا الثاقل، و يمعنون فيه. . مما يعني أنه ثاقل قد تفاهموا عليه مع أسامة، إن لم يكونوا هم الذين جروه إليه، أو فرضوه عليه. .

و يؤكد هذا الذي نقوله: أن هذا الثاقل، أو فقل: هذا التمرد على أوامر رسول الله «صلى الله عليه و آله» قد استمر حوالي نصف شهر. .

و حتى حينما لم يجد أسامة بدا من المسير، تحت وطأة إصرار رسول الله «صلى الله عليه و آله»، فإنه سار قليلا، و بمقدار ساعة فقط، ثم حط رحاله في الجرف على بعد فرسخ واحد من المدينة، ربما ليبقى جيشه في أجواء ما يجري في المدينة، و على علم بالشائعات عن حياة النبي «صلى الله عليه و آله»، التي ربما كانت فئات في المدينة تغذيها، بالتعاون مع مجموعات في الجيش نفسه.

و كان أسامة يترك الجيش و يدخل المدينة، و يصصر على النبي «صلى الله عليه و آله» بالترث، و يصصر عليه النبي «صلى الله عليه و آله» بالاستعجال، حتى لقد رجع في اليوم الأخير مرتين كانت الأخيرة منهما برفقة عمر و أبي

إعتذارات البشري عن ثقافتهم:

ثم ذكر السيد شرف الدين: أن الشيخ سليم البشري قد اعتذر عنهم بما حاصله:

1- بالنسبة لثقافتهم، نقول:

إن النبي «صلى الله عليه وآله»، وإن كان قد حثهم على الإسراع، ولكنه تمرض بعد ذلك مباشرة، فثقل حتى خيف عليه، فلم تسمح نفوسهم بفراقه وهو في تلك الحال، فتربصوا ينتظرون في «الجرف» ما تنتهي إليه حاله.

وهذا من وفور إشفاقهم عليه، ولوع قلوبهم به. ومقصدهم في ثقافتهم: إما قرة عيونهم بصحته، وإما التشرف بتجهيزه، وتوطيد الأمر لمن يتولى عليهم من بعده. فهم معذرون في تربصهم.

2- واعتذر عن طعنهم في إمارة أسامة: بأن سببها هو حادثة سنه، وهم شيوخ وكهول، ونفوس الشيوخ والكهول تأبى النزول على حكم الشبان (1).

ونقول:

إننا نصيف إلى ما تقدم ما يلي:

أولاً: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يكتف في أمره لهم بالمسير مع أسامة على ما قبل اشتداد مرضه، بل هو قد استمر يأمرهم بذلك مرة بعد أخرى

ص: 192

1- المراجعات للسيد شرف الدين ص 370 والنص والاجتهاد ص 37-39 وراجع المصادر المتقدمة في الهوامش السابقة.

حتى بعد اشتداد المرض أيضا، وقد أكد هذا الالتزام بلعنه لمن يتخلف. فليس لأحد أن يعتذر عن معصية الأمر الوجوبي من أجل أمر مستحب فهو كمن يترك الحج الواجب، والصلاة الواجبة، لأنه أراد أن يزور أحد المؤمنين، أو لا نشغاله بالتسبيح والتهليل.

ثانيا: لقد كان النبي «صلى الله عليه وآله» أعرف بالمصالح والمفاسد منهم. فمواصلة حثه لهم على الإسراع بالمسير حتى بعد اشتداد مرضه، مع علمه بأن صحابته قلقون عليه يدل على أن ما يتوخاه من هذا الإسراع أعظم من مصلحة طمأننتهم على مصيره، أو مشاركتهم في مراسم دفنه، أو في توطيد الأمر لمن يتولى الأمر بعده. فإن هذه الأمور لا تخفى على رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فكان يجب أن يمثلوا أمره، على قاعدة: وَيَسْلَمُوا تَسْلِيمًا (1). ولا- يحق لهم أن يعتبروا رأيهم مقدما على أوامره، فإن رأيهم ينتهي إلى الحسد والظن، أما هو فلا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى..

ثالثا: إن حديث الإشفاق، لا يمكن القبول به، لأن المعيار هو ما يحكم به العقل، و تقتضيه الحكمة، لا ما تدعو إليه العاطفة، ويسوق إليه الهوى. ألا ترى أن لو كان لإحدى النساء طفل مريض، وقد وصف له الطبيب دواء مرا، أن عقلها يحتم عليها أن تسقيه الدواء، وإن كانت عاطفتها تصدها عن ذلك، لأنها لا تريد أن تؤذي طفلها بمرارة الدواء..

رابعا: بالنسبة لنفرة نفوس الشيوخ من الإنقياد إلى الشباب، نقول:

ص: 193

إن هذا لو كان عذرا لوجب أن يكون جميع الذين كانوا أكبر سنا من رسول الله «صلى الله عليه وآله» معذروين في اختيارهم الكفر و الشرك على الإسلام، لأن نفوسهم تأبى الإتيان لرسول الله «صلى الله عليه وآله» لأنه كان شابا بالنسبة إليهم .

ولكان يجب أن لا- ينقاد كثير من أهل الممالك لرؤسائهم و ملوكهم، حين يكونون أكبر منهم سنا، أو حين يكونون شيوخا، و ملوكهم و رؤسائهم شبانا.

خامسا: حتى لو سلمنا أن الأمر كذلك، فإن ثمة فرقا ظاهرا بين أوامر الأنبياء و أوصيائهم، و أوامر الرؤساء و الملوك، و سائر الناس لبعضهم بعضا، فإن أوامر الأنبياء و الأوصياء تنتهي إلى الله سبحانه، و هي تعبر عن إرادته، و تنتهي بمرضاته، و ليست أوامر الرؤساء و الملوك و الناس مع بعضهم البعض كذلك.

وقد قال تعالى: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (1).

وقال: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (2).

إرتداد العرب متى كان؟ ! ولماذا؟ ! :

وقد ذكر النص المتقدم: أن العرب ارتدت قبل أن يتحرك أسامة من

ص: 194

1- الآية 65 من سورة النساء.

2- الآية 36 من سورة الأحزاب.

المدينة، وهو كلام غير دقيق، ولا صحيح، فإنهم يصرحون: أنه بمجرد أن تمت البيعة لأبي بكر سيّر أبو بكر جيش أسامة.

ويبدو لنا أن العرب لم يرتدوا، وإنما هم قد امتنعوا من البيعة لأبي بكر، لأنهم كانوا قد حضروا يوم الغدير، وبايعوا علياً «عليه السلام»، فلا معنى لقبولهم بنكث بيعتهم التي أمرهم بها الرسول «صلى الله عليه وآله»، وأشرف عليها بنفسه، ليبايعوا أبا بكر الذي أخذ هذا المقام بالقهر والغلبة وبالتهديد، بالإستناد إلى ألوف المقاتلين من بني أسلم وغيرهم كما سيأتي.

والذين ارتدوا حقيقة إنما ارتدوا في زمن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، مثل: مسيلمة، وطلحة، وسجاح، والأسود العنسي.

وأما مالك بن نويرة، وأضرابه، فهؤلاء إنما امتنعوا عن بيعة أبي بكر، ولم يؤدوا الزكاة إليه، وقالوا: إنهم لا يؤدونها إلا إلى أهل بيت نبيهم، أو يقسمونها على فقرائهم، فاستحل أبو بكر دماءهم وقتلهم.

ولهذا البحث مجال آخر.

إشكال مشترك الورد:

وقد يقال: إن إشكال التخلف عن جيش أسامة مشترك الورد، وبيان ذلك كما يلي:

أولاً: إن أبا بكر وعمر، وغيرهما، وإن كانوا قد تخلفوا عن جيش أسامة (1)، وقد شملهم قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

ص: 195

1- الإستغاثة (ط دار الجيل) ج 1 ص 21 و منهج الكرامة للعلامة الحلي ص 100 و نهج الحق للعلامة الحلي ص 263 عن: الممل و النحل للشهرستاني ج 1 ص 23، و السيرة الحلبية ج 3 ص 207، و شرح النهج للمعتزلي ج 1 ص 53 و الكامل في التاريخ ج 2 ص 215 إضافة على مصادر أخرى تقدمت.

«لعن الله من تخلف عن جيش أسامة» . ولكن عليا «عليه السلام» قد تخلف أيضا؛ فلماذا لا يشملها؟! .

ثانيا: لم يرد لعن المتخلف عن جيش أسامة في حديث أصلا (1).

ثالثا: إن أبا بكر قد تخلف لما أمره النبي «صلى الله عليه وآله» بالصلاة بالناس، فليس في تخلفه غضاظة. .

ونجيب بما يلي:

إنه لا-ريب في أن عليا «عليه السلام» لم يتخلف عن جيش أسامة، فلا يشملها لعن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لمن تخلف، و ما ذكروه لا اعتبار به، وذلك للأمور التالية:

أولا: قولهم لم يرد لعن المتخلف عن جيش أسامة في حديث أصلا، غير صحيح، فقد أرسل ذلك الشهرستاني في الملل و النحل إرسال المسلمين (2)، و ذكر ذلك غيره أيضا (3).

ص: 196

1- السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 228.

2- راجع: الملل و النحل (ط دار المعرفة) ج 1 ص 23 و (بهامش الفصل لابن حزم) ج 1 ص 20.

3- شرح النهج للمعتزلي ج 6 ص 52 عن كتاب السقيفة لأحمد بن عبد العزيز الجوهري و راجع: المسترشد للطبري ص 112 و البحار ج 30 ص 431 و 432 و نفحات اللاهوت ص 113 و تشييد المطاعن ج 1 ص 47 و معالم المدرستين ج 2 ص 77 و وصول الأخيار إلى أصول الأخبار لوالد البهائي العاملي ص 68 و كتاب الأربعين للشيرازي ص 141 و 527 و قاموس الرجال ج 12 ص 21 و السقيفة وفدك للجوهري ص 77 و نهج السعادة للمحمودي ج 5 ص 259 و مستدرك سفينة البحار ج 5 ص 209 و النص و الاجتهاد ص 42 و المراجعات للسيد شرف الدين ص 374 و إحقاق الحق (الأصل) ص 218.

ثانيا: إنه حتى لو لم يرد لعن صريح لمن تخلف، فإن نفس مخالفة أمر النبي «صلى الله عليه وآله» أمر قبيح، يستحق فاعله العقوبة، فكيف إذا كان «صلى الله عليه وآله» قد أصر على الناس في تنفيذ هذا البعث، وأصروا هم على عصيان أمره، وهو يرى ذلك منهم، ويحاول معالجته مرة بعد أخرى، فلا يستجيبون له، فإن ذلك سيكون من موجبات تأذيه منهم، وغضبه عليهم، وهذا من موجبات طردهم من ساحة رحمة الله تبارك وتعالى .

ثالثا: إن الحديث عن تخلف أبي بكر بأمر من رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه، حين أمره بالصلاة بالناس، لا يصح، فقد ذكرنا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد بادر إلى عزله عن نفس تلك الصلاة. .

كما أن عليا «عليه السلام» كان يقول: إن عائشة هي التي أمرت أباهما بأن يصلي بالناس وليس النبي «عليه السلام» (1).

ص: 197

1- شرح نهج للمعتزلي ج 9 ص 197 و البحار ج 28 ص 159 و الهداية الكبرى للخصيبي ص 411 و كتاب الأربعين للشيرازي ص 620 و الإستغاثة للكوفي ج 2 ص 19 و مناقب أهل البيت «عليه السلام» للشيرواني ص 399 و تثبيت الإمامة للهادي يحيى بن الحسين ص 23 و نهج السعادة ج 5 ص 268 و راجع: الإرشاد ج 1 ص 182 و الإفصاح للمفيد ص 206 و المسترشد للطبري (الشيعة) ص 132 و الإيضاح لابن شاذان ص 346 و شرح الأخبار ج 2 ص 241 و الفصول المختارة للشريف المرتضى ص 124 و الجمل لضاامن بن شذقم المدني ص 40 و كتاب الأربعين ص 278 و الصراط المستقيم ج 3 ص 135 و 133 عن الغزالي في الإحياء، و راجع: كتاب الأربعين للشيرازي ص 279 و خصائص الأئمة للشريف الرضي ص 73 وفيه: أنها أمرت عمر.

وقد ناقشنا هذه القضية في موضع آخر من هذا الجزء فلا نعيد. .

ويدل على ذلك: أن أسامة حين وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد ترك المدينة وسكن وادي القرى (1)، فكتب أبو بكر إليه يستقدمه إلى المدينة، فأجابه أسامة بكتاب جاء فيه:

«انظر مركزك، ولا تخالف فتعصي الله ورسوله، وتعصي من استخلفه رسول الله «صلى الله عليه وآله» عليك وعلى صاحبك، ولم يعزلني حتى قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإنك وصاحبك رجعتما، وعصيتما، وأقمتهما في المدينة بغير إذن» (2).

وفي نص آخر: «فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» استخلفني عليكم، ولم يعزلني.

وقد علمت كراهة رسول الله «صلى الله عليه وآله» لرجوعكم عني إلى المدينة.

ص: 198

1- الطبقات الكبرى لابن سعد ج 4 ص 72 و تاريخ مدينة دمشق ج 8 ص 48 و ج 10 ص 140 و ج 13 ص 26 و ج 70 ص 8 و الإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج 1 ص 202 و راجع: الأعلام للزركلي ج 1 ص 291 و المنتخب من ذيل المذيل للطبري ص 33 و 50.

2- الإحتجاج للطبرسي ج 1 ص 114 و البحار ج 29 ص 92.

وقال «صلى الله عليه وآله»: «لا يتخلفن أحد عن جيش أسامة إلا كان عاصيا لله ولرسول الله» (1).

رابعا: لا ريب عند أحد من المسلمين في أنه «صلى الله عليه وآله» لم يجعل عليا «عليه السلام» في ذلك الجيش، فضلا عن أن يتوهم أنه قد تخلف عنه، و يكفي أن نشير هنا إلى ما يلي:

ألف: قال ابن حمزة: «و هل نقل عن أحد من أهل العلم أن عليا «عليه السلام» كان في جيش إلا وهو أميره» (2).

وروى الواقدي، قال: سئل الحسن (البصري) عن علي «عليه السلام» -و كان يظن به الإنحراف عنه، و لم يكن كما يظن- فقال: ما أقول فيمن جمع الخصال الأربع: انتمانه على براءة، و ما قال له الرسول في غزاة تبوك، فلو كان غير النبوة شيء يفوته لاستثناه، و قول النبي «صلى الله عليه وآله»: «الثقلان كتاب الله و عترتي»، و إنه لم يؤمر عليه أمير قط، و قد أمرت الأمراء على غيره (3).

و العبارة الشائعة عن هذا الأمر هي قولهم: لم يؤمر عليه أحدا قط، و لم يكن في سرية قط إلا كان أميرها (4).

ص: 199

1- كتاب الأربعين للماحوزي ص 256 و تثبيت الإمامة للهادي يحيى بن الحسين ص 20.

2- الشافي لابن حمزة ج 4 ص 164.

3- شرح النهج للمعتزلي ج 4 ص 95-96 عن الواقدي، و الملل و النحل للشهرستاني ج 1 ص 144 و أبو هريرة للسيد شرف الدين ص 123 و 135.

4- راجع: الثقات ج 1 ص 242 و الطبقات الكبرى ج 2 ص 58 و الوفاء ص 689 و تاريخ الخميس ج 1 ص 461 و كتاب سليم بن قيس (بتحقيق الأنصاري) ص 418 و دلائل الإمامة للطبري (الشيعة) ص 261 و شرح الأخبار ج 1 ص 320 و نوادر المعجزات للطبري (الشيعة) ص 144 و المناقب لابن شهر آشوب ج 3 ص 351 و الطوائف ص 277 و البحار ج 20 ص 165 عن الكازروني و غيره و ج 37 ص 335 و ج 47 ص 127 و ج 49 ص 209 و خلاصة عبقات الأنوار ج 7 ص 121 و النص و الإجتهد للسيد شرف الدين ص 237 و 338 و الغدير ج 1 ص 212 و أبو هريرة للسيد شرف الدين ص 123 و 135 و قاموس الرجال ج 12 ص 151 و نهج الإيمان لابن جبر ص 467 و راجع: الكامل في التاريخ ج 2 ص 74 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 555 و زاد المعاد ج 1 ص 71 و حبيب السير ج 1 ص 355 و السيرة الحلبية ج 2 ص 264-265 و السيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 261.

و هذا يدل على أنه «عليه السلام» لم يكن في جيش أسامة، لأنه لو كان فيه لكانت الإمارة له لا لسواه.

ب: إن جعل النبي «صلى الله عليه وآله» عليا «عليه السلام» وصيا بأمر من الله تعالى، و البيعة له في يوم الغدير يمنع من جعله إياه في جيش أسامة، لا سيما و هو «صلى الله عليه وآله» يتوقع أن ينزل به القضاء لحظة بعد أخرى، فقد أخبرهم «صلى الله عليه وآله» بدنو أجله، و أنه يوشك أن يدعى فيجيب.

فلم يكن «صلى الله عليه وآله» ليجعله مولى للناس، و أولى بهم من أنفسهم، ثم يجعل أسامة أميرا عليه، و المتصرف فيه، و الأمر و الناهي له.

ج: ورد في رسالة كتبها أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى شيعته قوله:

«وقد كان نبي الله أمر أسامة بن زيد على جيش، و جعلهما (يعني أبا

ص: 200

بكر وعمر) في جيشه.

وما زال النبي «صلى الله عليه وآله» إلى أن فاضت نفسه يقول: «انفذوا جيش أسامة» .

فمضى جيشه إلى الشام، حتى انتهوا إلى أذرعات الخ. .» (1).

فلو كانت حاله «عليه السلام» في التخلف عن جيش أسامة حال غيره لم تصح منه الإشارة إلى تخلفهما، وعصيانهما أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

هذا. . ولم يزل الشيعة يستدلون على غيرهم بتخلف أبي بكر وعمر عن جيش أسامة، وقد اقتضت إجابات أتباع أبي بكر وعمر على إنكار تخلف أبي بكر، ولو بالاستناد إلى ما زعموه من أن النبي «صلى الله عليه وآله» أمره بالصلاة. . ولم نجد أحدا منهم نقض على الشيعة بتخلف علي «عليه السلام» . .

وذلك يدل على أن من المتسالم عليه أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن قد جعل عليا «عليه السلام» في ذلك الجيش.

وحسبنا ما ذكرناه آنفا عن علي «عليه السلام» ، وعن الحسن البصري، وغير ذلك، مما يدل على هذا الأمر دلالة قاطعة، فليلا حظ ذلك. .

ص: 201

1- الخطبة في البحار ج 30 ص 7-12 و كشف المحجة ص 176، و مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) للمير جهاني ج 4 ص 74، و نهج السعادة ج 5 ص 205، و الإمامة وأهل البيت لمحمد بيومي مهران ج 1 ص 79.

وغني عن البيان: أن تأمير أسامة وهو شاب في مقتبل العمر لم يخض حرباً، ولم يتسلم قبل ذلك قيادة على جيش يضم كبار الصحابة، و الزعماء، والقادة، والطامحين لأعظم مقام وأسماء، وهو مقام خلافة النبوة. سيكون صعباً وثقيلاً على قلوب هؤلاء الناس، ولا سيما قادة طالما تباهوا بأنفسهم، وافتخروا على غيرهم من أمثال خالد، وابن العاص، وغيرهما. وقد كان هذا الجيش يريد غزو بلاد بعيدة، ترتبط بأعظم إمبراطورية في ذلك الزمان، وهي إمبراطورية الروم.

فإن ذلك يدل على: أنه «صلى الله عليه وآله» يرمي إلى تحقيق أهداف عظيمة، لا بد أن يعيها المسلمون، وأن يتأمل بها المتأملون، وأن يوصلها إلى بر الأمان، ويحقق لها النصر، المؤمنون المخلصون.

ويمكن أن نشير إلى جملة من هذه الأهداف فيما يلي:

أولاً: قال الشيخ محمد رضا المظفر «رحمه الله»: :

إنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يهيئ المسلمين لقبول قاعدة «الكفاية» في ولاية أمورهم، من ناحية عملية، فليست الشهرة ولا تقدم العمر هما الأساس لاستحقاق الإمارة والولاية، فلذا قال عن أسامة، مؤكداً جدارته بالقسم ولام التأكيد: «وأيّم الله، إن كان لخليقا للإمارة-يعني زيدا- وإن ابنه لخليق للإمارة» (1).

ويأتي هذا بمثابة الرد لمقولة عمر، التي أشرنا إليها حين الكلام حول

ص: 202

1- السقيفة للشيخ المظفر «رحمه الله» (ط مكتبة الزهراء، قم، إيران) ص 77.

حديث الغدير: أن السبب في إبعاد علي «عليه السلام» عن الخلافة هو: أن قومه استصغروه. .

ثانيا: إن تأمير أسامة كما يقوله العلامة المظفر «يقيم الحجة لهم و للناس بأن من يكون مأمورا طائعا لشاب يافع، و لا يصلح لأمانة غزوة مؤقتة، كيف يصلح لذلك الأمر العظيم، و هو ولاية أمور جميع المسلمين العامة، و هي في مقام النبوة؟! و صاحبها أولى بالمؤمنين من أنفسهم (1)» (2).

وقال «رحمه الله»: «فهذا البعث الذي كان تدبيرا لإخلاء المدينة لعلي «عليه السلام» و حزبه، كان حجة على المستصغرين لسنه، و دليلا على عدم صلاح غيره لهذا المنصب العظيم. .

فإذا كان الإخلاء، لم يتم لتمايع القوم و عرقلتهم للبعث، فإن الحجة ثابتة مع الدهر. .

و لا يصح للباحث أن يدعي: أن السبب الحقيقي لتخلف القوم هو ما تظاهروا به من عدم الرضى بإمارة قائدهم الصغير، و إن تذرعوا به عذرا لاحقا، تلك الشنينة التي عرفها النبي «صلى الله عليه و آله» من أخزم.

لأننا نرى: أن لو كان هذا السبب الحقيقي لما تنفذ البعث، بعد أن تم أمر الخلافة الذي به زال المانع الحقيقي. و المسلمون إلى النبي «صلى الله عليه و آله» أطوع منهم إلى أبي بكر، لو كان يمنعهم صغر القائد. و لم يتأب عمر

ص: 203

1- الآية 6 من سورة الأحزاب.

2- السقيفة للشيخ المظفر «رحمه الله» (ط مكتبة الزهراء، قم، إيران) ص 78.

نفسه بعد ذلك أن يخاطب أسامة بالأمير طيلة حياته، اعترافاً بأمارته» (1) بل عرفانا منه بالجميل له.

وقال «رحمه الله»: «أما الشفقة على النبي «صلى الله عليه وآله» إن لم تكن عذرا آخر تذرعوها به فلا يصح أن تكون سببا حقيقيا، إذ ينبغي أن يكونوا عليه أشفق بالتحاقهم بالبعث، وقد غضب أشد الغضب من تأخرهم، على ما فيه من حال ومرض.

ولئن ذهبوا يسألون عنه الركبان، كان أكثر برا بنبيهم «صلى الله عليه وآله» من أن يعصوا أمره، ويغضبوه ذلك الغضب المؤلم له» (2).

ثالثا: إنه لا ريب في أنه لو تم غزو تلك البلاد في هذا الظرف بالذات، وانتظام أمر الخلافة وفق ما رسمه النبي «صلى الله عليه وآله»، فإنه سيكون تأكيداً لهيبة الإسلام، وتحصينا للدولة الإسلامية من مطامع أهل الزيغ والنفاق في الداخل، والأعداء المتربصين بها شرا في الخارج.

وسيعطي الإنطباع بأن مفاهيم وقيما جديدة قد وجدت لها مكانا في ذهنية المجتمع الإسلامي، وفرضت نفسها في مجال العمل والممارسة، وأن نفوس الناس قد روضت لتقبل ما كان يكاد يدخل في عداد المستحيلات في السابق، وهو أن ينقاد شيوخ وزعماء القبائل لشاب هو بمثابة ولد وحفيد، وليس هو من القبائل التي تمسك بأسباب القوة والنفوذ، والتي يعترف لها بالزعامة والرياسة على نطاق واسع في ذلك المحيط الذي كانت مفاهيم

ص: 204

1- نفس المصدر ص 78 و 80.

2- المصدر السابق.

الزعامة بهذا المعنى هي المهيمنة عليه بجميع فئاته وطبقاته. .

و هذا سوف يجعل الكثيرين يفكرون مليا بما أحدثه هذا الدين من انقلاب عميق، في كل الواقع الإنساني القائم آنذاك. .

بعث أسامة مدهش:

و لا شك في أن بعث أسامة يبقى أهم إجراء مثير للدهشة لدى أي باحث منصف، و لا سيما بملاحظة ما يلي:

1-أن هذا النبي الذي جاء بدين و لقي كل هذه التحديات، و تعرض لمختلف أنواع التآمر و الكيد، يواجه حالة نفاق مستشرية في داخل مجتمعه الناشئ. و هي حالة تحدث عنها القرآن بإسهاب، و بأسلوب حازم و قوي، ينبئ عن عظيم خطرهما، و بالغ أثرهما. . حتى لقد قال سبحانه لنبيه: **وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَاُولَئِكَ الْمَدِينَةُ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ (1)**. و أكد له على أنهم يتربصون الدوائر بالإسلام و بالمسلمين.

2-إن هذا النبي «صلى الله عليه و آله» يعلم أن هذا أوان فراقه لهذه الدنيا. و قد أخبر الناس بذلك في حجة الوداع. .

3-إنه يعلم أيضا: أن الفتن قد أقبلت على قومه كقطع الليل المظلم. .

4-إنه يعلم أن هناك من لا- يهتم بالإسلام، بل هو يريد أن يتخذ منه وسيلة لأغراضه، و ذريعة لتحقيق مآربه في الحكم و الحاكمية، و الحصول على المناصب، و الأموال، و النفوذ، و الجاه العريض.

ص: 205

5- إنه يعلم كذلك: أن الرؤساء والزعماء هم الذين يهيمنون على الواقع العام، لو حدث بالنبي «صلى الله عليه وآله» حدث، وهم من يفترض فيهم أن يتدبروا الأمور بحكمة وروية، وأناة، فالاحتفاظ بهم في مواقع الخطر، وحين يحدث الفراغ الكبير، باستشهاد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، يصبح ضرورة لا بد منها، ولا غنى عنها.

6- إنه يعلم: أن وجود قوة الردع من شأنه أن يحمي الواقع الداخلي من أطماع الأعداء، ويجعلهم غير ميالين إلى المغامرة، ولا راغبين بالمخاطرة، التي تكلفهم أثمانا ليسوا على استعداد لبذلها.

7- إننا مع ذلك كله نرى: أن النبي «صلى الله عليه وآله» يرسل جيشا للإغارة على موقع تحميه أعظم وأقوى أمبرطورية في الدنيا. وقد استثنى عليا «عليه السلام» من هذا الجيش، ليكون معه، كما أننا لم نسمع أنه ذكر اسم أي من مناصري علي «عليه السلام» في جملة جيش أسامة. .

علما بأن هؤلاء لم يكونوا نكرات، ولا مجاهيل في محيطهم ومجتمعهم، بل كانوا من البارزين والمرموقين، فهم لم يذكروا سلمان الفارسي، ولا المقداد، ولا أباذر، ولا أحدا من بني هاشم، ولا أبا الهيثم بن التيهان، ولا . . . ولا . . . في جملة من فرض عليهم النبي «صلى الله عليه وآله» الخروج في ذلك الجيش، فهل اكتفى «صلى الله عليه وآله» بأوامره العامة الشاملة لهم ولغيرهم؟! !

أم أنه استثناهم كما استثنى عليا «عليه السلام»؟! !

إن ذلك لم تتمكن من استيضاحه من النصوص المتوفرة لدينا. .

8- ونحن نعلم أن النبي «صلى الله عليه وآله» أعقل الخلق، وأحكمهم

حكمة، وأفضلهم رأياً، وأحسنهم تدبيراً، وهو مسدد بالوحي، مرعي بالأنطاف الإلهية. وهذا يجعلنا ندرك أن هناك أهدافاً كبيرة وخطيرة كان يريد «صلى الله عليه وآله» تحقيقها. .

وأنها كانت أهدافاً تستحق اقتحام الأخطار، ومواجهة الصعوبات. .

ولا نتعقل هذه الأهمية لأي شيء، إلا إذا كان أمراً يتوقف عليه حفظ هذا الدين، وبقاؤه، وصيانتة في حقائقه وشرائعه. .

9-إننا نتوقع أن يكون الباحث الأريب، والمراقب اللبيب قد حدد من خلال كل هذا الذي أشرنا إليه آفاق المرامي والأهداف، وأصبحت معالم الصورة لديه أكثر وضوحاً، وأوفر استجماعاً لملامح الواقع، حيث سيصبح على قناعة تامة: بأن علياً «عليه السلام» وناصره، و محبيه، والمياليين إليه كانوا في توجهاتهم وممارساتهم، ومواقفهم، وطبيعة تفكيرهم وغير ذلك في جانب. . وأن الذين يسعون لاستلاب ما جعله الله تعالى لعلّي «عليه السلام» في يوم الغدير وفي غيره من المواقف، و محبيه وناصريه، والمياليين إليهم في الجانب الآخر المقابل. .

وأن سياسة رسول الله «صلى الله عليه وآله» كانت تقضي بإظهار هذا التمايز، فقد آن الأوان لوضع النقاط على الحروف، ليتحمل كل إنسان مسؤولية أعماله، فلا مجال بعد لغض النظر، ولا يجوز إفساح المجال لهم للتستر تحت أي شعار، ولا التخفي وراء أي دثار. .

10-وقد اضطرتهم سياسة النبي «صلى الله عليه وآله» هذه لفضح أنفسهم، وإسقاط أفتنتهم بأيديهم، ومن خلال ما ظهر من أفعالهم وتصرفاتهم. .

فكان من مظاهر هذا التعري، تباطؤهم عن الخروج في ذلك البعث،

وكان إصرار النبي «صلى الله عليه وآله» على شحوص أسامة بجيشه، و تتابع أمره له بالمسير، واضطرارهم إلى رفض ذلك، و التناقل فيه، و النزول بالجيش في الجرف، و التعلل بالمعاذير الباطلة، مثل صغر سن قائدهم. و مثل إظهار الحرص على الإطمئنان على صحة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، و غير ذلك كان يزيد في وضوح أمرهم، و كشف ما كانوا يبيتونه من نوايا و أهداف. .

11- ولا شك في أن فضيحة هؤلاء الناس، قد فتحت نافذة كبيرة أمام الأجيال الآتية لتعرف الحقيقة، و لا تأخذ بالمظاهر الخادعة، و الشعارات اللامعة. . و شكل ذلك امتدادا لما جرى في حجة الوداع، و تأكيداً على أنهم لا يزالون يسرون في نفس الإتجاه، و أن لديهم نفس النوايا.

12- لقد أوضح ما جرى في حجة الوداع، في منى و عرفات، و ما جرى في تجهيز جيش أسامة، حيث لم ينفع مع هؤلاء القوم كل هذا التدبير الحازم و القوي و الصارم، و كل هذا الإصرار النبوي، الذي بلغ حد المبادرة إلى لعن من يتخلف-قد أوضح:- أن هؤلاء يصرون على نيل مراداتهم، و أن سكوتهم في يوم الغدير ما كان إلا انحناء أمام العاصفة. .

و أن أقوال الرسول «صلى الله عليه وآله»، و حتى أفعاله التي بلغت حد أخذ البيعة منهم و من غيرهم لعلي «عليه السلام» بالخلافة من بعده، ثم تجهيز جيشا يرغمهم على الكون فيه، هم و أشياعهم، مع استثنائه عليا «عليه السلام» و ربما بعض محبيه و مناصريه منه. . قد أوضح: أن ذلك كله لم يفسد في إقناعهم بالتراجع عما عقدوا العزم عليه، بل هو قد دفعهم للتمرد و العصيان، و انتهى الأمر بهم إلى اتهام النبي «صلى الله عليه وآله» في عقله،

ثم مواجهة علي و الزهراء «عليهما السلام» بالعدوان، بما يصل إلى حد ارتكاب جريمة القتل، بإحراق بيت الزهراء «عليها السلام» بالنيران.

13- إن ذلك كله يشير إلى أن مبادرة النبي «صلى الله عليه وآله» إلى فضح نواياهم، ونزع كل قناع عن وجوههم كان ضروريا إلى أقصى حد، لأن ذلك أمانة في عنقه، لا بد أن يؤديها للأمة على أتم وجه، مع يقيننا بأنه «صلى الله عليه وآله» كان عارفا بأصحابه، مقتنعا بأنهم لن يطيعوا أمره، ولن يخرجوا في جيش أسامة و لن . . و لن . .

وقد أخبر عليا «عليه السلام» بحقيقة ما يضمره هؤلاء لعلي «عليه السلام» بعد وفاته كما ألمحت إليه النصوص التي ذكرنا شطرا وافرا منها حين الكلام عما جرى في حجة الوداع، ثم ما جرى يوم الغدير . .

و أخبر أيضا عن أن أصحابه لا يزالون مرتدين على أعقابهم القهقري منذ فارقتهم (1).

ص: 209

1- صحيح البخاري ج 8 ص 150 و 151 (ط دار المعرفة) ج 5 ص 192 و 240 و ج 7 ص 195 و 206 و 207 و 208 و ج 8 ص 87 و صحيح مسلم (ط دار المعرفة) ج 1 ص 150 و ج 7 ص 67 و 68 و 71 و ج 8 ص 157 و سنن ابن ماجه ج 2 ص 1016 و سنن الترمذي ج 4 ص 38 و ج 5 ص 4 و سنن النسائي ج 4 ص 117 و المستدرک للحاکم ج 3 ص 501 و مجمع الزوائد ج 3 ص 85 و ج 9 ص 367 و ج 10 ص 365 و المصنف لعبد الرزاق ج 11 ص 406 و عن الجمع بين الصحيحين الحديث (267) و السنن الكبرى للنسائي ج 6 ص 409 و مسند أحمد ج 1 ص 235 و ج 3 ص 281 و ج 5 ص 48 و 50 و 339 و 338 و 393 و 400 و 412 و راجع: الإيضاح لابن شاذان ص 233 و الأمالي للمفيد ص 38 و البحار ج 28 ص 22 و 27 و تفسير مجمع البيان ج 2 ص 360 و تفسير العياشي ج 2 ص 298 و النص و الإجهاد للسيد شرف الدين ص 525 و الأحاديث المصرحة بذلك صحيحة و متواترة. و مصادر كثيرة أخرى، فراجع شطرا منها من كتابنا: «دراسات و بحوث في التاريخ و الإسلام» البحث الذي بعنوان «عدالة الصحابة في الكتاب و السنة» ج 2 ص 253 و 273.

كان ابن عباس يذكر رزية يوم الخميس، ويبكي حتى يخضب دمه الحصباء، ويقول: «يوم الخميس، وما يوم الخميس!! الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبين كتابه» .

أو «إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله و بين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، من اختلافهم ولغظهم» .

أو «الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب نبينا» (1).

ص: 213

1- سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 247 وراجع: نفحات اللاهوت ص 117 و مكاتيب الرسول ج 1 ص 608 و ج 3 ص 693 و 695 و 699 و مسند أحمد ج 1 ص 325 و 336 و صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج 5 ص 138 و ج 7 ص 9 و ج 8 ص 161 و (ط دار ابن كثير) ج 1 ص 54 و ج 4 ص 1612 و ج 5 ص 2146 و ج 6 ص 2680 و صحيح مسلم (ط دار الفكر) ج 5 ص 76 و (ط دار إحياء التراث) ج 3 ص 2259 و شرح مسلم للنووي ج 11 ص 89 و عمدة القاري ج 2 ص 170 و ج 18 ص 62 و ج 63 و ج 21 ص 225 و ج 25 ص 76 و فتح الباري ج 8 ص 132 و الملل و النحل للشهرستاني (ط دار المعرفة) ج 1 ص 22 و المصنف للصنعاني ج 5 ص 439 و السنن الكبرى للنسائي ج 3 ص 433 و ج 4 ص 360 و صحيح ابن حبان ج 14 ص 562 و الجمع بين الصحيحين ج 2 ص 9 و مسند أبي عوانة ج 3 ص 476 و الدرر لابن عبد البر ص 270 و شرح النهج للمعتزلي ج 2 ص 55 و ج 6 ص 51 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 244 و البداية و النهاية ج 5 ص 248 و 271 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 3 ص 171 و المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي ج 1 ص 347 و 349 و منهاج السنة النبوية لابن تيمية ج 6 ص 19 و 25 و 316 و 572 و دلائل النبوة للبيهقي ج 7 ص 184 و سلوة الكتيب بوفاة الحبيب لابن ناصر الدين الدمشقي ج 1 ص 107 و البدء و التاريخ للمطهر بن طاهر المقدسي ج 5 ص 59 و سمط النجوم العوالي لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي ج 3 ص 356 و الأنس الجليل لمجير الدين الحنبلي العليمي ج 1 ص 216 و إمتاع الأسماع ج 14 ص 446 و 447 و 449 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 451 و 498 و مجمع النورين ص 203 و موسوعة الإمام علي «عليها السلام» في الكتاب و السنة و التاريخ ج 2 ص 387 و 388 و 407 و منهاج الكرامة ص 103 و نهج الحق ص 333 و أعيان الشيعة ج 1 ص 294 و 424 و 426 و الدرجات الرفيعة ص 103 و معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج 14 ص 37 و معجم الرجال و الحديث لمحمد حياة الأنصاري ج 1 ص 127 و ج 2 ص 3 و 97 و 111 و 229 و المسترشد للطبري (الشيعة) ص 681 و تشييد المطاعن ج 1 ص 355-431 و مناقب آل أبي طالب ج 21 ص 203 و أمالي المفيد ص 37 و الطرائف ص 433 و اليقين ص 521 و سعد السعود ص 297 و كشف المحجة لثمرة المهجة ص 65 و الصراط المستقيم ج 3 ص 6 و 100 و وصول الأخيار إلى كتاب الأخبار ص 73 و الصوارم المهركة ص 192 و كتاب الأربعين للشيرازي ص 534 و البحار ج 22 ص 473 و 474 و ج 30 ص 531 و 532 و 534 و 536 و 552 و مناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرازي ص 384 و 388 و المراجعات ص 353 و النص و الإجتهد ص 149 و الغدير ج 3 ص 215 و مستدرك سفينة البحار ج 7 ص 425 و إحقاق الحق (الأصل) ص 280 و غاية المرام ج 6 ص 95 و الفصول المهمة في تأليف الأمة ص 105.

وذلك أنه لما اشتد برسول الله «صلى الله عليه وآله» وجعه قال: «إيتوني بكتاب (أو بكتف و دواة) أكتب لكم كتابا لا (أو لن) تضلوا بعده» أو «لا يظلمون ولا يظلمون»، وكان في البيت لغط، فنكل عمر، فرفضها رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

فقال عمر: إن النبي غلبه الوجع. (أو مدّ عليه الوجع)، (أو إن النبي يهجر (1)) وعندنا كتاب الله، (أو وعندكم القرآن، حسبنا) كتاب الله.

فاختلف أهل البيت واختصموا، واختلفوا، أو كثر اللغط، بين من يقول: قربوا يكتب لكم، وبين من يقول: القول ما قال عمر. .

فقال «صلى الله عليه وآله»: قوموا عني، ولا ينبغي عندي. (أو عند نبي تنازع) (2).

ص: 215

1- صرح بأن عمر قال: «إن النبي يهجر» في شرح الشفاء للخفاجي ج 4 ص 278 والبحار ج 22 ص 468 و لا- بأس بمراجع جميع الهوامش في مكاتيب الرسول ج 3 ص 693-702.

2- راجع فيما تقدم: سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 248 عن أبي يعلى بسند صحيح عن جابر وعن ابن عباس كذلك، و راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج 2 ق 2 ص 37 و مسند أحمد ص 324 و 326 و راجع: مكاتيب الرسول ج 3 ص 693 و 694 و 696 في هامشه عن: البخاري ج 1 ص 39 و ج 6 ص 11 و ج 7 ص 156 و ج 9 ص 137 وفتح الباري ج 1 ص 185 و ج 8 ص 100 و 101 و ج 13 ص 289 و عمدة القاري ج 2 ص 170 و ج 25 ص 76 و الطبقات الكبرى ج 2 ق 2 ص 37 و ابن سبأ ص 79 و مسلم ج 3 ص 1259 و المناقب لابن شهر آشوب (ط قم) ج 1 ص 235 عن ابن بطة، والطبري، و مسلم، و البخاري، قال: و اللفظ للبخاري و لم يسم الراوي عن ابن عباس. و البحار ج 22 ص 468 عن إعلام الوري، و الإرشاد للمفيد، و ص 472 عن المناقب لابن شهر آشوب، و ج 36 ص 277 عن الغيبة للنعماني ص 38 و 39 عن عبد الرزاق، عن معمر، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم، عن علي «عليه السلام» و البحار (ط حجري) ج 8 ص 261 و ما بعدها و (ط جديد) ج 30 ص 531 و 533 و 535 و عبد الرزاق ج 5 ص 438 و تأريخ ابن خلدون ج 2 ص 849 و السيرة الحلبية ج 3 ص 382 و الإرشاد للمفيد ص 87 و مسند أحمد ج 1 ص 324 و 336 و الشفاء للقاضي عياض ج 2 ص 431 و الدرر لابن عبد البر ص 125 و 204 و كشف المحجة ص 64 و البداية و النهاية ج 5 ص 227 و 251 و الفائق للزمخشري ج 4 ص 93 و التراتيب الإدارية ج 2 ص 241 و 243 و الأدب المفرد ص 47 و شرح الخفاجي للشفاء ج 4 ص 277 و شرح القاري بهامشه ص 277 و الطرائف ص 432 عن الجمع بين الصحيحين وغيره، و غاية المرام ص 596 و شرح النهج لابن أبي الحديد ج 2 ص 54 عن الشيخين، و كذا ص 55 و ج 6 ص 51 عن الجوهرى. «لن تضلوا» كما في البخاري ج 9 ص 137 و الطبقات ج 2 ق 2 ص 37 و مسند أحمد ج 1 ص 324 و 336 و الطرائف. في البخاري ج 7 ص 156 فقال عمر: «إن النبي «صلى الله عليه وآله» . .» و كذا ج 9 ص 137. و الطبقات، و مسلم، و ابن شهر آشوب، و عبد الرزاق ج 5 ص 438 و مسند أحمد ج 1 ص 324 و الشفاء ج 2 ص 431: «إن النبي قد اشتد به الوجع» . و الطرائف ص 431 و 432 و في شرح الخفاجي ج 4 ص 278: «و في بعض طرقه،

زاد في نص آخر: منهم من يقول: القول ما قاله عمر، فتنازعوا، ولا ينبغي عند النبي التنازع، فقالوا: ما شأنه أهجرك؟! استفهموه.

فذهبوا يعيدون عليه، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: قوموا-لما أكثروا اللغو والإختلاف عنده-دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه الخ. (1).

(2) -فقال عمر: إن النبي «صلى الله عليه وآله» يهجر». وفي البحار ج 22 ص 468: فقام بعض من حضر يلتمس دواة وكتفا، فقال عمر: «ارجع، فإنه يهجر» و ص 498 عن سليم: «فقال رجل منهم: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يهجر» كما في الإرشاد أيضا. وفي شرح ابن أبي الحديد ج 6 ص 51: «فقال عمر كلمة معناها: إن الوجد قد غلب على رسول الله «صلى الله عليه وآله» .» وفي تاريخ ابن خلدون: «وقال بعضهم: إنه يهجر، وقال بعضهم: «أهجرك»؟ مستفهما. وقال الحلبي: فقال بعضهم أي: وهو سيدنا عمر: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد غلبه الوجد». وفي البحار ج 36 ص 277 عن علي «عليه السلام»: أنه قال لطلحة: «أليس قد شهدت رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين دعا بالكنف ليكتب فيها ما لا تفضل الأمة بعده ولا تختلف، فقال صاحبك ما قال: «إن رسول الله يهجر»، فغضب رسول الله «صلى الله عليه وآله» وتركها؟ وفي الطرائف: وفي رواية ابن عمر من غير كتاب الحميدي قال عمر: «إن الرجل ليهجر». وفي كتاب الحميدي قالوا: «ما شأنه هجر»؟

ص: 217

1- سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 247 عن البخاري ومسلم، و البداية و النهاية ج 5 ص 271 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 499 الإيضاح لابن شاذان الأزدي ص 359 و اليقين لابن طاووس ص 521 و البحار ج 30 ص 531 و 534 و فتح الباري ج 8 ص 102 و شرح النهج للمعتزلي ج 13 ص 31 و الإكمال في أسماء الرجال ص 202 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 436 و الكامل في التاريخ لابن الأثير ج 2 ص 320 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 ق 2 ص 62 و إمتاع الأسماع ج 14 ص 447 و سبل الهدى و الرشاد ج 12 ص 247 و مجمع النورين للمرندي ص 202 و سفينة النجاة للسراي التكايني ص 205.

وعن ابن عباس قال: دعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بكتف، فقال: انتوني بكتف أكتب لكم كتابا لا تختلفون بعدي.

فأخذ من عنده من الناس في لغط، فقالت امرأة ممن حضر: ويحكم، عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» إليكم.

فقال بعض القوم: اسكتي، فإنه لا عقل لك.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: أنتم لا أحلام لكم (1).

فخرج ابن عباس وهو يقول: «الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابه» (2) لاختلافهم ولغظهم.

ص: 218

1- سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 248 عن الطبراني، و مكاتيب الرسول ج 3 ص 698 عن غاية المرام ص 598 و مجمع الزوائد ج 4 ص 215 و المعجم الكبير ج 11 ص 30.

2- سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 247 و مكاتيب الرسول ج 3 ص 695 وفي هامشه عن: تشييد المطاعن (ط الهند) ج 1 ص 366 عن البخاري في باب العلم و ص 367 عن عبيد الله عنه في كتاب الجهاد، و كتاب الخمس عن سعيد، و باب مرض النبي «صلى الله عليه وآله» كتاب المرضى باب قول المريض: قوموا عني عن عبيد الله و ص 368 عن كتاب الاعتصام، و عن مسلم بطرق كثيرة عن سعيد و ص 369 عن سعيد أيضا، و عن المشكاة عن عبيد الله عن ابن عباس و ص 380 عن الملل و النحل، و البحار ج 30 ص 532 بالإضافة إلى نصوص أخرى تقدمت.

وقد وردت كلمة غلبه الوجد، أو نحوها في العديد من النصوص، وورد أنه قال: «إن النبي يهجر»، أو نحوها، كما في نصوص أخرى.

وقد فسروا كلمة: أهجر؟! !

فقالوا: قولهم: «أهجر»؟ بإثبات همز الإستفهام وفتح الهاء والجيم، قالوا: ول بعضهم هجرا بضم الهاء وسكون الجيم والتنوين. أي قال هجرا، و الهجر بضم الهاء وسكون الجيم، وهو الهذيان الذي يقع من كلام المريض، الذي لا ينتظم ولا يعتد به لعدم فائدته، و وقوع ذلك من النبي «صلى الله عليه وآله» في حقه مستحيل.

وإنما هذا على طريق الإستفهام، الذي معناه: الإنكار والإبطال، أي أنه «صلى الله عليه وآله» لا يهجر. أي: لم يختلفوا في الأخذ عنه، و لم ينكروا عليه الكتاب، وهو لا يهجر أصلا (1).

ولكن في نص آخر يحاول أيضا التخفيف من وقع الكلمة فيقول: «فقال عمر كلمة معناها: أن الوجد قد غلب على رسول الله.». .

و ثمة نص ثالث حاول التنصل من هذا الموضوع من أصله، فكانت

ص: 219

محاولة فاشلة، يقول ذلك النص: «ما له؟ أهجر؟ استفهموه». أو نحو ذلك.

وإنما قلنا: إنها محاولات فاشلة، لأن معنى: غلبه الوجع لا يختلف عن معنى: إنه يهجر، إلا أن العبارة الأولى أخف وقعا على السمع. .

و السبب الذي ألجأهم إلى تبديل هذه بتلك، هو التخفيف من حدة النقد الموجه لقائل هذه الكلمة. . باعتبار أن الهجر ينافي العصمة (1).

و يلاحظ هنا: أنهم حين يصرحون بأن عمر هو قائل هذه الكلمة يدلون الصيغة، من صيغة خبرية إلى صيغة إنشاء و استفهام، أو يقولون: غلبه الوجع. أو نحو ذلك.

وإذا صرحوا بكلمة الهجر، فإنهم يبهمون اسم القائل.

لكن عددا من أهل السنة و منهم الخفاجي (2) قد صرحوا: بأن عمر هو الذي قال: إن الرجل ليهجر.

ثم إن تحريف هذه الكلمة لتصبح بمثابة سؤال عن الحال، إن كان الأمر قد بلغ بالنبي «صلى الله عليه وآله» إلى حد الهجر. . لا ينفعهم شيئا، فإن السؤال عن ذلك يساوق احتمال حصوله له. و لا- يصح احتمال ذلك في حق الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، لأنه من موجبات الطعن في عصمتهم، وفي نبوتهم، و هو من مظاهر تكذيب النص القرآني الذي يقول عن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» :

ص: 220

1- مكاتيب الرسول ج 3 ص 723 عن فتح الباري ج 8 ص 101 و عمدة القاري ج 18 ص 62 و فلك النجاة في الإمامة و الصلاة لعلي محمد فتح الدين الحنفي ص 147.

2- شرح الشفاء ج 4 ص 278.

وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (1).

ويقول: إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ (2).

وقد حاول المعتزلي أن يلطف الأجواء بنحو آخر، اعتمد فيه أسلوب إظهار حسن الظن بقائل تلك الكلمة الخطيرة.

فقال: «وكان في أخلاق عمر و ألفاظه جفاء و عنجهية ظاهرة، يحسبه السامع لها أنه أراد بها ما لم يكن قد أراد، و يتوهم من تحكى له أنه قصد بها ظاهراً ما لم يقصده، فمنها الكلمة التي قالها في مرض رسول الله «صلى الله عليه و آله» .

و معاذ الله أن يقصد بها ظاهرها! ولكنه أرسلها على مقتضى خشونة غريزته، و لم يتحفظ منها. و كان الأحسن أن يقول: «مغمور» أو «مغلوب بالمرض» ، و حاشاه أن يعني بها غير ذلك»! (3).

و نقول:

إن هذا كلام خطابي، لا قيمة له، لأن الأحسن عند ابن أبي الحديد لا يختلف عن ذلك الأسوأ الذي أراد أن يهرب منه، و يرى عمر من تبعاته. .

و هو أيضا ينافي عصمة النبي «صلى الله عليه و آله» .

و يمثل أذى و جرأة عليه «صلى الله عليه و آله» ، و اتهاماً له بما صرح القرآن بنفيه عنه.

ص: 221

1- الآيتان 3 و 4 من سورة النجم.

2- الآية 50 من سورة الأنعام.

3- شرح النهج للمعتزلي ج 1 ص 183 و كتاب الأربعين للشيرازي ص 550 و مكاتيب الرسول ج 3 ص 723.

وأما حسن ظن ابن أبي الحديد بعمر، والحكم بعدم قصد مضمونه، واعتباره ذلك من الخشونة الغريزية، فتبقى عهده على مدّعيه، وهو رجم بالغيب، ولا يصح الاحتجاج به على أحد، ولا ترتيب الأثر عليه.

والخشونة الغريزية، لا تبرر عصيان النبي «صلى الله عليه وآله»، ولا إغضابه، ولا الجرأة عليه، ولا سيما بعد أن تبناها قسم من الصحابة، وقالوا: القول ما قاله عمر. وتنازعوا، ورفعوا أصواتهم، وغطوا إلى آخر ما تقدم. .

فهل كان الجميع يعانون من الخشونة الغريزية؟! أم أن الأمر يتعدى ذلك إلى ما هو أسوأ وأخطر؟! .

إساءات لمقام النبوة:

ومع غض النظر عن نسبة الهجر والهديان إلى النبي المعصوم، فإننا نلاحظ: أن الأمر لم يقتصر على ذلك، لأنهم قد ارتكبوا العديد من الإساءات الأخرى أيضا، مثل:

1-مخالفتهم لأمر الرسول «صلى الله عليه وآله»، وامتناعهم عن تلبية طلبه، ومنعهم سائر من حضر من ذلك أيضا. .

2-إنهم قد رفعوا أصواتهم، وضجوا، وغطوا في محضر رسول الله «صلى الله عليه وآله». . وقد امرهم الله بأن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي «صلى الله عليه وآله»، وأن يخفضوا أصواتهم عنده.

3-إنهم قد تنازعوا في محضره «صلى الله عليه وآله»، ولم يردوا الأمر إلى النبي، حتى طردهم «صلى الله عليه وآله» من محضره. وقد نهاهم الله تعالى عن التنازع، وأمرهم برد ما يتنازعون فيه إلى الله وإلى الرسول.

4-إنهم أغضبوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، وفعلوا في حضرته ما لا ينبغي كما صرحت به بعض النصوص أيضا، ومن ذلك قولهم لتلك المرأة: إنها لا عقل لها، وغير ذلك.

5-إنهم قالوا: حسبنا كتاب الله، وهذا قرار منهم باستبعاد السنة النبوية الشريفة عن التداول. مع أن الله تعالى يقول لهم: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (1). و ثبت عندهم: حديث الثقلين بصيغة «كتاب الله وسنتي» (2).

حسبنا كتاب الله في الميزان:

واللافت هنا:

أولا: أنهم قد تخلوا حتى عن العمل بالقرآن الكريم في نفس هذا المورد فضلا عن غيره، فإن القرآن هو الذي يأمرهم بطاعة الرسول «صلى الله عليه

ص: 223

1- الآية 7 من سورة الحشر.

2- راجع: المستدرک للحاکم ج 1 ص 93 و العلل لأحمد بن حنبل ج 1 ص 9 و جامع بیان العلم وفضله لابن عبد البر ج 2 ص 180 و الجامع الصغير ج 1 ص 505 و 605 و السنن الكبرى للبيهقي ج 10 ص 114 و سنن الدار قطني ج 4 ص 160 و كنز العمال ج 1 ص 173 و 187 و مسند زيد بن علي ص 404 و الإستذکار لابن عبد البر ج 8 ص 265 و التمهيد لابن عبد البر ج 24 ص 331 و تفسير الرازي ج 2 ص 4 و أضواء البيان للشنقيطي ج 7 ص 259 و ج 8 ص 247 و الاحكام لابن حزم ج 6 ص 810 و الأحكام للآمدي ج 1 ص 248 و ضعفاء العقيلي ج 2 ص 251 و الكامل لابن عدي ج 4 ص 69 و ميزان الاعتدال للذهبي ج 2 ص 302 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 1 ص 543.

وآله» ، فيقول: أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ (1) ويأمرهم بأخذ ما آتاهم إياه فيقول أيضا: مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (2).

ونهاهم عن أذى النبي «صلى الله عليه وآله» ، وعن إغضابه، وعن رفع الصوت في محضره، وعدم التنازع. وألزمهم بالرجوع إليه فيما يتنازعون فيه. .

وقد صرحت الآيات بذلك كله، ولم تبق عذرا لمعتذر، أو حيلة لمتطلب حيلة، وهم لم يعملوا بالقرآن حتى في هذا المورد!! .

ثانيا: إن القرآن فيه بيان كل شيء بلا ريب، لكن إنما يعرف القرآن من خوطب به، وكل شيء أصله في الكتاب، ولكن لا تدركه عقول الرجال من سائر الناس، بل لا بد من أن يرجعوا إلى من يفسره لهم، وهم خصوص النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» ثم الأئمة الطاهرون «عليهم السلام» من بعده، العارفون بتنزيله وبتأويله، ومحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، فلا أحد يستطيع استخراج حقائقه سواهم «عليهم السلام» .

و كيف يمكن لعمر، أو لغير عمر أن يعرف عدد ركعات الصلاة اليومية، وشرائط الإعتكاف في المساجد، وسائر الأحكام الفرعية من القرآن الكريم إلا بدلالة من عنده علم الكتاب «عليه الصلاة والسلام» وعلى آله الطاهرين؟! . .

على أن الوقائع قد بينت عدم معرفتهم لمعنى الأب، وعدم معرفتهم

ص: 224

1- الآية 59 من سورة النساء.

2- الآية 7 من سورة الحشر.

بالكلالة، وبأمور كثيرة أخرى نطق بها القرآن..

ثم إنهم قد منعوا الناس من السؤال عن معاني آيات القرآن، وضربوهم، واضطهدوهم كما تقدم في الجزء الأول من هذا الكتاب..

فهل معنى قولهم: حسبنا كتاب الله، هو أن يكون القرآن للقراءة على القبور، وفي المحافل الرسمية، وأن يكون من جملة التمايم التي تعلق على المرضى.

لماذا يريد النبي صلى الله عليه وآله الكتابة؟! :

وقد يسأل سائل عن السبب في لجوء النبي «صلى الله عليه وآله» إلى كتابة الكتاب؟! ألم يكن يكفيه ما جرى في يوم الغدير من البيعة و التهنية لعلي «عليه السلام» بمقام الولاية؟! :

ونجيب:

أولاً: إن نفس ما جرى في مرض موته «صلى الله عليه وآله» من جرأة وإباء وإصرار على عدم تمكينه من كتابة الكتاب يدل على ضرورة كتابة هذا الكتاب..

ثانياً: لعل هؤلاء الناس كانوا يخططون إلى إنكار دلالة ما جرى، والإعتماد على إرهاب الحدث بالتأويلات والتمحلات الباطلة لتعمية الأمور على العوام.

أو لعلهم يزعمون للناس أن أموراً قد استجدت، وتقلبات حدثت، دعت النبي «صلى الله عليه وآله» إلى العدول عن ذلك الأمر، حيث رأى أن صرف النظر عنه أصلح.

ص: 225

لماذا لا يصر النبي صلى الله عليه وآله على الكتابة؟ ! :

ونجيب عن سؤال: إذا كانت كتابة الكتاب ضرورية، وإذا كان هو الذي يحفظ الأمة من الضلال، فلماذا صرف النظر عن كتابته؟ !

ولماذا يستسلم «صلى الله عليه وآله» لما أرادته عمر وغيره، ألم يكن الإصرار على كتابته هو المتعين؟ !

ما دام أن نفع الكتاب الذي سوف يكتبه لا يقتصر على أهل ذلك الزمان، بل سيكون شاملا للأمة بأسرها إلى يوم القيامة؟ ! .

ونجيب: بما قاله العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين «قدس سره» :

«وإنما عدل عن ذلك، لأن كلمتهم تلك التي فاجؤوه بها اضطرتهم إلى العدول، إذ لم يبق بعدها أثر لكتابة الكتاب سوى الفتنة، والإختلاف من بعده في أنه هل هجر فيما كتبه-و العياذ بالله-، أو لم يهجر؟

كما اختلفوا في ذلك، وأكثروا اللغو واللفظ نصب عينيه، فلم يتسنّ له يومئذ أكثر من قوله لهم: «قوموا عني» كما سمعت.

ولو أصر فكتب الكتاب للجوا في قولهم: هجر، ولأوغل أشياعهم في إثبات هجره-و العياذ بالله-فسطروا به أساطيرهم، وملأوا طواميرهم، ردا على ذلك الكتاب، وعلى من يحتج به.

لهذا اقتضت حكمته البالغة أن يضرب «صلى الله عليه وآله»، عن ذلك الكتاب صفحا، لئلا يفتح هؤلاء المعارضون وأولياؤهم بابا إلى الطعن في النبوة-نعوذ بالله، وبه نستجير.

وقد رأى «صلى الله عليه وآله»، أن عليا وأولياءه خاضعون لمضمون

ذلك الكتاب، سواء عليهم أكتب أم لم يكتب، وغيرهم لا يعمل به ولا يعتبره لو كتب.

فالحكمة-والحال هذه-توجب تركه، إذ لا أثر له بعد تلك المعارضة سوى الفتنة كما لا يخفى» (1).

فائدة ما جرى:

وكان هذا الإجراء النبوي في غاية الدقة، وكان جليل الأثر عظيم الفائدة في أكثر من اتجاه، فهو قد فضح مرة أخرى أولئك الذين يتظاهرون بالخضوع والطاعة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعرف الناس أن باطنهم لا يلائم ظاهرهم..

كما أنهم لم يعد بإمكانهم أن يدّعوا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد بدل رأيه، أو أنه أسرّ لهم بشيء كتمه عن الناس، يضاف إلى ذلك: أنه اضطرهم إلى الإعلان بأن في نيتهم تجاهل سنة النبي «صلى الله عليه وآله»، وإبطالها، وأفقدتهم القدرة على ادّعاء أن هذا اجتihad منهم يعذرون فيه..

فقد ظهر أنه اجتihad جاء على خلاف النص الصريح، وقد كان ثمنه إغضاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والجرأة عليه، وانتهاك حرمة، والطعن في عصمته، ومخالفة النصوص القرآنية الواضحة، والصريحة..

وأظهر أيضا: أنهم لا يصدقون رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيما يخبرهم به من أن الكتاب الذي يريد أن يكتبه سوف يحصن الأمة من

ص: 227

1- المراجعات ص 284 و 285 والنص والاجتihad ص 170 و 171 والفصول المهمة ص 91 فما بعدها.

كما أنه قد دل على أنهم لا يهتمون بمصلحة الأمة، ولا يفكرون في هدايتها وصيانتها من الضلال والغواية. .

وسأتي: أنهم قد أتوا ما أتوه في الوقت الذي قدم لهم النبي «صلى الله عليه وآله» المعجزة الظاهرة من خلال انطباق إخباره الغيبي على ما جرى وصدر منهم، وذلك حين أخبرهم بالذي سيقول: خسرنا كتاب الله. . إلى غير ذلك من أمور يمكن استخلاصها مما حدث. .

لو لبس المسلمون السواد، وأقاموا المآتم:

و تأتي كلمة السيد ابن طاووس «رحمه الله» لتصدق ابن عباس في تعبيره عما جرى برزية يوم الخميس، ولتكون أصدق وأوفى تعبير عن حجم الكارثة التي حلت بالمسلمين نتيجة لما فعله هؤلاء القوم، فهو يقول:

«و الله، لو لبس المسلمون السواد، وأقاموا المآتم، وبلغوا غاية الأحزان، كان ذلك يسيرا لما أدخل عمر عليهم من المصيبات، وأوقعهم فيه من الهلاك والضلal والشبهات» (1).

وذلك لما ترتب على هذا الأمر من اختلاف في الأمة، وسفك للدماء، واختلال في أمور الدين، وهلاك اثنتين وسبعين فرقة بسبب الشبهات والضلالات التي ظهرت، والتي هي السبب في خلود من يخلد في النار منهم (2).

ص: 228

1- الطرائف ص 433.

2- راجع: الطرائف ص 431.

وقد ورد عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال: «يوشك رجل منكم متكئا على أريكته يحدث بحديث عني، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله «صلى الله عليه وآله» مثل الذي حرم الله» (1).

وفي نص آخر قال: «لا ألفين أحدكم على أريكته يأتيه الأمر من أمري، مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله

ص: 229

1- راجع: مكاتيب الرسول ج 1 ص 509 وفي هامشه عن: جامع بيان العلم ج 2 ص 232 واللفظ له، وراجع: أدب الإملاء والإستملاء ص 3 و 4 وابن ماجه ج 1 ص 6 و 7 ومسند أحمد ج 4 ص 131 و 132 و سنن أبي داود ج 4 ص 200 و سنن الدارمي ج 1 ص 144 و الترمذي ج 5 ص 38 و راجع: الكفاية ص 8-10 و كنز العمال ج 1 ص 155 (عن أحمد، وأبي داود) و ص 156 (عن أحمد، وابن ماجه) و أضواء على السنة المحمدية ص 52 و المعجم الكبير ج 4 ص 130 (عن المقدام، عن خالد بن الوليد) و السنن الكبرى للبيهقي ج 1 ص 109 و موارد الظمان ص 55 و دلائل النبوة للبيهقي ج 1 ص 24 و التمهيد لابن عبد البر ج 1 ص 150 بسندين، و تدوين السنة ص 352 عن جمع ممن تقدم، و عن دلائل النبوة ج 6 ص 549 و الفقيه و المتفقه ج 1 ص 88 و الإعتبار للحازمي ص 7 و الصحيح لابن حبان ج 1 ص 147 و راجع: الحديث و المحدثون لأبي زهرة ص 11 و 24 و راجع: تفسير القرطبي ج 1 ص 37 و السنة قبل التدوين ص 78 و 79 و سؤالات حمزة للدارقطني ص 5 و جامع بيان العلم و فضله لابن عبد البر ج 2 ص 190 و تاريخ ابن معين ج 1 ص 6 عن أبي داود.

أو ما هو قريب من هذا، مصرحاً بأن هذا القائل يأكل من بيت المال أيضاً (2).

ص: 230

1- راجع: مكاتيب ج 1 ص 509 وفي هامشه عن: أدب الإملاء والإستملاء ص 3 و جامع بيان العلم ج 2 ص 232 و (ط دار الكتب العلمية) ج 2 ص 189 و الكفاية للخطيب ص 11 و 12 و مسند أحمد ج 6 ص 8 و سنن أبي داود ج 4 ص 200 و (ط دار الفكر) ج 2 ص 392 و الترمذي ج 5 ص 37 و ابن ماجه ج 1 ص 6 و المعجم الكبير ج 1 ص 295 بسندين و ص 307 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج 1 ص 316 و الشفاء للقاضي عياض ج 2 ص 38 و موارد الظمآن لزوائد ابن حبان ص 55 و التمهيد لابن عبد البر ج 1 ص 151 و راجع: لسان العرب و النهاية في «أرك» و «لفي» و كنز العمال ج 1 ص 155 عن أحمد، و أبي داود، و الترمذي، و ابن ماجه، و المستدرک، و راجع: المستدرک ج 1 ص 108 و 109 بأسانيد متعددة. و لا يخفى أن ألفاظ الحديث حيث نقل بالمعنى مختلفة و المعنى واحد، و رواه في الكفاية هكذا: «لا أعرفن الرجل يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: ما أدري ما هذا، عندنا كتاب الله، ليس هذا فيه» -و اللفظ لأبي الفضل- و رواه في معاني الأخبار ص 390 عن أبي إبراهيم «عليه السلام»، و راجع: الرسالة للشافعي ص 89 و 266 و 403 و الكفاية في علم الرواية ص 25 و السنن الكبرى للبيهقي ج 7 ص 76 و كتاب الأم للشافعي ج 7 ص 16 و ج 7 ص 303 و شرح معاني الآثار ج 4 ص 209 و مسند الحميدي ج 1 ص 252 و كتاب المسند للشافعي ص 151 و 234.

2- راجع: كنز العمال ج 1 ص 155 و 174 عن أحمد، و عن الإبانة لأبي نصر و أبي داود، و البيهقي، و سنن أبي داود ج 4 ص 200 و ج 3 ص 170 و سنن ابن ماجه ج 1 ص 9 و 10 و كشف الأستار ج 1 ص 80 و مسند أحمد ج 4 ص 131 و ج 2 ص 367 و الكفاية للخطيب ص 12 و 10 و 11 و 13 و جامع بيان العلم ج 2 ص 231 و 232 و التمهيد لابن عبد البر ج 1 ص 152 و السنن الكبرى للبيهقي ج 9 ص 204 و السنة قبل التدوين، عن ابن ماجه، و البيهقي، و الدارمي، و الجامع لأحكام القرآن ج 1 ص 37.

ربما ليشير إلى أن الأحرى والأجدر بمن يأكل من بيت المال، أن يحفظ شريعة سيد المرسلين، وأن يصون دين المسلمين من أي خطر يمكن أن يتعرض له.

وقوع ما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله:

وعلى كل حال، فإن هذا من الإخبارات الغيبية لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، التي ظهر مصداقها قبل وفاته «صلى الله عليه وآله»، و ذلك حين طلب كثفا ودواة ليكتب لهم كتابا لن يضلوا بعده، فقال عمر: إن النبي ليهجر، حسبنا كتاب الله، أو نحو ذلك.

وعلى كل حال.. فإن مصداق كلام رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حال حياته، في قول عمر: حسبنا كتاب الله (1). ظهر أيضا في وفاته في قول أبي

ص: 231

1- راجع: مكاتيب الرسول ج 1 ص 509 و 513 عن منهج النقد ص 24 وعن البخاري ج 2 ص 77 و (ط دار الفكر) ج 1 ص 138 و ج 7 ص 9 و تدوين السنة ص 361 و راجع: صحيح مسلم ج 5 ص 76 و السقيفة وفدك للجوهري ص 76 و سنن الدارمي ج 1 ص 144 و الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص 24 و سنن ابن ماجه ج 1 ص 6 و مسند أحمد ج 4 ص 132 و (ط دار صادر) ج 1 ص 325 و 326 و جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج 2 ص 190 و أدب الإملاء والإستملاء للسمعاني ص 10 و شرح النهج للمعتزلي ج 2 ص 55 و ج 6 ص 51 و ج 11 ص 49 و ج 12 ص 87 و المواقف للإيجي ج 3 ص 650 و شرح مسلم للنووي ج 11 ص 90 و 93 و فتح الباري ج 1 ص 186 و ج 8 ص 102 و عمدة القاري ج 2 ص 172 و ج 18 ص 63 و ج 21 ص 224 و السنن الكبرى للنسائي ج 3 ص 433 و ج 4 ص 360 و صحيح ابن حبان ج 14 ص 562 و المصنف للصنعاني ج 5 ص 438 و الديباج على مسلم ج 4 ص 232 و كنز العمال ج 1 ص 175 و التعديل والتجريح للباجي ج 1 ص 20 إضافة إلى مصادر قصيرة أخرى.

بكر: فلا- تحدثوا عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» شيئاً، فمن سألكم فقولوا: «بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه». أو نحو ذلك (1).

وقالت عائشة بنت أبي بكر أيضاً: حسبكم القرآن (2).

ص: 232

- 1- راجع: تذكرة الحفاظ للذهبي ج 1 ص 2 و 3 و راجع: تدوين السنة ص 265 و 357 و 423 عن التذكرة، و الأنوار الكاشفة ص 53 و السنة قبل التدوين ص 113 إضافة إلى مصادر أخرى تقدمت في الهوامش السابقة.
- 2- راجع: و كتاب المسند ص 182 و معرفة السنن والآثار ج 3 ص 201 و القول الصراح في البخاري وصحيحه الجامع ص 173 و وضوء النبي ج 1 ص 8 و عمدة القاري ج 8 ص 77 و تحفة الأحوذى ج 4 ص 74 و أضواء على السنة المحمدية ص 74 و راجع: صحيح البخاري (ط سنة 1039 هـ) ج 1 ص 146 و (ط دار الفكر) ج 2 ص 81 و صحيح مسلم ج 3 ص 43 و مستدرك الحاكم ج 3 ص 381 و إختلاف الحديث للشافعي (بهامش الأم) ج 7 ص 266 و (ط أخرى) ص 537 و جامع بيان العلم ج 2 ص 105 و منحة المعبود ج 1 ص 158 و كشف القناع للبهوتي ج 2 ص 190 و الشرح الكبير لابن قدامة ج 2 ص 431 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 3 ص 346 و مختصر المزني (بهامش الأم) ج 1 ص 187 و (ط دار المعرفة) ص 39 و الغدير ج 6 ص 163 و مسند أحمد عمن تقدم، و عن صحيح مسلم ج 1 ص 342 و 344 و 343 و مسند أحمد ج 1 ص 41 و سنن النسائي ج 4 ص 17 و 18 و السنن الكبرى البيهقي ج 4 ص 73 و 72 و سنن أبي داود ج 2 ص 59 و كتاب المسند للشافعي ص 182 و موطأ مالك ج 1 ص 96 و المغني لابن قدامة ج 2 ص 412 و المجموع للنووي ج 5 ص 308.

ثم إنهم تابعوا سياساتهم هذه، فمنعوا من رواية الحديث و من كتابته بعده «صلى الله عليه وآله»، و جمعوا ما كتبه الصحابة من ذلك و أحرقوه. .

و جرت سيرتهم على ذلك برهة من الزمن، تطبيقا لمقولة عمر الأنفة الذكر.

شكليات و ظواهر:

و حتى هذا المقدار من الرجوع إلى القرآن، فإنهم لم يلتزموا به أيضا إلا- على مستوى الشكل، و الظاهر، و لكنهم خالفوه و نبذوه وراء ظهورهم، فيما عدا ذلك. و لا سيما فيما يرتبط بالآيات التي تتحدث عن الموقف من الظالمين، و الآيات التي ذكرت مقامات و فضائل و كرامات أهل البيت «عليهم السلام» و أكدت على إمامتهم، و مسائل كثيرة فيما يرتبط بصفات الله، و غيرها من الأمور الاعتقادية و السلوكية، و حتى آية الوضوء فإنهم لم يعملوا بها، فضلا عن غيرها. . و لهذا البحث مجال آخر.

ص: 233

والحقيقة هي: أن سياسة المنع من الحديث إنما كانت تستهدف بالدرجة الأولى سيرة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإنها كانت تتضمن السياسات، والإعتقادات والأحكام، والأخلاق، وتتضمن أيضا فضائل وكرامات، ومثالب ومخزيات لأناس من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

ويلاحظ: أنه قد كان هناك اتجاهان يرتبطان بالسيرة النبوية وروايتها، أحدهما يوجب تعلمها، والآخر يحرم ذلك، فالإتجاه الذي يمنع و يحرم هو ما عبر عنه أبو هريرة حين قال:

لما ولي عمر قال: أقلوا الرواية عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا فيما يعمل به (1).

قال ابن عبد البر: إن عمر نهى عن الحديث عما لا يكون حكما، ولا يكون سنة.

وقد فسر الدارمي قوله هذا، فقال: «معناه عندي: الحديث عن أيام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ليس السنن والفرائض» (2).

ص: 234

-
- 1- المصنف للصنعاني ج 11 ص 262 و البداية و النهاية ج 8 ص 107 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج 8 ص 115 و جامع بيان العلم ج 2 ص 148 و الغدير ج 6 ص 295 و تاريخ مدينة دمشق ج 67 ص 344 و شيخ المضيرة أبو هريرة لأبي رية ص 105.
 - 2- سنن الدارمي ج 1 ص 85 و تدوين السنة ص 414 و 477 و الجامع لأخلاق الراوي للخطيب ج 2 ص 288/1649 و البداية و النهاية ج 3 ص 242 عن الدارمي، و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 20.

أي أن الخليفة كان ينهى عن الحديث عن سيرة الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» بما فيها من كرامات باهرة، و معجزات ظاهرة لأناس بأعيانهم، كما أنهم لا يريدون أن يظهر ما جرى في الغزوات والسرايا، ولا ذكر من فرّ في المواطن الكثيرة، و من ظهر نفاقه أو تجلت بعد قتل عمرو بن عبد ود فضائله و كراماته، مثل قلع باب خيبر، و هزيمة جيش الأحزاب، ورد جيوش الشرك، بالخيبة و الخسران، في بدر، و أحد، و حنين، و قريظة، و النضير، و ذات السلاسل. و سائر ما تضمن فضائل لأشخاص، و مثالب لآخرين.

و كذلك المواقف التي أكدت على ولاية أهل البيت «عليهم السلام»، و نصب علي «عليه السلام» إماما و خليفة من بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كما جرى في يوم الدار، و في عرفات، و الغدير، و المباهلة، و نزول سورة هل أتى، و ما إلى ذلك.

و قد أوضح هذا الأمر أحد علماء السنة المعاصرين، حيث علق على ما رواه ابن أبي مليكة، من أن أبا بكر منع الناس من الحديث بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» بما يلي:

«إن كان لمرسل ابن أبي مليكة أصل، فكونه عقب الوفاة النبوية يشعر بأنه يتعلق بأمر الخلافة، كأن الناس عقب البيعة بقوا يختلفون، يقول أحدهم: أبو بكر أهلها، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» قال كيت و كيت، فيقول آخر: و فلان قد قال له النبي «صلى الله عليه وآله» كيت و كيت،

فأحب أبو بكر صرفهم عن الخوض في ذلك و توجيههم إلى القرآن» (1).

وأما الإتجاه الذي يحتم تعلم السيرة وروايتها، فهو اتجاه أهل البيت «عليهم السلام»، فقد روي عن الإمام السجاد «عليه السلام» أنه قال: «كنا نعلم مغازي النبي «صلى الله عليه وآله» و سراياه كما نعلم السورة من القرآن» (2).

قال الأحمدي: «لما في ذلك من معرفة الله ورسوله، وآياته، و معرفة أوليائه وأعدائه، وأعداء أهل البيت «عليهم السلام»، الذين حاربوا رسول الله وقاتلوه، و الذين لا يريدون ذلك، و لما يرون فيه من فضيحة قریش، و سوء حالهم، و معرفة من جاهد وقاتل، ممن تجنب القتال و فر» (3).

هل أراد صلى الله عليه وآله كتابة ولاية علي عليه السلام:

لعل هناك من يريد أن يدعي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يصرح بما يريد أن يكتبه في مرض موته. فمن يستطيع أن يجزم بأنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يكتب ولاية علي «عليه السلام» ؟ ! (4) فلعله أراد أن يكتب شيئاً

ص: 236

1- الأنوار الكاشفة ص 54 و عنه في تدوين السنة ص 418.

2- راجع: البداية و النهاية ج 3 ص 297 و السيرة النبوية لابن كثير ج 2 ص 355 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 10.

3- مكاتيب الرسول ج 1 هامش ص 644.

4- راجع: مكاتيب الرسول ج 1 ص 609 عن عن الدهلوي، و الخفاجي، و الكرمانی، و قال في هامشه: و راجع تشييد المطاعن (ط هند)

ج 1 ص 426 و شرح الشفاء للخفاجي ج 4 ص 325 و فتح الباري ج 1 ص 186 و ج 8 ص 101 و 102 و عمدة القاري ج 2 ص 171

و هامش صحيح مسلم ج 3 ص 1257.

من الأحكام أو الوصايا الأخرى، مثل: أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب، أو نحو ذلك!!

و الجواب: أن علينا أن نطرح سؤالين:

أحدهما: إنه لا شك في أن ما اراد أن يكتبه «صلى الله عليه وآله» يرتبط بالضلال والهدى للأمة كما صرح به هو نفسه «صلى الله عليه وآله» ..

ومما لا شك فيه أيضا: أن عمر بن الخطاب كان مصرا على منع النبي «صلى الله عليه وآله» من كتابة الكتاب. وأن إصراره على هذا المنع كان بالغاً إلى حد أنه بادر إلى اتهام النبي «صلى الله عليه وآله» بأنه يتكلم بالهجر..

فلماذا يغضب عمر إلى هذا الحد، من أمر يقول النبي «صلى الله عليه وآله» عنه: إنه يؤدي إلى حفظ الأمة من الضلال إلى يوم القيامة؟!

السؤال الثاني: ما هي طبيعة ذلك الشيء الذي يستطيع أن يحقق هذا الإنجاز العظيم الهائل، وهو صيانة الأمة من الضلال إلى الأبد؟!

لا شك في أن هذا الشيء ليس من الأحكام الفرعية، «بل هو قطب رحي الإسلام، ومفتاح كل خير، ومغلاق كل شر» على حد تعبير العلامة الأحمدي «رحمه الله» (1).

ولكي نجيب على هذين السؤالين بدقة وأمانة، علينا أن نرجع إلى النصوص، وإلى ما يقوله حتى محبوب عمر بن الخطاب، الراغبون في الدفاع عنه، أو في التخفيف من حدة النقد الموجه إليه، لجراته البالغة على مقام النبوة الأقدس، فلا حظ الأمور التالية:

ص: 237

1- قال الخفاجي و الكرماني و الدهلوي: إنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يكتب ولاية علي «عليه السلام» (1).

2- وقال عمر لابن عباس عن علي «عليه السلام»: «أراد أن يذكره للأمر في مرضه، فصددته عنه، خوفاً من الفتنة، وانتشار أمر الإسلام. فعلم رسول الله ما في نفسي، وأمسك، وأبى الله إلا إمضاء ما حتم» (2).

3- عن ابن عباس: أن عمر سأل عن علي «عليه السلام»: «هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟

قلت: نعم.

قال: أيزعم أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نص عليه؟

قلت: نعم.

وأزيدك: سألت أبي عما يدعيه، فقال: صدق.

فقال عمر: لقد كان من رسول الله «صلى الله عليه وآله» في أمره ذرو من قول لا يثبت حجة، ولا يقطع عذرا. ولقد كان يربع في أمره وقتنا ما. ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه فمنعت من ذلك، إشفاقا وحيطة على

ص: 238

1- راجع: شرح الشفاء للخفاجي ج 4 ص 325 و تشييد المطاعن ج 1 ص 426 عن شرح المشكاة للدهلوي، و عن الخفاجي، و الكرماني في شرح البخاري، و عن فتح الباري ج 1 ص 186 و ج 8 ص 101 و 102 و عمدة القاري ج 2 ص 171.

2- شرح النهج للمعتزلي ج 12 ص 79 و راجع: غاية المرام (المقصد الثاني) فصل الفضائل، باب 73 ص 596 و البحار ج 30 ص 555 و مكاتيب الرسول ج 3 ص 706.

الإسلام. لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبدا» (1).

4-و حين قال له ابن عباس: إن النبي «صلى الله عليه وآله» أراد الأمر لعلي «عليه السلام». أجابه عمر: يا ابن عباس، وأراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» الأمر له، فكان ماذا إذا لم يرد الله تعالى ذلك؟! !

إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أراد أمرا، وأراد الله غيره، فنفذ مراد الله تعالى، ولم ينفذ مراد رسوله، أو كلما أراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان؟! (2).

5-إنه «صلى الله عليه وآله» قد أشار في بياناته الأخرى إلى ذلك الشيء

ص: 239

1- شرح النهج ج 12 ص 20 و 21 عن كتاب تاريخ بغداد لأحمد بن أبي طاهر، وراجع ج 12 ص 79 و 85 و 86 و 84 و 80 و 82 و قاموس الرجال ج 6 ص 398 و ج 7 ص 188 و بهج الصباغة ج 6 ص 244 و ج 4 ص 381 و عن ناسخ التواريخ (الجزء المتعلق بالخلفاء) ص 72 و 80. وراجع: البحار ج 30 ص 244 و 556 و ج 31 ص 75 و ج 38 ص 157 و نفحات اللاهوت ص 81 و 118 و 121 و الصراط المستقيم ج 3 ص 5 و غاية المرام (ط حجرية) ص 595 و مناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرازي ص 450 و مكاتيب الرسول ج 3 ص 707 و الدرجات الرفيعة ص 106 و كشف الغمة ج 2 ص 47 و كشف اليقين ص 472 و موسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب و السنة و التاريخ ج 2 ص 91 و 391 و التحفة العسجدية ليحيى بن الحسين بن القاسم ص 144 و سفينة النجاة للسرايى التنكابني ص 226

2- شرح النهج للمعتزلي ج 12 ص 78 و 79 و غاية المرام (المقصد الثاني) ص 596 و البحار ج 30 ص 554. وراجع: مكاتيب الرسول ج 1 ص 610 و ج 3 ص 707 و التحفة العسجدية ليحيى بن الحسين بن القاسم ص 147.

الذي تحفظ به الأمة من الضلال، فقد قال: «يا أيها الناس، إني تركت فيكم ما إن أخذتم لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي» (1).

لعله أراد إستخلاف أبي بكر:

وقد ادّعت عائشة: أن غرض النبي «صلى الله عليه وآله» من كتب الكتاب هو: الوصية لأبي بكر، لا لعلي «عليه السلام»، وأنه «صلى الله عليه وآله» قال لعائشة: ادعي لي أباك وأخاك، حتى أكتب لأبي بكر كتابا، فإني أخاف أن يقول قائل، ويتمنى متمن، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر (2).

ص: 240

- 1- راجع: حديث الثقلين للشنوي تجد شطرا وافيا من مصادر حديث الثقلين، وراجع: المراجعات ص 49 و 50.
- 2- راجع: تاريخ الإسلام للذهبي ج 1 ص 380 وإمتاع الأسماع ج 14 ص 433 والسنن الكبرى للنسائي ج 4 ص 253 وكتاب الوفاة للنسائي ص 26 والمعجم الأوسط ج 6 ص 340. ومكاتب الرسول ج 3 ص 710 وفي هامشه عن: الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ق 2 ص 24 وج 3 ق 1 ص 127 و 128 و (ط دار صادر) ج 3 ص 180 والبخاري ج 9 ص 100 باب الإستخلاف، وفتح الباري ج 1 ص 186 وج 13 ص 177 وعمدة القاري ج 2 ص 171 وج 24 ص 278 وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص 541 والدرر لابن عبد البر ص 125 و 204 والمنتظم لابن الجوزي ج 4 ص 32 و مسلم ج 4 ص 1857 والسيرة الحلبية ج 3 ص 381 وكنز العمال ج 11 ص 162 وج 12 ص 162 وج 14 ص 152 و مسند أحمد ج 6 ص 47 و 106 و 144 و 146 والكامل لابن عدي ج 6 ص 2140 وج 2 ص 705 و منحة المعبود ج 2 ص 169 و البداية والنهاية ج 5 ص 228 وج 6 ص 198 و مجمع الزوائد ج 3 ص 63 وج 5 ص 181 و بلوغ الأمان ج 1 ص 235 و الصراط المستقيم ج 3 ص 4. وراجع البحار ج 28 ص 351 و تشييد المطاعن (ط هند) ج 1 ص 411 و 431 و الوثائق السياسية المقدمة الثالثة ص 18 و ابن أبي الحديد ج 6 ص 13 عن البخاري، و مسلم، وأنكره وج 11 ص 49 وقال: فإنهم وضعوه في مقابلة الحديث المروي عنه في مرضه «أتوني بدواة و بياض اكتب لكم ما لا تضلوا بعده أبدا فاختلفوا عنده وقال قوم منهم قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله» وفي تشييد المطاعن ج 1 ص 431 نقل الإنكار عنه وعن جامع الأصول.

ورواه البخاري بلفظ: لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه، فأعهد، أن يقول قائلون، أو يتمني المتمنون، ثم قلت: يأبى الله و يدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويأبى المؤمنون.

ورواه مسلم بلفظ: قال لي رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مرضه: ادع لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتابا، فإني أخاف أن يتمني متمن، أو يقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر.

وقد ورد: أنه أراد أن يكتب كتابا، ولم يذكر أبا بكر (1).

وعن عائشة: لما ثقل رسول الله «صلى الله عليه وآله» دعا عبد الرحمن بن أبي بكر فقال: انتني بكتف حتى أكتب لأبي بكر كتابا لا يختلف عليه.

فذهب عبد الرحمن ليقوم. فقال: اجلس، أباي الله والمؤمنون أن يختلف على أبي بكر (2).

ص: 241

1- سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 247.

2- راجع: سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 247 والأربعين البلدان ص 124 وتاريخ مدينة دمشق ج 30 ص 269 و 270 ومكاتب الرسول ج 3 ص 711 وفي هامشه عن المصادر التالية: الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ق 2 ص 24 وج 3 ق 1 ص 127 و 128 و (ط دار صادر) ج 3 ص 180 و البخاري ج 9 ص 100 باب الإستخلاف، وفتح الباري ج 1 ص 186 وج 13 ص 177 وعمدة القاري ج 2 ص 171 وج 24 ص 278 وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص 541 والدرر لابن عبد البر ص 125 و 204 والمنتظم لابن الجوزي ج 4 ص 32 و مسلم ج 4 ص 857 والسيرة الحلبية ج 3 ص 381 وكنز العمال ج 11 ص 162 وج 12 ص 162 وج 14 ص 152 و مسند أحمد ج 6 ص 47 و 106 و 144 و 146 والكامل لابن عدي ج 6 ص 2140 وج 2 ص 705 ومنحة المعبود ج 2 ص 169 والبداية و النهاية ج 5 ص 228 وج 6 ص 198 ومجمع الزوائد ج 3 ص 63 وج 5 ص 181 وبلوغ الأمان ج 1 ص 235 والصراط المستقيم ج 3 ص 4. وراجع البحار ج 28 ص 351 وتشديد المطاعن (ط هند) ج 1 ص 411 و 431 والوثائق السياسية المقدمة الثالثة ص 18 وابن أبي الحديد ج 6 ص 13 عن البخاري، و مسلم وأنكره وج 11 ص 49 وقال: فإنهم وضعوه في مقابلة الحديث المروي عنه في مرضه «انتوني بدواة و بياض أكتب لكم ما لا تضلوا بعده أبدا، فاختلفوا عنده، وقال قوم منهم قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله» وفي تشديد المطاعن ج 1 ص 431 نقل الإنكار عنه وعن جامع الأصول.

ونقول:

أولاً: إنه لا معنى للحديث عن الكتابة لأبي بكر، بعد أن صرح عمر بأنه عرف أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يريد أن يصرح باسم علي «عليه السلام» فمنعه. .

ثانياً: إن عمر كان من أشد المتحمسين لولاية أبي بكر، والواضعين لأركانها، والمشيدون لبنيانها، ولو أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يريد

ص: 242

ذلك لجهد عمر بن الخطاب في تلبية طلبه، وإنفاذ أمره، ولم يرمه بما رماه به من أنه قد غلب عليه الوجع، يدلنا على ذلك قول علي «عليه السلام» له: إحلب حلبا لك شطره (1).

قال شارح المقاصد تعليقا على كون بيعة أبي بكر فلتة: «كيف يتصور من عمر القدح في إمامة أبي بكر، مع ما علم من مبالغته في تعظيمه، و انعقاد البيعة له؟ و من صيرورته خليفة باستخلافه؟! (2).

وروي: أنه لما كتب أبو بكر وصيته في عمر، وأرسلها بيد رجلين ليقرأها على الناس، قالوا للناس: هذا ما كتبه أبو بكر، فإن قبلتموه نقرؤه، و إلا نرده، فقال طلحة: اقرأه وإن كان فيه عمر.

ص: 243

-
- 1- الإحتجاج ج 1 ص 96 و الصراط المستقيم ج 2 ص 225 و 302 و ج 3 ص 11 و 111 و كتاب الأربعين للشيرازي ص 153 و 173 و البحار ج 28 ص 185 و 348 و 388 و ج 29 ص 522 و 626 و مناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرازي ص 400 و السقيفة للمظفر ص 89 و الغدير ج 5 ص 371 و ج 7 ص 80 و مكاتيب الرسول ج 3 ص 708 و نهج السعادة ج 1 ص 45 و شرح النهج للمعتزلي ج 6 ص 11 و الموضوعات و أحاديثهم ص 493 و الإمامة و السياسة (بتحقيق الزيني) ج 1 ص 18 و (بتحقيق الشيري) ج 1 ص 29 و الشافي للمرتضى ج 3 ص 240 و سفينة النجاة للسرايى التنكابني ص 347 و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج 2 ص 351.
 - 2- البحار ج 30 ص 558 و شرح المقاصد في علم الكلام للتفتازاني ج 5 ص 281 و (ط دار المعارف النعمانية) ج 2 ص 293 و إحقاق الحق (الأصل) ص 238 و مكاتيب الرسول ج 3 ص 711.

فقال له عمر: من أين عرفت ذكرى فيه؟

فقال طلحة: وليته بالأمس وولاك اليوم (1).

قال المعتزلي: «و عمر هو الذي شيد بيعة أبي بكر، ورغم المخالفين فيها، فكسر سيف الزبير لما جرده، ودفع في صدر المقداد، ووطأ في السقيفة سعد بن عباد، وقال: اقتلوا سعدا قتل الله سعدا، وحطم أنف الحباب بن المنذر الذي قال يوم السقيفة: انا جديها المحلك، وتوعد من لجأ إلى دار فاطمة من الهاشميين، وأخرجهم منها. ولولاه لم يثبت لأبي بكر أمر، ولا قامت له قائمة» (2).

ثالثا: لو كان المقصود هو كتابة اسم أبي بكر، فلماذا يبكي ابن عباس حتى يبيل الحصى لرزية يوم الخميس؟! فإن المفروض أن تكون الأمور قد جرت وفق ما يريده رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بتولي أبي بكر!!

رابعا: إن ألفاظ هذا الحديث مختلفة، فهل قال «صلى الله عليه وآله» لعائشة: ادعي لي أباك؟!

أو قال: لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبيك، أو أنه دعا عبد الرحمن بن أبي بكر.

فقال: اتنتي بكتف ودواة؟!

وهل قال: أبى الله إلا أبا بكر، أم قال: أبى الله والمؤمنون أن يختلف على

ص: 244

1- البحار ج 30 ص 558 و مكاتيب الرسول ج 3 ص 712 وإحقاق الحق (الأصل) ص 237.

2- شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 1 ص 174 وج 2 ص 27.

أبي بكر.

أوقال: يابى الله و يدفع المؤمنون. . أو العكس.

خامسا: لماذا أرسل أولا إلى عبد الرحمن و أمره أن يأتية بكتف و دواة. . ثم عدل عن ذلك، و أمره بالجلوس، و قال: أبى الله و المؤمنون أن يختلف على أبى بكر، فما هذا التقلب بالرأى، و التردد في التصرفات؟! .

و هل يصح ذلك من نبي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى؟! .

سادسا: ما معنى قوله «صلى الله عليه و آله» : إجلس، أبى الله و المؤمنون أن يختلف على أبى بكر، فهل كان يريد أن يكتب في كتابه ما يخالف هذا الأمر، فأبى الله ذلك، و منعه منه؟! .

سابعا: لا معنى لأن يقال: يابى الله و المؤمنون إلا أبا بكر، فإن عليا و الزهراء «عليهما السلام» كانا من المؤمنين، و كذلك بنو هاشم، و كثير من صحابة النبي «صلى الله عليه و آله» . . و قد أبوا خلافة أبى بكر، و امتنعوا من البيعة له حتى استشهد بعضهم، كالزهراء «عليها السلام»، و بايع آخرون قهرا. . و جميعهم كانوا من المؤمنين.

كما أنهم يعتبرون سعد بن عبادة من أهل الإيمان أيضا، و قد قتل و لم يبايع أبا بكر. .

ثامنا: بالنسبة للنص الذي يقول: أبى الله و المؤمنون أن يختلف على أبى بكر. . لم يطابق الواقع، فإن الاختلاف على أبى بكر ما زال قائما منذ اللحظة الأولى، و إلى يومنا هذا. .

تاسعا: قال المعتزلي عن هذا الحديث: إنه مصنوع مع ما فيه من

عاشرا: قال العلامة المجلسي «قدس الله نفسه الزكية»: إنه حتى لو كان يريد أن يكتب اسم أبي بكر، فإن «ظن الصواب في خلاف ما قضى به في معنى الشرك بالله، ولو كان في استخلاف أبي بكر أو عمر» (2).

و الإيراد الحادي عشر والأخير: أنه لم يترتب على ولاية أبي بكر صيانة للأمة من الضلال إلى يوم القيامة، بل تمزقت بذلك أوصالها، و ظهرت الفتن فيها، و سفكت الدماء، و فشت الضلالات، و الشبهات، و تحكم فيها فجارها، و قهر بل قتل خيارها، و أبرارها، و على رأسهم علي و الحسنان، و أبناءهم الطاهرون «عليهم السلام» . .

مفارقة. . لا مجال لتبريرها:

و الشيء الذي لا يمكن تبريره، و لا الإعتذار عنه هو: أن عمر بن الخطاب، قد واجه النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» بذلك الموقف الجريء و القوي و الحاسم، في أمر لم يصرح النبي «صلى الله عليه وآله» لأحد بكنهه، و لكن عمر بن الخطاب قد علم به و تيقنه، فبادر إلى منعه منه.

و قد صرح بذلك لابن عباس، فقال: «و لقد أراد أن يصرح باسمه (يعني باسم علي «عليه السلام») فمنعت من ذلك. .» (3).

ص: 246

1- راجع: شرح النهج للمعتزلي ج 6 ص 13 و ج 11 ص 49.

2- البحار ج 30 ص 558.

3- راجع: شرح النهج للمعتزلي ج 12 ص 21 و 79 و مواقف الشيعة ج 1 ص 150 و مكاتيب الرسول ج 1 ص 609 و ج 3 ص 706 و 707 و المراجعات ص 395 و البحار ج 30 ص 244 و 555 و 556 و ج 31 ص 75 و ج 38 ص 157 و ج 109 ص 23 و حلية الأبرار ج 2 ص 321. و راجع: غاية المرام (المقصد الثاني) فصل الفضائل، باب 73 ص 596.

ولكنه منعه بصورة مؤذية، و مهينة، و غير متوقعة. حيث وصفه بأنه غلبه الوجع، أو إنه ليهجر. . رغم أن هذا الكتاب كان سيحفظ الأمة من الضلال إلى يوم القيامة، كما صرح به رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالذات.

يقابل ذلك: أن أبا بكر حين مرض مرض الوفاة استدعى عثمان بن عفان، و كتب كتابا يعين فيه الخليفة من بعده، فلما بلغ إلى ذكر اسم الخليفة أغمي عليه، فكتب عثمان اسم عمر في حال إغماء أبي بكر، فلما أفاق سأل عثمان، فأخبره أنه كتب اسم عمر، فأمضاه، وقال له أيضا: لو كتبت نفسك لكنت لذلك أهلا (1).

فلماذا لم يحكم عمر على أبي بكر بأنه قد كتب ذلك الكتاب و هو يهجر، أو غلبه الوجع؟! و الحال أنه لا شك في أن الوجع قد غلب أبا بكر حتى أغمي عليه فعلا! و مع أن أبا بكر لم يكن مسددا بالوحي و لا بغيره، و لم يخبرهم بأن كتابه سوف يعصم الأمة من الضلال إلى يوم القيامة.

و حتى لو أخبرهم بذلك، فإن أبا بكر يخطئ و يصيب، و لم يكن معصوما، و لا حجة لقوله، و لا كان من الأنبياء و لا الأوصياء!! .

ص: 247

1- راجع: تاريخ المدينة لابن شبة ج 2 ص 667 و تمهيد الأوائل و تلخيص الدلائل للباقلائي ص 498 و تاريخ مدينة دمشق ج 39 ص 185 و 186 و 187 و ج 44 ص 248 و 252 و كنز العمال ج 5 ص 678 و 680 و إفحام الأعداء و الخصوم ص 101.

و مما يشير إلى أن عمر قد فهم أن المراد هو كتابة أمر الإمامة والعتره، والإلزام بها قولاً وعملاً: أن عمر قال: حسبنا كتاب الله، أي أنه يريد أن يدفع الثقل الآخر المعادل لكتاب الله، حسبما قرره حديث الثقلين، اللذين لن يضل من تمسك بهما، وقد صرح رسول الله «صلى الله عليه وآله» هنا أيضاً بما يشير إلى ذلك بقوله: لن تضلوا بعده. .

ولنفترض أن عمر قد فهم أن أمر النبي «صلى الله عليه وآله» لهم بالإتيان بالدواة، والكتف كان استحيابياً، فلماذا يبادر إلى اتهام النبي «صلى الله عليه وآله» في عقله، ويوجه إليه الكلمات القارصة ككونه يهجر، أو غلب عليه الوجع، أو نحو ذلك. .

لا دليل على إرادة الوصية لعلي عليه السلام؟! :

وقد يقال: يدّعي الشيعة: أن النبي «صلى الله عليه وآله»، أراد في مرض موته أن يصرح بالوصية للإمام علي «عليه السلام»، وأن يكتب ذلك في كتاب، لكن عمر منعه من ذلك، وقال: إن النبي ليهجر، أو غلبه الوجع، أو ما يقرب من ذلك. .

مع أنه ليس في الحديث أن النبي «صلى الله عليه وآله»، قد أراد أن يكتب خلافة أحد، ولا يعدو كونه مجرد تخرص ورجم بالغيب منهم، رغبة في التنويه بأمر الإمامة، من غير دليل. .

أضف إلى ذلك: أن النبي «صلى الله عليه وآله»، قد ترك سنة غير مكتوبة، فلا حاجة إلى كتابة هذا الكتاب؟! . .

أولاً: إن هناك تصريحات من قبل الخليفة الثاني، بأنه كان يعلم بأن النبي «صلى الله عليه وآله»، أراد في مرض موته أن يصرح باسم الإمام علي «عليه السلام» فمنعه. .

وقد روى ذلك أهل السنة أنفسهم (1). . وقد تقدمت طائفة من هذه النصوص، فلا حاجة للإعادة. .

ثانياً: لنفترض أن النبي «صلى الله عليه وآله»، لم يرد أن يكتب في الكتاب إمامة الإمام علي «عليه السلام»، ولكن لا شك في أن قول عمر: إن النبي «صلى الله عليه وآله» ليهجر، أو غلبه الوجع. . أو أنه قال كلمة معناها غلبه الوجع، يعتبر جرأة عظيمة وخطرة جداً على مقام النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله». . وهو يظهر بصورة لا تقبل التردد والشك، عدم صلاحية عمر بن الخطاب لمقام الخلافة، وهذا كاف فيما يرمي إليه الشيعة من إثبات بطلان خلافة عمر بن الخطاب. .

وليس ثمة ما يثبت أنه قد أصبح أهلاً لهذا المقام، لا سيما وأنه لم ينقل عنه توبة عما صدر منه في حق رسول الله «صلى الله عليه وآله». . بل الثابت أنه قد واصل جرأته على الرسول «صلى الله عليه وآله»، حين هاجم بيت السيدة الزهراء «عليها السلام»، التي قال فيها الرسول الكريم، «صلى الله عليه وآله»: من أغضبها أغضبني، أو نحو ذلك. .

ثالثا: إن النبي «صلى الله عليه وآله»، قد ترك سنة مكتوبة، وأمر عبد الله بن عمرو بن العاص، بأن يكتب كل ما يخرج من بين شفتيه، قائلا:

أكتب فوالله، لا يخرج من بين هاتين إلا حق. أو نحو ذلك. .

وقال: أكتبوا لأبي شاه.

وقال للناس: قيدوا العلم بالكتاب. .

وكتب عنه أمير المؤمنين «عليه السلام»، الجفر والجامعة، وكتب أيضا الكتاب الذي كان في ذؤابة سيفه، وفيه أمور من السنة. . وغير ذلك كثير. . ذكرنا شطرا وافيا منه، في الجزء الأول هذا الكتاب.

فما معنى قولهم: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يترك سنة مكتوبة؟! . .

رابعا: لنفترض أن النبي «صلى الله عليه وآله»، قد أمضى حياته دون أن يكتب أي شيء، وأراد في آخر لحظة أن يكتب أمرا بعينه، فما هو المانع من ذلك؟

و هل يصح قياس هذه الفترة على الفترات السابقة، بحيث لا بد أن تأخذ حكمها؟! . .

خامسا: لنفترض جدلا أنه كان يحق لعمر بن الخطاب، أن يمنع النبي «صلى الله عليه وآله»، من كتابة الكتاب، فهل يحق له أن يعلل ذلك بأنه «صلى الله عليه وآله» يهجر، أو غلبه الوجد. . أو أن يقول كلمة هذا معناها؟! . .

سادسا: إن النبي «صلى الله عليه وآله»، يقول للناس: إنه إذا كتب الكتاب، فلن يضلوا بعده. .

فكيف يقول له عمر: حسبنا كتاب الله؟! . .

فهل هو أعرف من النبي «صلى الله عليه وآله» فيما يكون به الهداية والضلال؟! . .

ألا يدل قول النبي «صلى الله عليه وآله» : لن تضلوا بعدي . على أن القرآن لا يغني عن كتابة الكتاب، باعتبار أن الكتاب هو تدبير نبوي، تنفيذي وإجرائي، من شأنه أن يمنع من ادعاء الناس أموراً تخالف الواقع . أما القرآن فإنما يتحدث عن الأصول، والمباني، والقواعد والضوابط!!

سابعاً: وأخيراً، نقول لأجل التذكير فقط: إن من يتجرأ على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ألا يتجرأ على السيدة الزهراء «عليها السلام»، وعلى الإمام علي «عليه السلام»، فضلاً عما سواهما؟! .

وهل يمكن جعل دماء الناس وأعراضهم، وأموالهم تحت سلطته؟! .

إستدلال عمر بالجبر الإلهي:

وعن قول عمر المتقدم لابن عباس: إن الله تعالى أراد أمراً، وأراد الله غيره، فنفذ مراد الله، ولم ينفذ مراد رسوله الخ .

وعن قوله عن هذا الموضوع أيضاً: «وأي الله إلا إمضاء ما حتم» نقول:

1- إن الذي أراده الله ورسوله هو الخير والهدى، وصيانة الأمة من الضلال، إلى يوم القيامة، وأراد أن يكون ذلك بواسطة الولاية لعلي «عليه السلام» وأن يكف المناوؤون لعلي «عليه السلام» والأئمة الاثني عشر الهداة المهديين الطاهرين عن مناوئته من بعده . ولكن الذين أرادوا الأمر لأنفسهم، لم يمثلوا أمر الله ورسوله فيه وعدوا عليه وعلى زوجته، وأوردوا

عليهما من الظلم والحيف ما هو معروف. .

2- يضاف إلى ذلك: أن في النص المشار إليه عن عمر بن الخطاب نوعا من الإستهتار والإستخفاف برسول الله «صلى الله عليه وآله»، خصوصا قوله: «فكان ماذا» ؟ !

وقوله: «أو كلما أراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان» ؟ !

3- لو صح ما قاله عمر، لكان معناه: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد خالف إرادة الله تعالى، وأن عمر هو الذي وافقها، ومعه قريش أيضا.

وقد ادّعى أيضا: أنه إنما منع النبي «صلى الله عليه وآله» من الكتابة، إشفاقا منه على الأمة من الفتنة، وحيطة على الإسلام، فهل كان عمر أشفق على الأمة، وأكثر حيطة على الإسلام من رسول الله «صلى الله عليه وآله» ؟ !

أم أنه كان أعرف من رسول الله «صلى الله عليه وآله» بموجبات الفتنة، وبما يحفظ الدين، مع أن الله تعالى يقول في حق نبيه العظيم: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (1).

أبو جعفر النقيب يقول:

قال أبو جعفر النقيب عن اختلاف المسلمين في محضر رسول الله «صلى الله عليه وآله» :

«فرجّح قوم هذا، وقوم هذا، أفليس ذلك دالا على أن القوم سوا بينه وبين عمر؟ ! وجعلوا القولين مسألة خلاف، ذهب كل فريق إلى نصرته

ص: 252

1- الآيتان 3 و 4 من سورة النجم.

واحد منهما، كما يختلف اثنان من عرض المسلمين في بعض الأحكام، فينصر قوم هذا وينصر ذاك آخرون؟! فمن بلغت قوته و همته إلى هذا كيف ينكر منه أنه يبايع أبا بكر لمصلحة رآها، و يعدل عن النص؟! (1). انتهى.

و أبو جعفر النقيب هو: يحيى بن محمد بن أبي زيد. قال عنه ابن أبي الحديد: «ولم يكن إمامي المذهب، ولا كان يبرأ من السلف، ولا يرتضي قول المسرفين من الشيعة. ولكنه كلام أجراه على لسانه البحث و الجدل بيني وبينه» (2).

ص: 253

-
- 1- شرح النهج للمعتزلي ج 12 ص 87 و غاية المرام ج 6 ص 94 و كتاب الأربعين للشيرازي ص 253 و مكاتيب الرسول ج 1 ص 611 و ج 3 ص 725.
 - 2- شرح النهج للمعتزلي ج 12 ص 90.

تصويب عمر و تخطئة النبي صلى الله عليه وآله !! :

قال البيهقي و الذهبي: وإنما أراد عمر التخفيف عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين رآه شديد الوجع، لعلمه أن الله تبارك و تعالى قد أكمل ديننا، و لو كان ذلك الكتاب وحيًا لكتبه النبي «صلى الله عليه وآله»، و لما أخل به لاختلافهم و لغطهم، لقول الله تعالى: بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ (1).

كما لم يترك تبليغ غيره لمخالفة من خالفه، و معادة من عاداه، وإنما أراد ما حكى سفيان بن عيينة عن أهل العلم قبله، أن يكتب استخلاف أبي بكر، ثم ترك كتابته اعتمادًا على ما علم من تقدير الله تعالى، كما هم به في ابتداء مرضه حين قال: «وأسأه» .

ثم بدا له أن لا يكتب، ثم قال: «يأيي الله و المؤمنون إلا أبا بكر» .

ثم نبه أمته على خلافته باستخلافه إياه في الصلاة حين عجز عن حضورها.

و يتابع البيهقي، فيقول:

«وإن كان المراد به رفع الخلاف في الدين، فإن عمر بن الخطاب علم أن

ص: 257

اللّٰه تعالى قد أكمل دينه بقوله: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ (1)**، وعلم أنه لا تحدث واقعة إلى يوم القيامة، إلا في كتاب اللّٰه تعالى وسنة رسوله «صلى اللّٰه عليه وآله» بيانها، نصاً أو دلالة.

وفي نص رسول اللّٰه «صلى اللّٰه عليه وآله» على جميع ذلك في مرض موته، مع شدة وعكه، ما يشق عليه، فرأى عمر بن الخطاب الإقتصار على ما سبق بيانه نصاً، أو دلالة، تخفيفاً على رسول اللّٰه «صلى اللّٰه عليه وآله» .

ولكي لا تزول فضيلة أهل العلم بالاجتهاد في الاستنباط، وإلحاق الفروع بالأصول، بما دل الكتاب والسنة عليه.

وفيما سبق من قوله «صلى اللّٰه عليه وآله» : «إذا اجتهد الحاكم فأصاب، فله أجران. وإذا اجتهد فأخطأ، فله أجر واحد» دليل على أنه وكل بيان بعض الأحكام إلى اجتهد العلماء، وأنه أحرز من أصاب منهم الأجرين الموعودين، أحدهما: بالاجتهاد، والآخر: بإصابة العين المطلوبة بما عليها من الدلالة في الكتاب أو السنة.

وأنه أحرز من اجتهد فأخطأ أجراً واحداً باجتهاده، ورفع إثم الخطأ عنه، وذلك في أحكام الشريعة التي لم يأت بيانها نصاً، وإنما ورد خفياً.

فأما مسائل الأصول، فقد ورد بيانها جلياً، فلا عذر لمن خالف بيانه لما فيه من فضيلة العلماء بالاجتهاد، وإلحاق الفروع بالأصول، بالدلالة، مع طلب التخفيف على صاحب الشريعة، وفي ترك رسول اللّٰه «صلى اللّٰه عليه وآله» الإنكار عليه فيما قال واضح على استصوابه رأيه، وباللّٰه التوفيق» .

ص: 258

وقال المازري: إنما جاز للصحابة الإختلاف في هذا الكتاب مع صريح أمره بذلك، لأن الأوامر قد يقارنها ما ينقلها من الوجوب، فكأنه ظهرت منه قرينة دلت على أن الأمر ليس على التحتم بل على الإختيار، فاختلف اجتهداهم، وصمم عمر على الإمتناع لما قام عنده من القرائن بأنه «صلى الله عليه وآله» قال ذلك عن غير قصد جازم.

(وعزمه «صلى الله عليه وآله» كان إما بالوحي وإما بالاجتهاد، وكذلك تركه إن كان بالوحي فبالوحي، وإلا فبالاجتهاد أيضا).

وقال النووي: اتفق العلماء على أن قول عمر «حسبنا كتاب الله» من قوة فقهه، ودقيق نظره، لأنه خشي أن يكتب أمورا ربما عجزوا عنها، فيستحقوا العقوبة لكونها منصوصة.

وأراد أن لا يسد باب الإجتهد من العلماء.

وفي تركه «صلى الله عليه وآله» الإنكار على عمر الإشارة إلى تصويبه.

وأشار بقوله: «حسبنا كتاب الله» إلى قوله تعالى: مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (1).

ولا يعارض ذلك قول ابن عباس: إن الرزية الخ. . لأن عمر كان أفقه منه قطعاً.

ولا يقال: إن ابن عباس لم يكتف بالقرآن مع أنه حبر القرآن، وأعلم الناس بتفسيره، ولكنه أسف على ما فاتته من البيان، وبالتنصيص عليه

ص: 259

لكونه أولى من الاستنباط (1).

ونقول:

إن ما ذكر آنفا لا يحتاج إلى بذل أي جهد لإظهار بطلانه وفساده، حيث إن سقوطه وخطئه ظاهر للعيان، ولا يحتاج إلى بيان، ولا إلى إقامة برهان. .

ولكننا نكرر على مسامع القارئ الكريم بعض اللمحات والإشارات إلى بعض الشبهات والمغالطات والأباطيل من دون تطويل لثقتنا بحسن تقديره، وبسلامة وصحة تفكيره، فنقول:

ألف: عمر أراد التخفيف عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

إن ما زعموه: من أن عمر أراد التخفيف عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين رآه شديد الوجع. . يضحك الثكلى، فهل التخفيف على النبي «صلى الله عليه وآله» يستدعي اتهامه بالهذيان؟ !

و هل التخفيف يكون بإيذائه بقوارع القول، وقواذع الكلم؟ !

و هل التخفيف عنه بعضيان أو امره، أم بطاعته «صلى الله عليه وآله»، و المبادرة إلى فعل ما يرضيه، و يطمئنه؟ !

ألا يدل قوله «صلى الله عليه وآله»: «أكتب كتابا لكم لن تضلوا بعده»، أو نحو ذلك على أنه «صلى الله عليه وآله» كان يخشى عليهم من الضلال عن الصراط المستقيم، والوقوع في الفتن والمهالك، والإبتلاء بالضلالات؟ !

و هل مجرد كمال الدين يمنع من الضلال؟ ! و يحصن من الاختلاف؟ !

ص: 260

و من الذي قال: إنه «صلى الله عليه وآله» يريد أن يأتي بتشريع جديد يضيفه إلى الدين، فلعله أراد إلزامهم بالعمل ببعض ما بلغهم إياه، و هو الوفاء ببيعته يوم الغدير، و توثيق ذلك بالكتاب حتى لا يدعي مدع: أن ولاية علي لم تكن بوحي من الله، بل هي اجتهاد من الرسول، و قد غير النبي «صلى الله عليه وآله» رأيه و اجتهاده؟!

ب: آية بلغ. . و آية إكمال الدين:

و مما يضحك الثكلى أيضا الإستدلال بآية: بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ و آية إكمال الدين، على صحة فعل عمر. . فقد تقدم حين البحث في قضية الغدير، أنهم يقولون: إن هناك أحكاما قد بلغها النبي «صلى الله عليه وآله» بعد نزول هذه الآية، مثل آية الكلاله، و آيات الربا، و أمره بإخراج المشركين من جزيرة العرب. . بالإضافة إلى أمور أخرى ذكروها. .

ج: لو كان و حيا لأصر على تبليغه:

و بالنسبة لقولهم: لو كان الكتاب و حيا من الله لكتبه النبي «صلى الله عليه وآله»، و لم يحفل بلغتهم. . نقول:

إن عدم كتابته للكتاب بعد اتهامه بالجنون و الهذيان لا يدل على أن الله لم يأمره بكتابته. .

أولا: لأن الله تعالى يقول: وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ ، و هو أمر مطلق، و لم يقل: أطيعوه في بعض أوامره، و اعصوه في بعضها الآخر. .

ثانيا: إن كل ما يأمرهم به رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو بيوحي

من الله، لقوله تعالى: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (1).

ثالثاً: إنه قد يكون الأمر بالكتابة مشروطاً بعدم صدور اتهام من أحد للنبي «صلى الله عليه وآله» بالهذيان، أو ما بمعناه، لأن ذلك يبطل مفعول الكتاب، ويقلب الأمور رأساً على عقب. . إذ لو كتب الكتاب مع وجود هذه التهمة، لأوجبت كتابته الخلاف والفتنة، بدل أن يكون سبباً للمصونية من الضلال. .

وقد ظهرت هذه الأحوال في نفس ذلك المجلس، حيث اختلف الحاضرون و تنازعوا، فمنهم يقول: قدموا لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ما طلب ليكتب لكم. . ومنهم من يقول: القول ما قال عمر. .

فهل إذا ارتحل النبي «صلى الله عليه وآله» إلى الرفيق الأعلى، سوف يتفق المسلمون، أم سوف يبقى هناك من يقول: القول ما قال عمر؟ !

بل من الذي يضمن لنا تسليم عمر نفسه بمضمون ذلك الكتاب؟ !

وإذا كانوا يعصون رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويخالفون أمر الله له بأن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوته «صلى الله عليه وآله»، وبأن لا يتنازعوا عنده، بل يردون الأمر الذي يتنازعون فيه إليه «صلى الله عليه وآله» لكي يبينه لهم إذا كانوا يفعلون ذلك كله تحت سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبصره، فهل سيكون موته سبباً لاتفاقهم، و حل نزاعاتهم؟ ! في حين أن الله تعالى يقول: أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (2).

ص: 262

1- الآيتان 3 و 4 من سورة النجم.

2- الآية 144 من سورة آل عمران.

إن وجود النبي «صلى الله عليه وآله» بينهم كان رحمة لهم، فهل أصبح وجوده نقمة، و موته رحمة لهم، و من موجبات دفع تنازعهم و انتظام أمورهم؟! إن من يذهب إلى هذه المقالة، لا يمكن أن يكون من أهل الإيمان، و لا من الموصوفين بالإسلام. .

رابعاً: لنفترض جدلاً: أن كتابة الكتاب كانت اجتهاداً من رسول الله «صلى الله عليه وآله» . فلماذا يصبر هؤلاء على تخطئة النبي «صلى الله عليه وآله» في اجتهاده، و تصويب اجتهاد عمر بن الخطاب؟! مع أنهم يصرحون في سائر الموارد: بأن اجتهاد النبي «صلى الله عليه وآله» صواب، و كل اجتهاد يخالفه فهو خطأ. .

و لو كان الأمر كما يحلو لهم، فلماذا لم يرسل الله عمر نبياً لهذه الأمة؟! !

و هل يمكن أن يكون الله قد آثر الأخذ بمقالة المعتزلة، فقدم المفضول و هو رسول الله «صلى الله عليه وآله» على عمر الذي كان هو الأفضل؟! !

ألا يعد ذلك من سفه القول، و من سوء التفكير، و من الوسوسات الشيطانية الخبيثة؟! !

د: أراد أن يكتب خلافة أبي بكر:

و لا يكاد ينقضي تعجب من يملك أدنى ذرة من العقل و الإنصاف، من القول المنسوب إلى أهل العلم (!!) عند هؤلاء: أنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يكتب استخلاف أبي بكر. اعتماداً على ما علم من تقدير الله الخ. .

فقد تقدم: أنه كلام باطل من أساسه. . إذ لم يكن ما فعله «صلى الله عليه وآله» في يوم الغدير-و العياذ بالله-سفهاً، و لا كانت أقواله التي تؤكد على

إمامة علي «عليه السلام» بلا معنى، ولم يكن قول عمر: إن النبي ليهجر صحيحا، ولا كان «صلى الله عليه وآله» يهذي منذ بعثه الله رسولا، ومن يوم إنذاره لعشيرته الأقربين، حيث جعل عليا «عليه السلام» أخاه، ووصيه، وخليفته من بعده منذئذ. .

كما أن الله سبحانه لم يكن قد غلبه الوجد حين أنزل: **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَاكِرُونَ (1)**.

ولا كان كذلك حين أنزل آية: **بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ (2)**. وآية: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ (3)**.

وأي نبي هذا الذي يتردد في أعماله؟! ويتراجع عن أقواله. . فيريد أن يكتب كتابا يوقع به التنازع بين أصحابه، ثم يظهر له أن الأصوب هو أن يترك ذلك، لأن الله والمؤمنين يأبون إلا أبا بكر؟! ألم يكن يعرف ذلك من أول الأمر؟! .

إن نسبة ذلك إلى الله وإلى رسوله خروج عن الدين، بلا ريب. . ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك.

ه : لا سنة عند عمر :

و أما ما زعمه البيهقي: من أن الله تعالى قد أكمل دينه، وأنه لا تحدث واقعة إلى يوم القيامة، إلا وفي كتاب الله تعالى وسنة رسوله بيانها نصا أو

ص: 264

1- الآية 55 من سورة المائدة.

2- الآية 67 سورة المائدة.

3- الآية 3 من سورة المائدة.

دلالة. . فيكذبه قول عمر نفسه: «حسبنا كتاب الله» ، حيث إنه استبعد بنفس هذه الكلمة سنة رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، وأسقطها عن أي اعتبار.

و: لا يريد صلى الله عليه وآله كتابة الفقه:

إن قول عمر: «حسبنا كتاب الله» يدل على أنه قد عرف: أن ما يريد أن يقوله النبي «صلى الله عليه وآله» يهدف إلى الحفاظ من الضلال في تعاليم شريعة أكملها الله تعالى. . ولا يريد أن يضيف حكما جديدا إليها لكي يقال: إن الأحكام موجودة في الكتاب والسنة، أو في الكتاب فقط ويمكن استفادتها نصا أو دلالة. . فإن الحافظ للشيء لا يجب أن يكون جزءا منه، بل قد يكون خارجا عنه حافظا له. .

ولم يكن النبي «صلى الله عليه وآله» بصدد كتابة السنة نفسها ولا شيئا يوجب الإرهاق والمشقة على النبي «صلى الله عليه وآله» ، لكي يقول هؤلاء: «وفي نص رسول الله «صلى الله عليه وآله» على جميع ذلك في مرض موته، مع شدة وعكه، مما يشق عليه، فرأى عمر بن الخطاب الإقتصار على ما سبق بيانه، نصا، أو دلالة تخفيفا على رسول الله» .

فإن قولهم هذا يدل على أنهم يريدون الإيحاء لنا: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» أراد أن يكتب الفقه كله أو جله في ذلك الكتاب. وهو على تلك الحال من المرض الشديد. .

مع أن الأمر ليس كذلك، بل هو يريد أن ينص على الحفاظ للكتاب والسنة، والمانع من الضلال، ولعل ذلك لا يتجاوز الثلاث كلمات، فيكتب مثلا: «علي إمامكم (أو وليكم) بعدي» . .

وبذلك يظهر عدم صحة قولهم: إن عمر أراد حفظ فضيلة العلم، والإجتهاد في الاستنباط، وإلحاق الفروع بالأصول.

يضاف إلى ذلك: أن اجتهد المجتهدين، الذين قد يخطئون، وقد يصيبون، ليس من غايات الشريعة المقدسة، ولا هو مما يهتم له النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»، غاية النبي «صلى الله عليه وآله» وكل همه هو إيصال الأحكام الشرعية، وحقائق الدين بعيدا عن الإجمال والإبهام. وأن تكون في منتهى الوضوح، بلا حاجة إلى اجتهد، ولا إلى مجتهدين.

وإنما احتاج الناس إلى هذا الأمر، حين تمردوا على الله ورسوله، ومنعوا الإمام الحافظ للدين، والمبين لأحكامه من أداء المهمات التي أوكلها الله إليه، بعد أن نكثوا بيعتهم له، ومنعوا النبي «صلى الله عليه وآله» من معاودة التأكيد عليهم في شأنه. ثم إنهم أقصوه، ونابذوه وحاربوه، واضطهدوه، هو وكل من يتشيع له، أو يدين بإمامته التي جعلها الله ورسوله له. .

ز: قرينة الترخيص عند المازري:

أما ما ادّعاه المازري: من أن أمر النبي «صلى الله عليه وآله» للصحابة بإحضار الكتف قد قارنه ما نقله عن الوجوب إلى غيره.

فنقول فيه:

أولا: لنفترض صحة ما ذكره المازري، لكن القرينة على عدم الوجوب، لا تنفي ثبوت رجحان تنفيذ مراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

ثانيا: إن القرينة على عدم الوجوب لا- تعني أن يغضبوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، ولا أن يتهموا بالهذيان، ولو على مستوى التعريض والإشارة.

ص: 266

ثالثا: لو كانت هناك قرينة على الترخيص، لكان المفروض أن لا يحصل تنازع بين الحاضرين، فيقول فريق: قربوا للنبي ما طلب، ويقول فريق آخر: القول ما قال عمر، و لكان ينبغي أن يفهم الجميع هذه القرينة، أو أن يحتج بها عمر و مناصروه لإسكات الآخرين. .

رابعا: لو كانت هناك قرينة، فلا معنى لغضب النبي «صلى الله عليه وآله» منهم، حتى قال لهم: «أنتم لا أحلام لكم». . ولا معنى لأن يقول لهم: «قوموا عني»، و لا أن يغضب منهم كما صرح به عدد من النصوص. .

خامسا: إنه لا مجال للترديد في عزم النبي «صلى الله عليه وآله» بأنه إما أن يكون بالوحي أو بالإجتهد، و كذلك تركه. . فإن النبي «صلى الله عليه وآله» ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (1). .

و لو سلم فإن الله قد أمر بطاعته أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ (2) ولم يستثن من وجوب الطاعة ما إذا كان أمره عن اجتهد.

ج: قد يكتب صلى الله عليه وآله ما يعجزون عنه:

و أما ما ادّعاء النووي: من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد يكتب ما يعجزون عنه، فيستحقون العقوبة فمنع عمر له من ذلك كان من قوة فقهه، و دقيق نظره. . فهو أوضح فسادا، و أقبح استنادا، و ذلك لما يلي:

أولا: إن هذا الكلام يدل على أن عمر بن الخطاب كان أصوب رأيا، و أصح نظرا للأمر من رسول الله «صلى الله عليه وآله». . و أن عمر قد

ص: 267

1- الآيتان 3 و 4 من سورة النجم.

2- الآية 59 من سورة النساء.

أدرك بثاقب فكره، ودقيق نظره ما لم يدركه رسول الله «صلى الله عليه وآله» . فكيف جاز صرف النبوة عن صائب الرأي، قوي الفقه، دقيق النظر، إلى من يفقد هذه الصفات، أو يضعف عنه فيها؟ !

ثانيا: هل يظن برسول الله الذي وصفه الله بأنه عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ (1) بأنه يمكن أن يكتب أمورا يعجز المسلمون والمؤمنون عنها؟ !

بل هل يظن بعقل أن يكلف أحدا بما يعجز عنه؟ !

و هل تقبل العقول بالتكليف بغير المقدور؟ !

ثالثا: لو سلمنا بأنه «صلى الله عليه وآله» قد كلفهم بما يعجزون عنه، فهل يجوز على الله أن يعاقبهم على أمر منعهم العجز عن القيام به؟ !
و هل العاجز يستحق العقاب؟ !

ط: النبي صلى الله عليه وآله يصوب عمر فيما قال:

و الأكثر مرارة هنا قولهم: إن ترك النبي «صلى الله عليه وآله» الإنكار على عمر يتضمن الإشارة إلى تصويبه. . فهل يريد هؤلاء من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يقابل الشتيمة بالشتيمة؟ !

و ماذا يمكن أن يقول النبي «صلى الله عليه وآله» لمن يقول له: إنك مجنون؟ !

وقد قالت قريش عنه: إنه كاهن، وساحر، ومجنون، و . . . ولم يجبههم

ص: 268

«صلى الله عليه وآله»، فهل كان سكوته عنهم تصويبا لهم؟ ! أو إشارة إلى ذلك؟ !

ألم يقل النبي «صلى الله عليه وآله» لهم: أنتم لا أحلام لكم؟ !

ألم يطردهم من محضره؟ !

ألم يغضب من قولهم؟ !

أليس هذا كله من تخطئة النبي «صلى الله عليه وآله» لهم؟ !

محاولات البشري باءت بالفشل:

وبعد أن كتبت ما تقدم وجدت العلامة آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين «رحمه الله» قد أورد نصا عن الشيخ سليم البشري، شيخ الأزهر في زمانه، يحاول فيه أن يجد مخرجا لما صدر من عمر بن الخطاب في حق رسول الله «صلى الله عليه وآله» . . مستفيدا من تلك التمحلات نفسها، التي ذكرناها عنهم، وناقشناها فيما سبق، فلما وجد نفسه في مأزق لا يستطيع الخروج منه بادر إلى الإعراف بالعجز تبرئة ساحة المتجربين.

ثم إن السيد شرف الدين قد علق على هذه التمحلات بما لاح له من وجوه الضعف فيها.

فرأيت من المناسب نقل كلام هذين العلمين بعينه، وفقا لما جاء في كتاب النص والاجتهاد، فأقول:

قال الشيخ البشري حسبما أورده عنه السيد شرف الدين في النص والاجتهاد ما يلي:

لعل النبي «عليه السلام» حين أمرهم بإحضار الدواة والبياض لم يكن

قاصدا لكتابة شيء من الأشياء، وإنما أراد بكلامه مجرد اختبارهم لا غير، فهدى الله عمر الفاروق لذلك دون غيره من الصحابة، فمنعهم من إحضارهما، فيجب-على هذا-عد تلك الممانعة في جملة موافقاته لربه تعالى، وتكون من كراماته رضي الله عنه.

قال «رحمه الله»: هكذا أجاب بعض الأعلام (ثم قال): لكن الإنصاف أن قوله «عليه السلام»: لا تضلوا بعده يأبى ذلك، لأنه جواب ثان للأمر، فمعناه: أنكم إن أتيتم بالدواة والبياض، وكتبت لكم ذلك الكتاب لا تضلوا بعده، ولا يخفى أن الإخبار بمثل هذا الخبر لمجرد الإختبار إنما هو من نوع الكذب الواضح، الذي يجب تنزيه كلام الأنبياء عنه، ولا سيما في موضع يكون ترك إحضار الدواة والبياض أولى من إحضارهما.

(قال): على أن في هذا الجواب نظرا من جهات آخر، فلا بد هنا من اعتذار آخر.

قال: وحاصل ما يمكن أن يقال: أن الأمر لم يكن أمر عزيمة وإيجاب، حتى لا تجوز مراجعته، ويصير المراجع عاصيا، بل كان أمر مشورة، وكانوا يراجعونه «عليه السلام» في بعض تلك الأوامر، ولا سيما عمر، فإنه كان يعلم من نفسه أنه موفق للصواب في إدراك المصالح، وكان صاحب إلهام من الله تعالى.

وقد أراد التخفيف عن النبي «صلى الله عليه وآله» إشفاقا عليه من التعب الذي يلحقه بسبب إملاء الكتاب في حال المرض والوجع، وقد رأى رضي الله عنه أن ترك إحضار الدواة والبياض أولى.

وربما خشي أن يكتب النبي «عليه السلام» أمورا يعجز عنها الناس،

فيستحقون العقوبة بسبب ذلك، لأنها تكون منصوبة لا سبيل إلى الإجتهد فيها. ولعله خاف من المنافقين أن يقدحوا في صحة ذلك الكتاب. لكونه في حال المرض، فيصير سببا للفتنة، فقال: حسبنا كتاب الله لقوله تعالى: مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ (1). وقوله: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ (2)، وكأنه رضي الله عنه أمن من ضلال الأمة، حيث أكمل الله لها الدين، وأتم عليها النعمة.

قال «رحمه الله»: هذا جوابهم وهو كما ترى، لأن قوله «عليه السلام»: لا تضلوا، يفيد: أن الأمر أمر عزيمة وإيجاب، لأن السعي فيما يوجب الأمن من الضلال واجب مع القدرة بلا ارتياب، واستياؤه «صلى الله عليه وآله» منهم.

وقوله لهم: قوموا حين لم يمثلوا أمره، دليل آخر على أن الأمر إنما كان للإيجاب لا للمشورة.

قال: (فإن قلت:) لو كان واجبا ما تركه النبي «عليه السلام» بمجرد مخالفتهم، كما أنه لم يترك التبليغ بسبب مخالفة الكافرين.

فالجواب: أن هذا الكلام لو تم فإنما يفيد كون كتابة ذلك الكتاب لم تكن واجبة على النبي بعد معارضتهم له «عليه السلام»، وهذا لا ينافي وجوب الإتيان بالدواة والبياض عليهم حين أمرهم النبي به، وبين لهم أن فائدته الأمن من الضلال، إذ الأصل في الأمر إنما هو الوجوب على المأمور

ص: 271

1- الآية 38 من سورة الأنعام.

2- الآية 3 من سورة المائدة.

لا على الأمر، ولا سيما إذا كانت فائدته عائدة إلى المأمور خاصة، والوجوب عليهم هو محل الكلام، لا الوجوب عليه.

قال: على أنه يمكن أن يكون واجبا عليه أيضا، ثم سقط الوجوب عنه بعدم امتثالهم، وبقولهم: «هجر»، حيث لم يبق لذلك الكتاب أثر سوى الفتنة كما قلت حرسك الله.

قال «رحمه الله»: وربما اعتذر بعضهم: بأن عمر رضي الله عنه و من قالوا يومئذ بقوله لم يفهموا من الحديث أن ذلك الكتاب سيكون سببا لحفظ كل فرد من أفراد الأمة من الضلال على سبيل الاستقصاء، بحيث لا يضل بعده منهم أحد أصلا، وإنما فهموا من قوله: لا تضلوا، أنكم لا تجتمعون على الضلال بقضكم وقضيضكم، ولا تتسرى الضلالة بعد كتابة الكتاب إلى كل فرد من أفرادكم.

و كانوا رضي الله عنهم يعلمون أن اجتماعهم بأسرهم على الضلال مما لا يكون أبدا وبسبب ذلك لم يجدوا أثرا لكتابه، وظنوا أن مراد النبي ليس إلا-زيادة الإحتياط في الأمر لما جبل عليه من وفور الرحمة، فعارضوه تلك المعارضة، بناء منهم أن الأمر ليس للإيجاب، وأنه إنما هو أمر عطف و مرحمة ليس إلا، فأرادوا التخفيف عن النبي بتركه. إشفافا منهم عليه «صلى الله عليه وآله» .

قال: هذا كل ما قيل في الإعتذار عن هذه البادرة، لكن من أمعن النظر فيه جزم ببعده عن الصواب، لأن قوله «عليه السلام»: لا تضلوا، يفيد: أن الأمر للإيجاب كما ذكرنا، واستياؤه منهم دليل على أنهم تركوا أمرا من الواجبات عليهم، وأمره إياهم بالقيام مع سعة ذرعه وعظيم تحمله، دليل

على أنهم إنما تركوا من الواجبات ما هو أوجبها وأشدّها نفعا، كما هو معلوم من خلقه العظيم.

قال: فالأولى أن يقال في الجواب: هذه قضية في واقعة كانت منهم على خلاف سيرتهم كفرطة سبقت، و فلتة ندرت، لا نعرف وجه الصحة فيها على سبيل التفصيل، والله الهادي إلى سواء السبيل.

ثم عقب آية الله السيد شرف الدين «رحمه الله» عليه بما يلي:

«قالوا في الجواب الأول: لعله «صلى الله عليه وآله» حين أمرهم بإحضار الدواة لم يكن قاصدا لكتابة شيء من الأشياء، وإنما أراد مجرد اختبارهم لا غير.

فنقول-مضافا إلى ما أقدّم-: إن هذه الواقعة إنما كانت حال احتضاره -بأبي وأمي- كما هو صريح الحديث، فالوقت لم يكن وقت اختبار، وإنما كان وقت إعدار وإنذار، ونصح تام للأمة، والمحتضر بعيد عن الهزل والمفاكهة، مشغول بنفسه ومهماته ومهمات ذويه، ولا سيما إذا كان نبيا.

وإذا كانت صحته مدة حياته كلها لم تسع اختبارهم، فكيف يسعها وقت احتضاره؟

على أن قوله «صلى الله عليه وآله» -حين أكثروا اللغو واللغط والاختلاف عنده-: «قوموا» ظاهر في استيائه منهم، ولو كان الممانعون مصيبين لاستحسن ممانعتهم، وأظهر الإرتياح إليها.

ومن ألمّ بأطراف هذا الحديث، ولا سيما قولهم: «هجر رسول الله» يقطع بأنهم كانوا عالمين أنه إنما يريد أمرا يكرهونه، ولذا فاجؤوه بتلك الكلمة، وأكثروا عنده اللغو واللغط، والإختلاف، كما لا يخفى.

وبكاء ابن عباس بعد ذلك لهذه الحادثة وعدّها رزية، دليل على بطلان هذا الجواب.

قال المعتذرون: إن عمر كان موقفا للصواب في إدراك المصالح، وكان صاحب إلهام من الله تعالى. وهذا مما لا يصغى إليه في مقامنا هذا، لأنه يرمي إلى أن الصواب في هذه الواقعة إنما كان في جانبه، لا في جانب النبي، وأن إلهامه يومئذ كان أصدق من الوحي الذي نطق عنه الصادق الأمين «صلى الله عليه وآله» .

وقالوا: بأنه أراد التخفيف عنه «صلى الله عليه وآله» إشفاقا عليه من التعب الذي يلحقه بسبب إملاء الكتاب في حال المرض، وأنت تعلم: أن في كتابة ذلك الكتاب راحة قلب النبي، وبرد فؤاده، وقرة عينه، وأمنه على أمته «صلى الله عليه وآله» من الضلال.

على أن الأمر المطاع، والإرادة المقدسة مع وجوده الشريف إنما هما له، وقد أراد-بأبي وأمي-إحضار الدواة والبياض، وأمر به، فليس لأحد أن يرد أمره، أو يخالف إرادته وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قصص الله رسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً (1).

على أن مخالفتهم لأمره في تلك المهمة العظيمة، ولغوهم ولغظهم واختلافهم عنده كان أثقل عليه وأشق من إملاء ذلك الكتاب الذي يحفظ أمته من الضلال، وإذا كان خائفا من المنافقين أن يقدحوا في صحة ذلك

ص: 274

الكتاب، فلماذا بذر لهم بذرة القدح، حيث عارض و مانع وقال: «هجر» ؟ !

و أما قولهم في تفسير قوله: «حسبنا كتاب الله» : إنه تعالى قال: مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ (1)، وقال عز من قائل: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ (2) فغير صحيح، لأن الآيتين لا تفيدان الأمن من الضلال، ولا تضمنان الهداية للناس، فكيف يجوز ترك السعي في ذلك الكتاب اعتمادا عليهما؟ ولو كان وجود القرآن العزيز موجبا للأمن من الضلال، لما وقع في هذه الأمة من الضلال و التفرق ما لا يرجى زواله (3).

وقالوا في الجواب الأخير:

إن عمر لم يفهم من الحديث أن ذلك الكتاب سيكون سببا لحفظ كل

ص: 275

1- الآية 38 من سورة الأنعام.

2- الآية 3 من سورة المائدة.

3- وأنت تعلم أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يقل: أن مرادي أن أكتب الأحكام، حتى يقال في جوابه: حسبنا في فهمها كتاب الله تعالى. ولو فرض أن مراده كان كتابة الأحكام، فلعل النص عليها منه كان سببا للأمن من الضلال، فلا وجه لترك السعي في ذلك النص اكتفاء بالقرآن. بل لو لم يكن لذلك الكتاب إلا الأمن من الضلال بمجرد، لما صح تركه و الإعراض عنه، اعتمادا على أن كتاب الله جامع لكل شيء. وأنت تعلم اضطراب الأمة إلى السنة المقدسة و عدم استغنائها عنها بكتاب الله، وإن كان جامعا مانعا، لأن الاستنباط منه غير مقدور لكل أحد، ولو كان الكتاب مغنيا عن بيان الرسول «صلى الله عليه وآله» لما أمر الله تعالى ببيانه للناس، إذ قال عز من قائل: وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ (منه قدس) .

فرد من أمته من الضلال، وإنما فهم أنه سيكون سببا لعدم اجتماعهم-بعد كتابته-على الضلال.

(قالوا) : وقد علم رضي الله عنه أن اجتماعهم على الضلال مما لا يكون أبدا، كتب ذلك الكتاب أو لم يكتب، ولهذا عارض يومئذ تلك المعارضة.

وفيه مضافا إلى ما أشرتم إليه: أن عمر لم يكن بهذا المقدار من البعد عن الفهم، وما كان ليخفى عليه من هذا الحديث ما ظهر لجميع الناس، لأن القروي والبدوي إنما فهما منه أن ذلك الكتاب لو كتب، لكان علة تامة في حفظ كل فرد من الضلال، وهذا المعنى هو المتبادر من الحديث إلى أفهام الناس.

وعمر كان يعلم أن الرسول «صلى الله عليه وآله» لم يكن خائفا على أمته أن تجتمع على الضلال، إذ كان يسمع قوله «صلى الله عليه وآله» : لا تجتمع أمتي على الضلال، ولا تجتمع على الخطأ، وقوله: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق.

وقوله تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسَّخِرَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا يَسَّخِرُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا [\(1\)](#) إلى كثير من نصوص الكتاب والسنة الصريحة بأن الأمة لا-تجتمع بأسرها على الضلال، فلا يعقل مع هذا أن يسنح في خاطر عمر أو غيره أن النبي «صلى الله عليه وآله» حين طلب الدواة والبياض كان خائفا من

ص: 276

اجتماع أمته على الضلال.

والذي يليق بعمر: أن يفهم من الحديث ما يتبادر منه الأذهان، لا ما تنفيه صحاح السنة، و محكمات القرآن.

على أن استياء النبي «صلى الله عليه وآله» منهم المستفاد من قوله: «قوموا» دليل على أن الذي تركوه كان من الواجب عليهم.

ولو كانت معارضة عمر عن اشتباه منه في فهم الحديث كما زعموا، لأزال النبي «صلى الله عليه وآله» شبهته. وأبان لهم مراده منه.

بل لو كان في وسع النبي أن يقنعهم بما أمرهم به لما أثر إخراجهم عنه.

وبكاء ابن عباس و جزعه من أكبر الأدلة على ما نقول.

و الإنصاف: أن هذه الرزية لمما يضيق عنها نطاق العذر، ولو كانت-كما ذكرتم-قضية في واقعة، كفلتة سبقت، وفرطة ندرت، لهان الأمر، وإن كانت بمجرد بائقة الدهر، وفاقة الظهر.

والحق أن المعارضين إنما كانوا ممن يرون جواز الإجتهد في مقابل النص، فهم في هذه المعارضة و أمثالها إذا مجتهدون، فلهم رأيهم، و لله تعالى رأيه؟ (1).

ص: 277

صلاة أبي بكر في الروايات:

هناك روايات عديدة، متناقضة جدا تتحدث عن صلاة أبي بكر بالناس، ونحن نورد هنا عمدتها مما روي في كتب الصحاح وغيرها. . و نذكر منها ما يلي:

عن أنس: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يخرج ثلاثا وأبو بكر يصلي بالناس، وأن الناس بينما هم في صلاة الفجر من يوم الإثنين وأبو بكر يصلي لهم، لم يفجأهم إلا رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد كشف ستر حجرة عائشة، فنظر إليهم وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، فما رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» أحسن هيئة منه في تلك الساعة، وكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهم صفوف في الصلاة، ثم تبسم يضحك.

فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، فظن أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يريد أن يخرج إلى الصلاة.

قال أنس: وهم المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحا برسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأشار إليهم أن أتموا صلاتكم، فقال:

«أيها الناس، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة، يراها

المسلم أو ترى له، ألا- وإني نهيت أن أقرأ راعيا أو ساجدا، فأما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم» .

ثم دخل الحجرة، وأرخى الستر، فتوفي من يومه ذلك (1).

وفي نص آخر عنه: وتوفي من آخر ذلك اليوم (2).

ونقول:

قد ذكرنا هذه الرواية في فاتحة الكلام عن صلاة أبي بكر، لأنها تضمنت صورة مخففة عن موضوع الصلاة، وأشارت إلى أمور عديدة كلها موضع

ص: 282

1- سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 305 عن البخاري، ومسلم، والبيهقي، والبلاذري، وابن حجر، وابن سعد. وراجع: المحلى لابن حزم ج 4 ص 239 والبحار ج 28 ص 144 وصحيح البخاري ج 2 ص 60 وصحيح البخاري ج 5 ص 141 وفتح الباري ج 8 ص 109 وعمدة القاري ج 7 ص 280 وج 18 ص 69 وصحيح ابن خزيمة ج 3 ص 75 وصحيح ابن حبان ج 14 ص 587 و 588 و التمهيد لابن عبد البر ج 24 ص 394 وشرح مسند أبي حنيفة ص 58 والثقات لابن حبان ج 2 ص 130.

2- سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 246 و 305 عن البخاري، ومسلم، والبيهقي، والبلاذري، وابن حجر، وابن سعد. وراجع: صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج 1 ص 183 و سنن النسائي ج 4 ص 7 والبحار ج 28 ص 144 وفتح الباري ج 8 ص 110 وعمدة القاري ج 6 ص 3 و السنن الكبرى ج 1 ص 602 وج 4 ص 261 وكتاب الوفاة للنسائي ص 56 و مسند أبي يعلى ج 6 ص 285 والطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 216 وسير أعلام النبلاء ج 10 ص 620 و البداية و النهاية ج 5 ص 275 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 506.

شك وريب، مثل: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان صباح يوم الإثنين في حجرة عائشة.

كما أنها لم تشر إلى عزل النبي «صلى الله عليه وآله» لأبي بكر عن هذه الصلاة بالذات، كما سيأتي في الروايات الصحيحة إن شاء الله تعالى.

وتضمنت أيضا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» نظر إلى المصلين و هو قائم، مع أنه سيأتي أن رجلين قد حملاه إلى المصلى، ورجلاه تخطان في الأرض.

كما أن هذه الرواية لم تذكر إن كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي أمر أبا بكر بالصلاة، أم أن الذي أمره بها شخص آخر، و لكنها تدل على رضا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بصلاة أبي بكر. . وأن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يشارك في الصلاة، وأن هذا الذي جرى قد كان يوم الإثنين، و هو يوم وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» . .

وزعمت: أن أبا بكر قد صلى بالناس ثلاثة أيام.

وقد يستشعر من هذه الرواية أيضا أن أبا بكر قد صلى ثلاثة أيام من دون علم رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

ولكن سيأتي أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد عزل أبا بكر عن هذه الصلاة بالذات، فإن كان أبو بكر قد صلى بالناس ثلاثة أيام، فلعله لعدم علم النبي «صلى الله عليه وآله» بالأمر.

وسيأتي المزيد من المناقشات لمضامين هذه الرواية و أمثالها، فانتظر. .

1-عن عائشة: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمر أبا بكر أن يصلي بالناس قائما، والناس خلفه (1).

2-وعن ابن عباس قال: ابعثوا إلى علي، فادعوه.

فقال عائشة: لو بعثت إلى أبي بكر.

وقالت حفصة: لو بعثت إلى عمر.

فاجتمعوا عنده جميعا، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: انصرفوا فإن تك لي حاجة أبعث إليكم، فانصرفوا.

وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن الصلاة؟!

قيل: نعم.

قال: فأمر أبا بكر ليصلي بالناس.

فقال عائشة: إنه رجل رقيق فمر عمر.

فقال: مروا عمر.

فقال عمر: ما كنت لأتقدم وأبو بكر شاهد.

فتقدم أبو بكر، ووجد رسول الله «صلى الله عليه وآله» خفة، فخرج

ص: 284

1- مسند أحمد ج 6 ص 249 وآفة أصحاب الحديث ص 85. والرسالة الشافعي ص 253 وفتح العزيز للرافعي ج 4 ص 320 والإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع للشرييني ج 1 ص 153 وكشاف القناع للبهوتي ج 1 ص 580 وكنز العمال ج 15 ص 747 وشرح مسلم للنووي ج 4 ص 133 وعون المعبود ج 2 ص 219 والإستذكار لابن عبد البر ج 2 ص 173 والتمهيد لابن عبد البر ج 6 ص 140 و نصب الراية للزيلعي ج 2 ص 58 والجامع لأحكام القرآن ج 3 ص 218.

فلما سمع أبو بكر حركته تأخر الخ. (1).

3-عن إبراهيم بن الأسود عن عائشة قالت: لما ثقل رسول الله «صلى الله عليه وآله» جاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس.

قالت: فقلت: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس (من البكاء)، فلو أمرت عمر.

فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس.

قالت: فقلت لحفصة: قولي له.

فقلت له حفصة: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس (من البكاء) فلو أمرت عمر.

فقال: إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس.

قالت: فأمرنا أبا بكر يصلي بالناس، فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله «صلى الله عليه وآله» من نفسه خفة، فقام يهادي بين رجلين، ورجلاه تخطان في الأرض حتى دخل المسجد.

فلما سمع أبو بكر حسه ذهب ليتأخر، فأومأ إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن قم كما أنت.

فجاء رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى جلس عن يسار أبي بكر، وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يصلي بالناس قاعداً، وأبو بكر قائماً،

ص: 285

1- تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 439 و شرح النهج للمعتزلي ج 13 ص 33 و 35 و مناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرازي ص 397 و سفينة النجاة للسراي التكايني ص 149.

يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والناس يقتدون بصلاة أبي بكر. . وقريب منه عن عائشة (1).

زاد في نص آخر مروي عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة قوله: فدخلت على ابن عباس، فعرضت حديثها عليه، فما أنكر منه شيئاً، غير أنه قال: أَسَمْتَ لك الرجل الذي كان مع العباس؟!

قال: لا.

قال: هو علي بن أبي طالب (2).

ص: 286

-
- 1- مسند أحمد ج 6 ص 224 وعن صحيح البخاري ج 1 ص 182 و 183 و (ط دار الفكر) ج 1 ص 162 و 175 و صحيح مسلم ج 2 ص 23 كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر، وآفة أصحاب الحديث ص 57 و 58 و 59 و سبل الهدى و الرشاد ج 12 ص 244 و 245 و المجموع للنووي ج 4 ص 241 و المبسوط للسرخسي ج 1 ص 214 و بدائع الصنائع ج 1 ص 142 و البحار ج 28 ص 137 عن جامع الأصول، و ص 138 عن البخاري، و مسند أحمد ج 6 ص 210 و 224 و سنن ابن ماجه ج 1 ص 389 و سنن النسائي ج 2 ص 100 و السنن الكبرى للبيهقي ج 2 ص 304 و ج 3 ص 81 و 94 و عمدة القاري ج 5 ص 186 و 248 و 250 و مسند ابن راهويه ج 3 ص 831 و السنن الكبرى للنسائي ج 1 ص 293 و صحيح ابن خزيمة ج 3 ص 53 و شرح معاني الآثار ج 1 ص 406 و صحيح ابن حبان ج 5 ص 485 و 489 و 495 و ج 15 ص 292 و كنز العمال ج 5 ص 634.
- 2- آفة أصحاب الحديث ص 58 و 59 و 85 و البخاري ج 1 ص 175 و (ط دار الفكر) ج 1 ص 169 و صحيح مسلم ج 2 ص 21 و سنن النسائي ج 2 ص 102 و السنن الكبرى للبيهقي ج 3 ص 81 و ج 8 ص 151 و معرفة السنن والآثار ج 2 ص 359 و نصب الراية للزيلعي ج 2 ص 52 و إمتاع الأسماع ج 14 ص 455 و مسند ابن راهويه ج 2 ص 505 و البحار ج 28 ص 142 عن جامع الأصول ج 11 ص 382-383 و سنن الدارمي ج 1 ص 288 و سفينة النجاة للسرابي التنكابني ص 148 و 149.

4- وفي لفظ عن عائشة: علمت أنه لن يقوم مقامه أحد إلا تشاءم الناس به، فأحبت أن يعدل ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن أبي بكر إلى غيره، فأرسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أبي بكر بأن يصلي بالناس.

و كان أبو بكر رجلاً رقيقاً، إذا قرأ القرآن لا يملك دمعته من البكاء.

فقال: يا عمر صلّ بالناس.

قال: أنت أحق بذلك.

فصلى بهم تلك الأيام.

ثم إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» وجد خفة، فخرج يهادي بين رجلين، أحدهما العباس لصلاة الظهر، كأني أنظر إلى رجله يخطان الأرض من الوجع.

فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأوماً إليه أن لا يتأخر، وأمرهما فأجلساه إلى جنب أبي بكر عن يساره، فأخذ النبي «صلى الله عليه وآله» من حيث الآية التي انتهى أبو بكر إليها فقرأ، فجعل أبو بكر يصلي قائماً ورسول الله «صلى الله عليه وآله» يصلي قاعداً (1).

ص: 287

1- سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 245 و البداية و النهاية ج 5 ص 254 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 462 و نيل الأوطار ج 1 ص 306 و الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف للسيد ابن طاووس ص 228 و البحار ج 28 ص 141 و مسند أحمد ج 2 ص 52 و ج 6 ص 251 و سنن الدارمي ج 1 ص 287 و صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج 1 ص 168 و صحيح مسلم ج 2 ص 21 و سنن النسائي ج 2 ص 101 و السنن الكبرى للبيهقي ج 3 ص 80 و ج 8 ص 151 و عمدة القاري ج 5 ص 215 و المصنف لابن أبي شيبة ج 2 ص 229 و ج 8 ص 569 و مسند ابن راهويه ج 2 ص 504 و السنن الكبرى للنسائي ج 1 ص 293 و ج 4 ص 255 و كتاب الوفاة للنسائي ص 29 و صحيح ابن حبان ج 5 ص 481 و معرفة السنن والآثار ج 2 ص 358 و نصب الراية ج 2 ص 52 و كنز العمال ج 7 ص 267 و شرح مسند أبي حنيفة ص 101 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 218 و الثقات لابن حبان ج 2 ص 132 و البداية و النهاية لابن كثير ج 5 ص 254 و إمتاع الأسماع ج 14 ص 454 و 463 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 462.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 12 ص 245 و المجموع للنووي ج 4 ص 266 و الشرح الكبير لابن قدامة ج 2 ص 46 و بدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني ج 1 ص 142 و المغني لابن قدامة ج 2 ص 48 و نيل الأوطار ج 1 ص 306 و ج 3 ص 184 و الإفصاح للشيخ المفيد ص 205 و الطرائف لابن طاووس ص 228 و البحار ج 28 ص 136 و 137 و 141 و 165 و 362 و مسند أحمد ج 6 ص 251 و سنن الدارمي ج 1 ص 288 و صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج 1 ص 162 و 167 و صحيح مسلم ج 2 ص 21 و 24 و سنن ابن ماجه ج 1 ص 390 و سنن النسائي ج 2 ص 102 و السنن الكبرى للبيهقي ج 3 ص 80 و 82 و فتح الباري ج 2 ص 130 و 171 و عمدة القاري ج 5 ص 187 و 207 و تحفة الأحوذى ج 2 ص 296 و المصنف لابن أبي شيبة ج 2 ص 229 و ج 8 ص 569 و مسند ابن راهويه ج 2 ص 110 و 504 و السنن الكبرى للنسائي ج 1 ص 293 و مسند أبي يعلى ج 3 ص 438 و صحيح ابن حبان ج 5 ص 481 و التمهيد لابن عبد البر ج 6 ص 145 و ج 22 ص 317 و 321 و المواقف للإيجي ج 3 ص 610 و صحيح ابن حبان ج 5 ص 486 و ج 14 ص 567 و 568 و نصب الراية ج 2 ص 52 و 53 و 56 و موارد الظمان ج 2 ص 61 و كنز العمال ج 7 ص 268 و شرح مسند أبي حنيفة ص 101 و العلل ج 3 ص 311 و الثقات ج 2 ص 132 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 218 و معرفة السنن والآثار ج 2 ص 359 و الإستذكار لابن عبد البر ج 2 ص 173 و تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج 3 ص 443 و ج 9 ص 187 و تاريخ مدينة دمشق ج 20 ص 166 و الكامل في التاريخ ج 2 ص 322 و البداية و النهاية ج 5 ص 253 و 254 و إمتاع الأسماع ج 14 ص 463 و الإستغاثة لأبي القاسم الكوفي ج 2 ص 15 و ج 4 ص 460 و 463 و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 465.

5- وعن عبيد بن عمير: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما فرغ من الصلاة يوم صلى قاعدا عن يمين أبي بكر قال: وأقبل عليهم فكلّمهم رافعا صوته حتى خرج صوته من باب المسجد: يا أيها الناس سعرت النار الخ. .

إلى أن قال: قال أبو بكر: يا رسول الله، إني أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما تحب، و اليوم يوم بنت خاتمة؟ !

قال: نعم.

ثم دخل رسول الله «صلى الله عليه وآله» و خرج أبو بكر إلى أهله بالسنة (1).

ص: 289

1- سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 245 عن ابن إسحاق، وابن سعد، والبلاذري، و تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 440 و السيرة الحلبية ج 3 ص 467 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 ق 2 ص 62 و السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 1068 و راجع: إمتاع الأسماع ج 14 ص 475.

6- وعن عائشة قالت: صلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» خلف أبي بكر قاعدا في مرضه الذي مات فيه (1).

7- ونص آخر عن ابن عباس:

لما مرض رسول الله «صلى الله عليه وآله» مرضه الذي مات فيه كان في بيت عائشة، فقال: ادعوا لي عليا.

قالت عائشة: ندعو لك أبا بكر.

قال: ادعوه.

قالت حفصة: يا رسول الله، ندعو لك عمر.

قال: ادعوه.

ص: 290

1- سبل الهدى والرشاد ج 8 ص 194 و ج 12 ص 245 عن أحمد، والنسائي، والبيهقي، والترمذي وصححه، والمغني لابن قدامة ج 2 ص 49 و تنوير الحوالك ص 59 و الشرح الكبير لابن قدامة ج 2 ص 49 و نيل الأوطار ج 3 ص 207 و البحار ج 28 ص 142 و حاشية السندي على النسائي ج 2 ص 100 و عمدة القاري ج 5 ص 187 و مسند أحمد ج 3 ص 243 و ج 6 ص 159 و سنن الترمذي ج 1 ص 226 و تحفة الأحوذى ج 2 ص 296 و نصب الراية ج 2 ص 56 و الإحكام لابن حزم ج 4 ص 484 و تاريخ بغداد ج 2 ص 36 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 464 و البداية والنهاية ج 5 ص 254 و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 465.

قالت أم الفضل: يا رسول الله، ندعو لك العباس.

قال: ادعوه.

فلما اجتمعوا رفع رأسه فلم ير عليا، فسكت.

فقال عمر: قوموا عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» (1).

فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: مروا أبا بكر يصلي بالناس.

فقالت عائشة: إن أبا بكر رجل حصر، ومتى ما لا يراك الناس ييكون، فلو أمرت عمر يصلي بالناس.

فخرج أبو بكر فصلى بالناس. ووجد النبي «صلى الله عليه وآله» من نفسه خفة، فخرج يهادي بين رجلين ورجلاه تخطان في الأرض، فلما رآه الناس سبحوا أبا بكر، فذهب يتأخر، فأولمأ إليه. أي مكانك.

فجاء النبي «صلى الله عليه وآله» حتى جلس.

قال: وقام أبو بكر عن يمينه. وكان أبو بكر يأتهم بالنبي «صلى الله عليه وآله»، وكان الناس يأتهم بأي بكر (2).

قال ابن عباس: وأخذ النبي «صلى الله عليه وآله» من القراءة من حيث بلغ أبو بكر (3).

ص: 291

1- المناقب لابن شهر آشوب ج 1 ص 203 والبحار ج 22 ص 521 عنه.

2- مسند أحمد ج 1 ص 356 وآفة أصحاب الحديث ص 60 ولكنه اختصره، و سنن ابن ماجه ج 1 ص 391 و تاريخ مدينة دمشق ج 8 ص 18 وراجع: شرح معاني الآثار ج 1 ص 405.

3- مسند أحمد ج 1 ص 355 و 356 وفتح الباري ج 2 ص 145 و المصنف لابن أبي شيبة ج 2 ص 99 و نيل الأوطار ج 2 ص 232 و سنن ابن ماجه ج 1 ص 391 وعمدة القاري ج 4 ص 107 و نصب الراية ج 2 ص 59 والطبقات الكبرى لابن سعد ج 3 ص 183.

ونقول:

إن لنا مع النصوص المتقدمة، وقفات عديدة، سنكتفي منها بالأمور التالية:

في بيت عائشة:

ذكرت الرواية، المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» مرض في بيت عائشة. ونحن لا نمانع في أن يكون مرضه قد ابتدأ في حجرة عائشة، ولكن لا-ريب في أنه «صلى الله عليه وآله» قد انتقل منها إلى بيت فاطمة «عليها السلام» ، ووافته المنية هناك وفيه دفن، لا في بيت عائشة، وستأتي الأدلة على أن هذا هو الصحيح، وأنه لا صحة لما يزعمونه: من أنه «صلى الله عليه وآله» قد مات ودفن في بيت عائشة. .

أبو بكر أسيف لا يسمع الناس:

ثم إننا لا ندري متى كان من شرط الجماعة أن يسمع الإمام الناس. . ولذلك لم نستطع أن نفهم مراد عائشة من اعتراضها على رسول الله «صلى الله عليه وآله» : بأن أبا بكر رجل أسيف، لا يسمع الناس. .

إمامان لجماعة واحدة:

لقد اختلفت كلمة فقهاء العامة حول إمامة القائم بالقاعد و الصحيح بالمريض اختلافا كبيرا، و تفاوتت النقول عن كل فريق منهم بين مؤيد

و مفند، و لا نريد الدخول في تفاصيل ذلك، بل نكتفي ببعض منه، فقد قال ابن الجوزي كما أحمد بن حنبل، و كذلك الأحناف و المالكية: إن النبي «صلى الله عليه و آله» كان إماماً لأبي بكر، و أبو بكر كان الإمام للمسلمين، و لعله لأجل ذلك جلس النبي «صلى الله عليه و آله» على يسار أبي بكر. فحصلت الصلاة بإمامين كما جاء في رواية ابن عباس.

أما الشافعي و الشافعية، فقالوا: كان الإمام واحداً، و هو رسول الله «صلى الله عليه و آله» دون سواه، أما أبو بكر فكان مأموماً، و لم يكن إماماً لأحد (1).

قال ابن عبد البر: «و هذه المسألة فيها للعلماء أقوال.

أحدها: قول أحمد بن حنبل و من تابعه، تجوز صلاة الصحيح جالساً خلف الإمام المريض جالساً، لقوله «عليه السلام»: و إذا صلى جالساً، فصلوا جلوساً.

و الثاني: قول الشافعي، و أبي حنيفة، و أبي يوسف، و زفر، و الأوزاعي، و أبي ثور و داود: جائز أن يقتدي القائم بالقاعد في الفريضة و غيرها، لأن على كل واحد أن يصلي كما يقدر عليه، و لا يسقط فرض القيام عن المأموم الصحيح لعجز إمامه عنه.

وقد روى الوليد بن مسلم عن مالك مثل ذلك.

و الثالث: قول مالك في المشهور عنه و عن أصحابه: أنه ليس لأحد أن يؤم جالساً و هو مريض بقوم أصحاء قيام و لا قعود، و هو مذهب محمد بن

ص: 293

الحسن، صاحب أبي حنيفة، فإن صلوا قياما خلف إمام مريض جالس فعليهم عند مالك الإعادة.

قيل عنه: في الوقت.

وقيل: أبدا.

قال سحنون: اختلف قول مالك في ذلك، و من أصحاب مالك من قال: يعيد الإمام المريض معهم، وأكثرهم على أنهم يعيدون دونه.

وقال مالك والحسن بن حي، والثوري، ومحمد بن الحسن في قائم اقتدى بجالس، أو جماعة صلوا قياما خلف إمام جالس مريض إنها تجزيه ولا تجزيهم» (1).

و لو صح ما يذكرونه عن صلاة أبي بكر و النبي «صلى الله عليه وآله» لما اختلفت أقوالهم في هذه المسألة.

فإن قيل: للنبي «صلى الله عليه وآله» خصوصية في هذا الأمر.

فالجواب: أنه قد كان يجب بيان هذه الخصوصية من قبل النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه حتى لا يقع الناس في الوهم والاختلاف في مسألة فقهية يبتلى بها الناس بعده.

أيهما الإمام؟! :

وقد ذكرت بعض روايات صلاة أبي بكر بالناس: أن أبا بكر قد صلى بصلاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» و صلى الناس بصلاة أبي بكر.

ص: 294

و حيث إنه لم يظهر لنا وجه مقنع لهذا التصوير. فإننا نذكر القارئ الكريم بما يلي:

ألف: إن هذا مجرد اجتهد من الراوي لم يرد عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما يؤيده، ولا يبين وجهه لنا أحد من علماء الصحابة. و لا أقره أحد من أهل بيت النبوة «صلوات الله وسلامه عليهم» الذين هم أحد الثقلين اللذين لا يضل من تمسك بهما، و لا حجة للاجتهد في مثل هذه الأمور، التي هي من موارد التعبد بالنص، و الإنتهاء إليه.

ب: إن كان أبو بكر هو الإمام، و كان النبي «صلى الله عليه وآله» مأموما، فمعنى ذلك أن أبا بكر لم يصلّ بصلاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل كان الأمر على عكس ذلك. . و هذا يتناقض مع الروايات التي صرحت بذلك. .

و إن كان الإمام هو النبي «صلى الله عليه وآله»، فمعنى ذلك أن الناس لم يكونوا قد صلوا بصلاة أبي بكر، بل صلوا بصلاة النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه.

و حاول بعضهم أن يدّعي أن الناس قد اقتدوا بأبي بكر، بمعنى أنهم تحركوا بحركته، لأنهم كانوا لا يرون حركة رسول الله «صلى الله عليه وآله» في ركوعه و سجوده، و سائر أفعاله، لأنه كان يصلي جالسا بسبب مرضه.

و هي دعوى غير مقبولة، فإن المفروض هو أن المشاركين في الجماعة كانوا قلة قليلة جدا، لأن معظم الناس القادرين على حمل السلاح كانوا في جيش أسامة، و من الواضح: أن الصف الأمامي، و بعض من في الصف الذي بعده كان يرى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، و يتحرك بحركته،

فلماذا خص الرواة أبا بكر بكونه وحده كان يرى حركة رسول الله «صلى الله عليه وآله» ؟ ! وجعلوه هو المحور لحركة غيره دون سواه ! ! مع أن الأمر لا يحتاج إلى ذلك من الأساس . فقد كان باستطاعة كل المشاركين بالصلاة أن يتحركوا بحركة الصف الأول كله.

تناقض روايات صلاة أبي بكر:

وقد ادّعى نعيم بن أبي هند: أن الأخبار التي وردت في هذه القصة كلها صحيحة، وليس فيها تعارض (1).

ونقول:

بل الأمر على عكس ذلك تماما، فإن روايات صلاة أبي بكر قد جاءت كثيرة التناقض، وقد ذكر العلامة المظفر طائفة من تناقضاتها، ونحن تقتصر على ما ذكره «رحمه الله» وإن كان لنا تحفظ على موارد يسيرة جدا منه، والموارد التي ذكرها هي التالية:

1- (في علاقة عمر بالصلاة) ، يذكر بعضها أن النبي قال: «مروا عمر» بعد مراجعة عائشة عن أبيها، فأبى عمر و تقدم أبو بكر (2).

وبعضها ذكر: أنه «صلى الله عليه وآله» ابتداء أمر عمر، فقال عمر لبلال: قل له إن أبا بكر على الباب. و حينئذ أمر أبا بكر (3).

وبعضها ذكر: أن أول من صلى عمر بغير إذن النبي، فلما سمع «صلى

ص: 296

1- راجع: عمدة القاري ج 5 ص 191.

2- تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 439 وراجع المصادر المتقدمة.

3- السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 462.

اللّٰه عليه وآله» صوته قال: «يأبى اللّٰه ذلك و المؤمنون» (1).

وفي بعضها: أنه أمر أبا بكر أن يصلي نفس الصلاة التي صلاها عمر بالناس (2).

وفي بعضها: صلى عمر، و كان أبو بكر غائبا (3).

وفي بعضها: أن النبي أمر أبا بكر، و أبو بكر قال لعمر: صلّ بالناس، فامتنع (4).

2- (في من أمره النبي ليأمر أبا بكر)، فبعضها تذكر عائشة (5).

وبعضها: بلالا (6).

وبعضها: عبد الله بن زمعة (7).

3- (فيمن راجعه في أمر أبي بكر)، فبعضها تذكر أن عائشة وحدها راجعته ثلاث مرات أو أكثر (8).

وبعضها تذكر: أن عائشة راجعته، ثم قالت لحفصة فراجعته مرة أو

ص: 297

1- سبل الهدى والرشاد ج 11 ص 175.

2- السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 1066.

3- مسند أحمد ج 4 ص 322.

4- فتح الباري ج 11 ص 51.

5- كنز العمال ج 7 ص 266.

6- سنن أبي داود ج 1 ص 214.

7- المواقف للإيجي ج 3 ص 631.

8- بدائع الصنائع ج 1 ص 142 و مسند أحمد ج 6 ص 34.

مرتين، فلما زجرها النبي قالت لعائشة: «ما كنت لأصيب منك خيراً» (1).

4- (في الصلاة المأمور بها)، فبعضها يخصها بصلاة العصر (2).

وبعضها: بصلاة العشاء (3).

و الثالث: بصلاة الصبح (4).

5- (في خروج النبي)، فبعضها تذكر: أنه «صلى الله عليه وآله» خرج وصلى (5).

وأخرى تقول: أخرج رأسه من الستار والناس خلف أبي بكر، ثم ألقى الستار ولم يصل معهم (6).

6- (في كيفية صلاة النبي بعد الخروج)، فيذكر بعضها: أنه ائتم بأبي بكر، بعد أن دفع في ظهره، ومنعه من التأخر (7).

وبعضها: أن أبا بكر تأخر و ائتم بالنبي «صلى الله عليه وآله» (8).

وبعضها: أن أبا بكر صلى بصلاة النبي، والناس بصلاة أبي بكر (9).

ص: 298

1- صحيح البخاري ج 1 ص 165.

2- سنن أبي داود ج 1 ص 214.

3- صحيح البخاري ج 1 ص 168.

4- مجمع الزوائد ج 1 ص 330.

5- مسند أحمد ج 1 ص 356.

6- مسند أبي يعلى ج 6 ص 250.

7- السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 1068.

8- مسند أحمد ج 5 ص 336.

9- عمدة القاري ج 5 ص 215.

وبعضها: أن النبي ابتداءً بالقراءة من حيث انتهى أبو بكر (1).

7- (في جلوس النبي إلى جنب أبي بكر) فبعضها تذكر جلوسه إلى يساره (2).

وبعضها: إلى يمينه (3).

8- (في مدة صلاة أبي بكر)، فبعضها: تجعلها طيلة مرض النبي (4).

و أخرى: تخصها بسبع عشرة صلاة (5).

و ثالثة: بثلاثة أيام (6).

و رابعة: بستة (بسبعة) (7).

و يظهر من بعضها أنه صلى صلاة واحدة (8).

9- (في وقت خروج النبي إلى الصلاة)، فبعضها صريحة في: أنه خرج

ص: 299

-
- 1- مسند أحمد ج 1 ص 355 و 356 وفتح الباري ج 2 ص 145 و المصنف لابن أبي شيبة ج 2 ص 99 و نيل الأوطار ج 2 ص 232 و سنن ابن ماجه ج 1 ص 391 و عمدة القاري ج 4 ص 107 و نصب الراية ج 2 ص 59 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 3 ص 183.
 - 2- مسند أحمد ج 1 ص 231.
 - 3- مسند أحمد ج 1 ص 356.
 - 4- كتاب الأم الشافعي ج 7 ص 210.
 - 5- تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 440.
 - 6- الكامل في التاريخ ج 2 ص 322.
 - 7- أسد الغابة ج 4 ص 68.
 - 8- عمدة القاري ج 5 ص 216.

لنفس الصلاة التي كان قد أمر بها أبا بكر حسب زعمهم (1).

وفي بعضها: أنه خرج لصلاة الظهر بعد صلاة أبي بكر أياما (2).

وبعضها: صريح بخروجه لصلاة الصبح (3).

وهذه الاختلافات كما رأيت في جوهر الحادثة. ولم يظهر من الأخبار تعدد أمر النبي له بالصلاة، ولا تعدد خروجه.

إلى أن قال:

«ولعل أبا بكر كان مخدوعا في تبليغه أمر النبي، كما جاء في الحديث: أن عبد الله بن زمعة خدع عمر بن الخطاب، فبلغه أمر النبي له بالصلاة.

و أحسب أن أصل الواقعة أن النبي «صلى الله عليه وآله» أمر الناس بالصلاة لما تعذر عليه الخروج، من دون أن يخص أحدا بالتقديم، فتصرف متصرف، و تأول متأول.

ولما بلغ ذلك أسمع النبي التجأ أن يخرج يتهادى بين رجلين ورجلاه تخطان الأرض من الوجد، فصلى بالناس جالسا صلاة المضطرين، ليكشف للناس هذا التصرف الذي استبد به عليه» (4).

أو ليكشف للناس أن من تصدى للصلاة لم يكن جامعا لشرائطها المقررة في الشرع الشريف.

وربما يكون النبي «صلى الله عليه وآله» لم يأمر بالصلاة أصلا، فضلا

ص: 300

1- صحيح البخاري ج 1 ص 162.

2- صحيح البخاري ج 1 ص 168.

3- كتاب الأم للشافعي ج 1 ص 99.

4- السقيفة ص 52-54 و (نشر مؤسسة أنصاريان) ص 56-58 بتصرف يسير.

عن أن يكون قد سمي أحدا لها، فاعتنم البعض الفرصة ليوهم الناس: أن فلانا بعينه هو المرضي بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فخرج النبي «صلى الله عليه وآله» بنفسه لينقض هذا التصرف منهم. .

صلاة أبي بكر و الخلافة:

وروى البلاذري عن علي بن أبي طالب «عليه السلام» قال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يمت فجأة، كان بلال يأتيه في مرضه فيؤذنه بالصلاة، فيأمر أبا بكر أن يصلي بالناس، وهو يرى مكاني، فلما قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله» رأوا أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد ولاه أمر دينهم، فولوه أمر دنياهم (1).

وروى البلاذري عنه قال: لما قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله» نظرنا في أمرنا، فوجدنا النبي «صلى الله عليه وآله» قد قدم أبا بكر في الصلاة، فرضينا لدنيانا من رضيه رسول الله «صلى الله عليه وآله» لدينا، فقدمنا أبا بكر، ومن ذا كان يؤخره عن مقام أقامه رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيه؟! (2).

ص: 301

1- سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 316 عن البلاذري، وكنز العمال ج 11 ص 328 و تاريخ مدينة دمشق ج 42 ص 441 و 443 و راجع: السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 490.

2- سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 316 عن البلاذري، والتمهيد لابن عبد البر ج 22 ص 129 والغدير ج 8 ص 36 عن الرياض النضرة ج 1 ص 150 والوافي بالوفيات ج 17 ص 166 و راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج 3 ص 183 و تاريخ مدينة دمشق ج 30 ص 265.

وروى الحسن البصري عن قيس بن عباد قال: قال علي بن أبي طالب صلوات الله عليه: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» مرض ليالي و أياما ينادى بالصلاة، فيقول: مروا أبا بكر يصلي بالناس.

فلما قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله» نظرت، فإذا الصلاة علم الإسلام، وقوام الدين، فرضينا لدنيانا من رضي رسول الله «صلى الله عليه وآله» لديننا، فبايعنا أبا بكر (1).

وروى البلاذري عن أبي الجحاف قال: لما بويع أبو بكر، وبايعه الناس، قام ينادي ثلاثا: أيها الناس قد أفلتكم بيعتكم.

فقال علي: والله لا نقيلك ولا نستقيلك، قدمك رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الصلاة، فمن ذا يؤخرك؟! (2).

وروى البلاذري -بسند جيد-: أن عمر بن عبد العزيز بعث ابن الزبير الحنظلي إلى الحسن، فقال له: هل كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» استخلف أبا بكر؟

فقال الحسن: أو في شك؟! صاحبك والله الذي لا إله إلا هو، استخلفه

ص: 302

1- الإستيعاب (ط دار الجيل) ج 3 ص 971 و البحار ج 28 ص 146 عنه، و التمهيد لابن عبد البر ج 22 ص 129 و الغدير ج 8 ص 36.

2- سبل الهدى و الرشاد ج 12 ص 317 عن البلاذري، و الجامع لأحكام القرآن ج 1 ص 272 و كنز العمال ج 5 ص 657 و أضواء البيان للشنقيطي ج 1 ص 31 و العثمانية ص 235 و راجع: عيون أخبار الرضا «عليه السلام» للصدوق ج 1 ص 201 و البحار ج 31 ص 621 و ج 49 ص 192.

حين أمره بالصلاة دون الناس، وهو كان أتقى لله من أن يتوثب عليها (1).

وروى البلاذري عن إبراهيم التيمي، وابن سيرين قال: «لما مات رسول الله «صلى الله عليه وآله» أتوا أبا عبيدة بن الجراح، فقالوا: ابسط يدك نبايعك، فإنك أمين هذه الأمة على لسان رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

فقال: أتأتوني وفيكم الصديق ثاني اثنين؟

وفي لفظ: ثالث ثلاثة، قيل: لابن سيرين: وما ثالث ثلاثة؟

قال: ألم تقرأ هذه الآية ثَانِيِ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا (2)» (3).

و نقول:

أولاً: إن الاستدلال المنقول عن علي «عليه السلام» لا يمكن أن يصدر عنه، لأنه باطل من أصله، فإن من يصلح لإمامة الجماعة في الصلاة قد لا يصلح لقيادة الجيوش، ولا للقضاء بين الناس، ولا للإفتاء، ولا ليعلم الناس الكتاب والحكمة، فضلاً عن أن يكون أهلاً للقيام بجميع مهمات الحاكم والإمام.

ثانياً: إذا كان الوجد قد غلب على رسول الله «صلى الله عليه وآله» أو

ص: 303

1- سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 317 عن البلاذري، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص 537 والامامة والسياسة (بتحقيق الزيني) ج 1 ص 10 و (بتحقيق الشيري) ج 1 ص 18 راجع: التمهيد لابن عبد البر ج 22 ص 127.

2- الآية 40 من سورة التوبة.

3- سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 317 عن البلاذري، والمصنف لابن أبي شيبة ج 8 ص 573.

كان يهجر-كما زعمه عمر، و وافقه عليه طائفة ممن معه، حتى صاروا يقولون: القول ما قاله عمر-فلا قيمة لما يصدر عن النبي «صلى الله عليه وآله» في مثل هذا الحال. . وفق منطق من يلتزمون بقول عمر، و يصرون على تصويبه و متابعتة فيما يقول و يفعل!!

ثالثا: إن الروايات قد صرحت بأن أبا بكر قد عزل عن هذه الصلاة أو أن ذلك محتمل بصورة قوية، كما دلت عليه الروايات الصحيحة، فلا يصح الإستدلال بصلاة هذه حالها على الخلافة، بل هي على خلاف ما يحبون أدل.

رابعا: إن موقف علي «عليه السلام» من البيعة لأبي بكر معلوم لكل أحد، و هم يقولون: إنه «عليه السلام» لم يبايع إلا بعد استشهاد زوجته فاطمة «عليها السلام»، و كلماته «عليه السلام» في نهج البلاغة وفي غيره، و في كتب الحديث و الرواية و التاريخ مشحونة بما يدل على اعتراضه على أبي بكر في توليه أمرا ليس له. .

خامسا: إن نصب إنسان للصلاة، لا يعني توليته لأمر الدين كلها. . ليس فقط لأجل أن ذلك الرجل قد لا يحسن كثيرا من أمور الدين. . لا سيما و أن هؤلاء يجيزون الصلاة خلف العالم و الجاهل، و الأمي و المتعلم، بل و العادل و الفاسق. . بل لأنه قد يكون هناك مانع من توليته لجميع ما يحسنه، بل إن الإكتفاء بالتنصيب على توليته في جانب مما يحسنه، و ترك التصريح بتوليته لسائر المهام يكون أقوى في الدلالة على صرف النظر عن التولية العامة. .

سادسا: إن عليا «عليه السلام» قد جعل أبا الأسود على الصلاة في البصرة، و ولي ابن عباس ما عدا ذلك، فلو كان نصبه للصلاة دليلا على

ولايته، أو أحقيته بالولاية لأمر الدنيا لم يصح نصب ابن عباس على البصرة إلى جانب أبي الأسود. أو هو على الأقل سيكون مثار تساؤل لدى الناس!!

سابعاً: إن إمامة الصلاة ليست من الولايات، بل هي حكم شرعي خاص في مورده، فما معنى قياس ولاية أمور الدنيا التي تحتاج إلى إنشاء و جعل. . على جعل إنسان إماماً في الصلاة؟!

ثامناً: قوله: من ذا يؤخره عن مقام أقامه الله فيه غير سديد، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يقمه إماماً للأمة، وإنما هم يدعون أنه أقامه إماماً للصلاة، ولم يؤخره أحد عنها، وإنما هو تقدم ليتولى أو ليستولي على ما عداها.

تاسعاً: بالنسبة لمناداة أبي بكر ثلاثة أيام ليقبله الناس البيعة نقول:

إنها مغالطة فاشلة، فإن المطلوب أن يقلبهم هو بيعتهم، وليس العكس، فإذا أحلهم منها إنتهى الأمر، ولا تبقى حاجة لأي تصرف منهم، لأنهم هم الذين أعطوه عهداً ببيعته، و صاروا يرون أنفسهم ملزمين بالوفاء به.

عاشراً: بالنسبة لكلام الحسن عن تقوى أبي بكر التي تمنعه من التوثب على ما ليس له، نقول:

إنه كلام لا يجدي، لأن الوقائع هي التي تحدد لنا إن كان قد توثب على هذا الأمر، أو لم يتوثب عليه.

على أن التوثب على هذا الأمر قد يكون لأجل ما يزعمونه من الغيرة على الدين، والخوف على المسلمين. . فلا يتنافى مع التقوى، إلا إذا كان قد سمع النص من رسول الله «صلى الله عليه وآله» على علي «عليه السلام» بالخلافة والإمامة، أو بايعه في يوم الغدير، ثم نقض بيعته، كما هو المفروض. .

ولربما يدعى: أن ثمة شبهة تسوغ هذا التوثب، وتمنع من الحكم بتعمد مخالفة أحكام الشريعة، والعهدة في ذلك على من يدّعيه.

حادي عشر: حديث ابن سيرين، وإبراهيم التيمي لا يصح، إذ إن أبا بكر فقط هو الذي طرح اسم أبي عبيدة يوم السقيفة، ولا يستطيع الحسن أو التيمي أن يذكرنا لنا اسم أحد غيره فعل ذلك. وظواهر الأمور تشير إلى أنه قد طرح اسمه ليردها عليه أبو عبيدة، الذي لم يكن أحد سوى أبي بكر وعمر يراه أهلا لهذا الأمر.

بل إن سعد بن عباد، ومن معه كانوا كلهم لا يرون أبا بكر أهلا لهذا الأمر، فهل يرون أبا عبيدة حفار القبور أهلا له؟!

على أن حديث الحسن وإبراهيم، لم ينقل لنا بسند متصل..

يوم الوفاة هو يوم العزل:

قد دلت الروايات المتقدمة أيضا: على أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد مات في نفس اليوم الذي صلى فيه أبو بكر بالناس، فقد روى ابن أبي مليكة قال:

«لما كان يوم الإثنين خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» عاصبا رأسه إلى الصبح، وأبو بكر يصلي بالناس، فلما خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» تفرج الناس، فعرف أن الناس لم يفعلوا ذلك إلا لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فنكص عن مصلاه، فدفع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في ظهره الخ.». (1).

ص: 306

1- تاريخ الأمم والملوك ج 3 ص 196 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج 2 ص 440 و السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 1068 و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 467.

فقد دلت هذه الرواية: على أن خروج النبي «صلى الله عليه وآله» إلى المسجد كان في صلاة الصبح وأن مشاركته في الصلاة كانت يوم الإثنين. .

وهناك روايات عديدة دلت على أن ذلك كان نفس يوم وفاته «صلى الله عليه وآله» ، فلا حظ ما يلي:

1-عن ابن جرير، عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه: قال «صلى (أي النبي) في اليوم الذي مات فيه في المسجد» (1).

2-ويدل على ذلك أيضا: حديث أنس، قال: «لما مرض رسول الله «صلى الله عليه وآله» مرضه الذي مات فيه أتاها بلال فأذنه بالصلاة، فقال: يا بلال، قد بلغت. فمن شاء فليصل، ومن شاء فليدع.

قال: يا رسول الله، فمن يصلي بالناس.

قال: مروا أبا بكر فليصل بالناس.

فلما تقدم أبو بكر رفعت الستور عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فنظر إليه كأنه ورقة بيضاء عليه خميصه سوداء، فظن أبو بكر أنه يريد الخروج، فتأخر، فأشار إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» فصلى أبو بكر. فما رأينا رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى مات من يومه (2).

3-وعن عائشة: أن بلالا جاء صباح يوم وفاة رسول الله «صلى الله

ص: 307

1- كنز العمال ج 7 ص 272 وراجع: سنن الدارمي ج 1 ص 36 وعمدة القاري ج 5 ص 191 ونصب الراية ج 2 ص 56.

2- كنز العمال ج 7 ص 261 وراجع: مسند أبي يعلى ج 6 ص 264 ومختصر تاريخ دمشق ج 2 ص 381 و 382 ومسند أحمد ج 3 ص 202 والمصنف لابن أبي شيبة ج 2 ص 227 وحديث خيثمة ص 140 وشرح الأخبار ج 2 ص 238.

عليه وآله» فأذنه بالصلاة، فقال لها «صلى الله عليه وآله»: مري أبأك أن يصلي بالناس (1).

وبذلك يتضح: أن ما زعمته بعض الروايات: من أن أبا بكر قد صلى بالناس أياما، غير مسلم (2).

إلا إذا كان المقصود: أنه صلى بهم من دون علم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالأمر.

التشاؤم هو السبب:

وقد تقدم: أن عائشة تزعم: أن الداعي لها لمراجعة النبي «صلى الله عليه وآله» في أمر صلاة أبي بكر بالناس هو الفرار من تشاؤم الناس بأبيها إذا صلى في مرض الرسول، لو حدث به «صلى الله عليه وآله» حدث (3).

ولكنها في رواية أخرى تبرر مراجعتها للنبي «صلى الله عليه وآله»: بأن أبا بكر رجل أسيف، لا يسمع الناس بسبب بكائه.

فأي ذلك هو الصحيح؟!

ص: 308

1- كنز العمال ج 7 ص 266 عن أبي الشيخ.

2- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ج 3 ص 276 و 277 و مسند أبي عوانة ج 1 ص 440 و سنن النسائي ج 2 ص 101 و صحيح البخاري ج 1 ص 278 و 179 ح 78 و صحيح مسلم ج 2 ص 20 و 21.

3- صحيح البخاري ج 6 ص 33 ح 432 و صحيح مسلم ج 2 ص 22 و السنن الكبرى ج 8 ص 152.

وفي رواية عبد الله بن زمعة: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لهم: مروا من يصلي بالناس. . ولم يعين أحدا بعينه. . فلما أمر ابن زمعة عمر بأن يصلي بالناس أنكر النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك حسب ما زعمته الرواية، وقال: «يأبى الله ذلك والمسلمون» (1).

وقد قلنا: إن هذه الزيادة باطلة، لما يلي:

1- إن المسلمين قد رضوا بعمر حسب الفرض، وقد شرع بالصلاة بالفعل. .

2- كيف يأبى الله ذلك والحال أن عمرو بن العاص كان يؤم أبا بكر وعمر معا في غزوة ذات السلاسل، وأمهما أيضا عبد الرحمن بن عوف في غزوة تبوك؟ . .

3- قد جاء في رواية أنس قوله «صلى الله عليه وآله»: «حين أذنه بلال بالصلاة: «يا بلال قد بلغت. فمن شاء فليصل، ومن شاء فليدع» . .

ص: 309

1- الإستيعاب (ط دار الجيل) ج 3 ص 970 والمحلى لابن حزم ج 4 ص 210 وشرح الأخبار ج 2 ص 239 والبحار ج 28 ص 145 و 156 و 157 و مسند أحمد ج 4 ص 322 و ج 6 ص 106 و سنن أبي داود ج 2 ص 405 وعمدة القاري ج 5 ص 188 وعون المعبود ج 12 ص 273 والمعجم الأوسط ج 2 ص 12 والتمهيد لابن عبد البر ج 22 ص 128 و كنز العمال ج 11 ص 550 و تاريخ مدينة دمشق ج 30 ص 262 و 263 و 267 و البداية والنهاية ج 5 ص 252 وإمتاع الأسماع ج 14 ص 457 و السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 1067 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 459 وسبل الهدى والرشاد ج 12 ص 244.

فما معنى زيادة فقرة: مروا أبا بكر فليصل بالناس (1).

4- أن صلاة أبي بكر بالناس لا تنسجم مع كونه قد جعله في جيش أسامة، ولم يرد إحداث أي خلل في عزيمة ذلك الجيش، فكيف يخرج أبا بكر منه للصلاة بالناس بسبب شدة مرضه؟ !

عزله في الصلاة الأولى:

إن الروايات المتقدمة، و منها روايات عائشة نفسها، المروية في صحيح البخاري و مسلم قد دلت على: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد عزل أبا بكر في أول صلاة صلاها، لأنها صرحت بأنه قال لهم: مروا أبا بكر فليصل بالناس .

ثم ذكرت: أنه وجد من نفسه خفة، فعزله عنها بنفسه، فكان أبو بكر مأموماً و النبي «صلى الله عليه وآله» إماماً.

صويحبات يوسف:

وقوله «صلى الله عليه وآله» لنسائه: «إنكن لصويحبات يوسف» يدل على: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن هو الذي أمر أبا بكر بالصلاة، لأن صويحبات يوسف لم يخالفن يوسف في شيء، ولا راجعنه في أمر صدر عنه، وإنما فتنهن حسنه، وأرادت كل واحدة منهن أن تنال الحظوة عنده .

و هذا ما أرادت عائشة و حفصة، فإنهن أردن الحصول على الشرف و المقام،

ص: 310

1- تقدمت مصادر حديث أنس.

بالتقرب من النبي «صلى الله عليه وآله» (1). فقدمتا أبيهما من أجل الإفتخار والتجمل بمقام القرب من الرسول «صلى الله عليه وآله» ، أي أنهن لم ينازعنه لصرف إمامة الجماعة عن أبيهما .

أستاذ المعتزلي يشرح ما جرى:

وقد ذكر المعتزلي كلاماً عن شيخه أبي يعقوب، يوسف بن إسماعيل اللمعاني، جاء فيه ما يلي:

«فلما ثقل رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مرضه أنفذ جيش أسامة، وجعل فيه أبا بكر وغيره من أعلام المهاجرين والأنصار. فكان علي «عليه السلام» حينئذ بوصوله إلى الأمر - إن حدث برسول الله «صلى الله عليه وآله» حدث - أوثق. وتغلب على ظنه: أن المدينة لو مات لخلت من منازع ينازعه الأمر بالكلية، فيأخذه صفوا عفواً، وتتم له البيعة، فلا يتهياً فسخها لورام ضد منازعته عليها .

فكان من عود أبي بكر من جيش أسامة - بإرسالها إليه، وإعلامه بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يموت - ما كان، ومن حديث الصلاة بالناس ما عرف.

فنسب علي «عليه السلام» إلى عائشة أنها أمرت بلالا - مولى أبيها أن يأمره فليصل بالناس، لأن رسول الله - كما روي - قال: ليصل بهم أحدهم، ولم يعين. وكانت صلاة الصبح؛ فخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله»

ص: 311

و هو في آخر رمق يتهدى بين علي و الفضل بن العباس، حتى قام في المحراب- كما ورد في الخبر- ثم دخل فمات ارتفاع الضحى.

فجعل يوم صلاته حجة في صرف الأمر إليه، وقال: أيكم يطيب نفسا أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله في الصلاة.

و لم يحملوا خروج رسول الله «صلى الله عليه و آله» لصرفه عنها، بل لمحافظته على الصلاة مهما أمكن. . فبويح على هذه النكتة التي اتهمها علي «عليه السلام» على أنها ابتدأت منها.

و كان علي «عليه السلام» يذكر هذا لأصحابه في خلواته كثيرا، و يقول: إنه لم يقل «صلى الله عليه و آله»: إنكن لصويحات يوسف إلا إنكارا لهذه الحال، و غضبا منها، لأنها و حفصة تبادرتا إلى تعيين أبيهما، و أنه استدركها بخروجه، و صرفه عن المحراب، فلم يجد ذلك و لا أثر. مع قوة الداعي الذي كان يدعو إلى أبي بكر، و يمهد له قاعدة الأمر، و تقرر حاله في نفوس الناس، و من اتبعه على ذلك من أعيان المهاجرين و الأنصار. .

فقلت له «رحمه الله»: أف تقول أنت: إن عائشة عينت أباهما للصلاة، و رسول الله «صلى الله عليه و آله» لم يعينه؟! !

فقال: أما أنا فلا أقول ذلك، و لكن عليا كان يقوله، و تكليفي غير تكليفه. كان حاضرا، و لم أكن حاضرا. . الخ» (1).

و نقول:

قد أظهرت الفقرة الأخيرة: أن المعتزلي فاجأ للمعاني بسؤاله، و ربما يكون

ص: 312

قد أخافه، فاضطر إلى أن يميز نفسه عن علي «عليه السلام» في هذا الأمر، مع إلماحه إلى أن عليا «عليه السلام» هو الذي يعيش الحدث، و يعرف تفاصيله- فقد كان علي حاضرا، و لم يكن للمعاني حاضرا- .

و نحن تكفيينا شهادة علي «عليه السلام» حول هذا الأمر، فقد قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «علي مع الحق و الحق مع علي، يدور معه كيفما دار» أو نحو ذلك (1).

يوم بنت خارجة:

و تقول رواية تقدمت: أن أبا بكر استأذن النبي «صلى الله عليه وآله» ليذهب إلى السنح (2)، لأن زوجته أسماء بنت خارجة كانت تنتظره. .
و الذي يثير عجبنا: أن أبا بكر يرى النبي «صلى الله عليه وآله» غير قادر على المشي من شدة المرض. و لم يستطيع الوصول إلى موضع الصلاة إلا

ص: 313

1- المستدرك للحاكم ج 3 ص 124 و الجامع الصحيح للترمذي ج 3 ص 166 و كنوز الحقائق للمناوي ص 70 و مجمع الزوائد ج 7 ص 233 و جامع الأصول ج 9 ص 420 و راجع: كشف الغمة ج 2 ص 35 و ج 1 ص 141-146 و الجمل ص 36 و تاريخ بغداد ج 14 ص 322 و مستدرك الحاكم ج 3 ص 119 و 124 و تلخيصه للذهبي بهامشه، و راجع نزل الأبرار ص 56 و في هامشه عن مجمع الزوائد ج 7 ص 234 و عن كنوز الحقائق ص 65 و كنز العمال ج 6 ص 157 و شرح النهج للمعتزلي ج 2 ص 297 و ج 18 ص 72 و تاريخ مدينة دمشق ج 42 ص 449.

2- السنح: موضع بالمدينة بينه و بين منزل النبي «صلى الله عليه وآله» قدر ميل. كان لأبي بكر منزل هناك.

بمساعدة رجلين، وكانت رجلاه تخطان في الأرض. ثم هو يستأذنه-كما يزعمون-ليذهب إلى زوجته بنت خارجة في منزله بالسنع (1).

وهذا الغياب هو الذي جعل عمر يحتاج إلى إنكار موت النبي «صلى الله عليه وآله»، لإشغال الناس عن أي تدبير في الأمر إلى حين حضور أبي بكر.

ألا يدل ذهاب أبي بكر إلى السنع، حيث لم يصل بالناس صلاة الظهر يوم الإثنين. على الأقل، وهو يوم استشهاد النبي «صلى الله عليه وآله»، لأنه استشهد بعد الزوال، كما يقوله كثيرون، كما سيأتي-ألا يدل ذلك-على أنه قد ذهب معزولا عن الصلاة، (وربما غاضبا) بعد أن تصدى لها من غير إذن، ولا رضى من رسول الله «صلى الله عليه وآله» ؟ !

دعوى صلاة النبي صلى الله عليه وآله خلف أبي بكر:

وإذا كانت الروايات الصحيحة تتجه لتأكيد عزل أبي بكر عن الصلاة، فهل يمكن أن نصدق ما تضيفه بعض المرويات، من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد صلى خلف أبي بكر، أو أن أبا بكر قد صلى بصلاة النبي، والناس صلوا بصلاة أبي بكر، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» كان جالسا، و كان أبو بكر قائما، فكان الناس يرونه، فيقتدون به. .

علما بأن الصف الأول والذي يليه أيضا قادر على رؤية شخص رسول الله «صلى الله عليه وآله»، و يشاهد حركته، و ركوعه و سجوده، بلا حاجة إلى

ص: 314

1- راجع: تاريخ دمشق ج 2 ص 56 و البداية و كنز العمال ج 10 ص 745 و إمتاع الأسماع ج 2 ص 125 و ج 14 ص 521 و سبل الهدى و الرشاد ج 6 ص 249 و النهاية ج 5 ص 184-186 و شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 13 ص 36.

أبي بكر وسواه. .

وعن دعوى ائتمام النبي «صلى الله عليه وآله» بأبي بكر يقول ابن الجوزي: «ليس هذا في الصحيح، وإنما قد روي من طرق لا تثبت» (1).
وسياتي المزيد مما يبطل هذا الزعم إن شاء الله تعالى. .

روايات عائشة:

وعن حديث أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد صلى خلف أبي بكر نقول:

أولاً: إن العمدة في هذه الرواية هو ما روته عائشة (2). وهي إنما تجر النار

ص: 315

1- آفة أصحاب الحديث ص 49.

2- راجع: مسند أحمد ج 6 ص 224 وعن صحيح البخاري ج 1 ص 182 و 183 و (ط دار الفكر) ج 1 ص 162 و 175 و صحيح مسلم ج 2 ص 23 كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر، وآفة أصحاب الحديث ص 57 و 58 و 59 و سبل الهدى و الرشاد ج 12 ص 244 و 245 و المجموع للنووي ج 4 ص 241 و المبسوط للسرخسي ج 1 ص 214 و بدائع الصنائع ج 1 ص 142 و البحار ج 28 ص 137 عن جامع الأصول، و ص 138 عن البخاري، و مسند أحمد ج 6 ص 210 و 224 و سنن ابن ماجه ج 1 ص 389 و سنن النسائي ج 2 ص 100 و السنن الكبرى للبيهقي ج 2 ص 304 و ج 3 ص 81 و 94 و عمدة القاري ج 5 ص 186 و 248 و 250 و مسند ابن راهويه ج 3 ص 831 و السنن الكبرى للنسائي ج 1 ص 293 و صحيح ابن خزيمة ج 3 ص 53 و شرح معاني الآثار ج 1 ص 406 و صحيح ابن حبان ج 5 ص 485 و 489 و 495 و ج 15 ص 292 و كنز العمال ج 5 ص 634 و مصادر أخرى تقدمت.

إلى قرصها، بل الوقائع تثبت أنها كانت تميل مع هواها في رواياتها وفي تصرفاتها، ولأجل ذلك لم تذكر الشخص الذي توكأ عليه النبي «صلى الله عليه وآله» حينما خرج-في مرضه ليعزل أبا بكر عن الصلاة، وهو علي «عليه السلام»، لأنها كما يقول ابن عباس: «لا تقدر على أن تذكره بخير» (1).

أو كما يقول معمر: «لا تطيب نفسا له بخير» (2).

وقد دلت على أنها كانت تتصرف برأيها في هذا المجال أيضا حين ذكرت أنها كانت تسعى لإبعاد حالة التشاؤم بأيها، مع أنها كانت تدعي للنبي «صلى الله عليه وآله» أن أبا بكر رجل رقيق لا يسمع الناس من بكائه.

ثانيا: إن ابن الجوزي يقول: إن حديث عائشة، عند أحمد، والترمذي، وأبي داود يدور على شبابة بن سوار.

وقد أنكر أحمد بن حنبل عليه.

وأما سائر الطرق-وهي سبعة-عن عائشة فليس فيها ما يثبت (3).

ص: 316

-
- 1- تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 433 وعمدة القاري ج 5 ص 192 وفتح الباري ج 2 ص 131 و خلاصة عبقات الأنوار ج 3 ص 287 والغدير ج 9 ص 324 و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج 32 ص 41
 - 2- عمدة القاري ج 5 ص 192 و خلاصة عبقات الأنوار ج 3 ص 287 وفتح الباري ج 2 ص 131 وراجع: صحيح البخاري ج 1 ص 175 والمسترشد للطبري (الشيعة) ص 126 و تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 433 والإرشاد للمفيد ج 1 ص 311 و مناقب أهل البيت «عليه السلام» للشيرازي ص 472 وقاموس الرجال ج 12 ص 299 و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج 32 ص 415.
 - 3- آفة أصحاب الحديث ص 50 و 51 و 75-95.

ثالثا: سيأتي أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد عزل أبا بكر عن هذه الصلاة بالذات.

رابعا: حتى لو فرضنا جدلا أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد صلى خلف أبي بكر، فإن ذلك لا يثبت إمامة أبي بكر و خلافته على الأمة، و ذلك لما يلي:

1-إن إمامة الجماعة لا تحتاج عند أهل السنة إلا إلى أن يكون الإمام مسلما، محسنا للقراءة. . ولا تحتاج إلى فقه، ولا إلى علم، ولا إلى شجاعة، ولا إلى عدالة وتقوى ولا إلى غير ذلك من الشرائط المعتبرة في الإمامة والخلافة.

2-لو صح أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد صلى خلف أبي بكر، فإن ذلك لا يدل على أنه يرضاه لإمامة الأمة، إذ لو دلت الصلاة خلف أبي بكر على إمامته لدلت على إمامة عبد الرحمن بن عوف أيضا، فإنهم يدعون أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد صلى خلفه في غزوة تبوك. . حسبما تقدم. .

3-لنفترض عدم صحة النقض بصلاته «صلى الله عليه وآله» خلف ابن عوف، لأنها لم تكن في مرض موت النبي «صلى الله عليه وآله». . أو لعدم صحتها في نفسها، فإننا نقول:

إن عمر بن الخطاب قد أبطل تأثير فعل النبي «صلى الله عليه وآله» في الدلالة على إمامة أو خلافة أبي بكر وغيره، لأنه قال: إن النبي ليهجر، أو غلبه الوجع. . أو نحو ذلك. . ولا يعتد بنصب أو بعزل من يكون في حالة هذيان أو يحتمل أنه كان كذلك-و العياذ بالله.

4-إنه «صلى الله عليه وآله» قد أمر كثيرين من الصحابة بقيادة الجيوش والسرايا، وجعل عددا من أصحابه ولاية على مكة وعلى غيرها.

وكان الأمير منهم يتولى الصلاة أيضا. . وقد جرى بين عمرو بن العاص وبين أبي عبيدة في غزوة ذات السلال ما تقدم بيانه، فإنه أصر على أن يكون هو الإمام لهم بمن فيهم أبو بكر وعمر، ورضخوا له، وصلى بهم. . فلماذا لا يجعل ذلك من أدلة تقدم عمرو بن العاص على أبي بكر في الخلافة، كما تقدمه في الصلاة؟! التي كان يرى أن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي رتبها فيها.

صلاة عمر بالناس:

وروا: عن عبد الله بن زمعة بن الأسود قال: لما استعزّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأنا عنده في نفر من المسلمين، دعا بلال للصلاة، فقال: مروا من يصلي بالناس.

قال: فخرجت، فإذا عمر في الناس. وكان أبو بكر غائبا، فقال: قم يا عمر فصل بالناس.

قال: فقام، فلما كبر عمر سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» صوته، وكان عمر رجلا مجهرا.

قال: فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقال: لا، لا، لا يصلي بالناس إلا ابن أبي قحافة-يقول ذلك مغضبا-فأين أبو بكر؟ يا بني الله ذلك والمسلمون.

قال: فبعث إلى أبي بكر بعد ما صلى عمر تلك الصلاة، فصلى بالناس.

قال: وقال عبد الله بن زمعة: قال عمر لي: ويحك، ماذا صنعت بي يا بن زمعة، والله ما ظننت حين أمرتني إلا أن رسول الله «صلى الله عليه وآله»

أمرك بذلك، ولو لا ذلك ما صليت بالناس.

قال: قلت: و الله ما أمرني رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولكن حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة (1).

ونقول:

أولاً: إذا كان المسلمون يابون ذلك، فلماذا يأمره ابن زمعة، ويأتم به المسلمون، ولا يعترض أحد منهم؟!

ثانياً: إذا كان أبو بكر وعمر قد جعلهما رسول الله «صلى الله عليه وآله» في جيش أسامة، فلماذا حضر هؤلاء نفر من المسلمين عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟

ص: 319

1- سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 244 عن أحمد، وأبي داود، وابن سعد، و سنن أبي داود ج 4 ص 215 و مسند أحمد ج 4 ص 322 و ج 6 ص 106 و تاريخ مدينة دمشق ج 30 ص 262 و إمتاع الأسماع ج 14 ص 457 و السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 1066 و عون المعبود ج 12 ص 272 و المستدرک للحاكم ج 3 ص 641. وراجع: الإستيعاب (ط دار الجيل) ج 3 ص 970 و المحلى لابن حزم ج 4 ص 210 و شرح الأخبار ج 2 ص 239 و البحار ج 28 ص 145 و 156 و 157 و سنن أبي داود ج 2 ص 405 و عمدة القاري ج 5 ص 188 و عون المعبود ج 12 ص 273 و المعجم الأوسط ج 2 ص 12 و التمهيد لابن عبد البر ج 22 ص 128 و كنز العمال ج 11 ص 550 و تاريخ مدينة دمشق ج 30 ص 262 و 263 و 267 و البداية و النهاية ج 5 ص 252 و إمتاع الأسماع ج 14 ص 457 و السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 1067 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 459 و سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 244.

ولماذا كانت تلك الجماعة من الناس، وفيهم عمر في المكان الذي خرج إليه ابن زمعة؟

وهل كان أبو بكر غائبا في جيش أسامة أم كان في مكان آخر؟

فإذا كان في جيش أسامة، فهل انتظر الناس حتى جاء من هناك إلى المسجد؟

وإذا كان في غير الجيش، فهو كان عاصيا لأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» الذي أمره وأمر غيره بأن يكونوا في ذلك الجيش. فكيف استحق من يعصي أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يكرم هذا الإكرام من الله ورسوله؟!

ثالثا: لماذا يأبى الله والمسلمون غير أبي بكر هنا، ولم يكن هذا الإباء منهم حين صلى عبد الرحمن بن عوف بجيش قوامه ثلاثون ألفا، وفيهم أبو بكر وعمر وسائر الرؤساء والزعماء، ثم التحق بهم النبي «صلى الله عليه وآله»، واثم بعبد الرحمن بن عوف، حسب زعمهم؟!

ولماذا كان أبو عبيدة وعمر وبن العاص يصليان بأبي بكر وعمر وغيرهما من المسلمين في غزوة ذات السلاسل. ولم يعترض عليهما أحد من المسلمين، ولا اهتم الله وسوله لهذا الأمر على الإطلاق؟!

رابعا: إذا صح أن الله والمسلمين يأبون إلا أبا بكر، فلماذا عاد «صلى الله عليه وآله» وخرج يتوكأ على علي «عليه السلام» والعباس، لكي يعزل أبا بكر عن تلك الصلاة بالذات؟!

خامسا: لقد روي أنه «صلى الله عليه وآله» قال: «مروا بلالا فليصل

بالناس» (1). فكيف يتلاءم ذلك مع القول: يابى الله والمسلمون إلا أبا بكر؟ !

سادسا و أخيرا: إن التعبير بكلمة استعزّ برسول الله غير لائق أبدا، فإنما يقال: استعز بفلان إذا غلب على كل شيء، من مرض أو غيره.

و كأنهم يريدون بذلك تأكيد مقولة عمر «إن النبي ليهجر» أو «غلبه الوجع» . . فإننا لله و إنا إليه راجعون. .

وقال أبو عمر: استعز بالعليل إذا غلب على عقله (2).

صلاتان. . أم صلاة واحدة؟ ! :

ونقل ابن الجوزي عن أبي حاتم: أنها كانت صلاتين، كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» في إحداها مأموما، وفي الأخرى كان إماما.

قال: و الدليل على أنها كانت صلاتين لا صلاة واحدة، أن في خبر عبيد الله بن عبد الله عن عائشة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» خرج بين رجلين، يريد بأحدهما العباس، و الآخر عليا.

وفي خبر مسروق عن عائشة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» خرج بين رجلين، أو (بريرة و ميمونة)، أو (بريرة و نوبة) قال: فهذا يدل على أنها كانت صلاتين، لا صلاة واحدة» (3).

ص: 321

1- بغية الطالب في تاريخ حلب لابن النديم (مخطوط في مكتبة قبو سراي) الورقة 194 رقم 2925.

2- راجع: سبل الهدى و الرشاد ج 2 ص 246.

3- راجع: سبل الهدى و الرشاد ج 8 ص 195 و 196 و آفة أصحاب الحديث ص 79 و صحيح ابن حبان ج 5 ص 488 و عمدة القاري ج 5 ص 188 و تنوير الحوالك ص 60.

ولكن ابن الجوزي رد حديث صلاة النبي «صلى الله عليه وآله» مأموما بعدة أوجه:

أحدها: أن فيه شبابة، وقد نسب إلى الغلط.

والحديث الذي يجعله (أي النبي «صلى الله عليه وآله») إماما لأبي بكر ولغيره مؤيد بما رواه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة، وهو مروي في الصحيح. .

الثاني: إن خروجه «صلى الله عليه وآله» بين علي «عليه السلام» والعباس مذكور في الصحيحين.

ويمكن الجمع بينه وبين الحديث الآخر: باحتمال أن تكون ميمونة وبريرة أخرجته إلى باب الدار، ثم تولاه علي والعباس. . خصوصا وأنه لم يجر في العادة أن تمشي الجواري بين الصفوف، وكان القوم في الصلاة.

الثالث: تقول رواية بريرة و ميمونة: «فكان رسول الله يصلي جالسا، وأبو بكر قائما يصلي بصلاة رسول الله، والناس يصلون بصلاة أبي بكر» .

فالعجب لأبي حاتم كيف يقول: كان رسول الله مأموما، وهو يروي في حديث بريرة و ميمونة: وأبو بكر يصلي بصلاة رسول الله؟ !

وكيف يصلي أبو بكر بصلاة رسول الله، ويكون هو الإمام لرسول الله؟ ! (1). انتهى كلام ابن الجوزي.

ونقول:

إننا وإن كنا نؤكد صحة قولهم: إنها كانت صلاة واحدة. . ولكننا لا نوافق

ص: 322

1- راجع: آفة أصحاب الحديث ص 80.

على قولهم: إن الناس كانوا يصلون بصلاة أبي بكر، إذ لا حاجة إلى ذلك، فإن المسلمين الحاضرين كانوا قليلين، لأن الناس كانوا في جيش أسامة، وكان الصف الأول وبعض الصف الذي خلفه يرى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو جالس. . ويرى حركته بصورة مباشرة. . فما الحاجة إلى أبي بكر إذن؟!

رواية الواقدي:

روى الواقدي، عن عبد الرحمن بن عبد العزيز، عن عبد الله بن أبي بكر، عن أبيه، عن عائشة: جاء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فاستأخر أبو بكر، فأخذ بيده، فقدمه في مصلاه، فصفا جميعا، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» جالس، وأبو بكر قائم، فلما سلم، صلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الركعة الأخيرة، ثم انصرف (1).

ونقول:

أولا: قد طعن في الواقدي يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، والبخاري، وأبو حاتم الرازي، وأبو عبد الرحمن النسائي، وابن عدي. وقد اتهمه بعض هؤلاء بوضع الحديث (2).

وطعن أبو حاتم الرازي بعبد الرحمن بن عبد العزيز، بأنه مضطرب

ص: 323

-
- 1- آفة أصحاب الحديث ص 86 و تنوير الحوالك ص 60 و معرفة السنن والآثار ج 2 ص 360 و نصب الراية ج 2 ص 55 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 220 و سبل الهدى والرشاد ج 8 ص 196 و إمتاع الأسماع ج 14 ص 471.
 - 2- تهذيب التهذيب ج 9 ص 363 و 368.

وطعن أبو زرعة و موسى بن هارون بعبد الله بن أبي بكر (2).

ثانيا: إن الأحاديث تشير إلى أن النبي «صلى الله عليه وآله» أشار إلى أبي بكر بما أراد، وهذا الحديث يقول: إنه «صلى الله عليه وآله» أخذ بيده فقدمه في مصلاه. .

ثالثا: لا تدل هذه الرواية على أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد ائتم بأبي بكر، ولا على العكس، بل هي تدل على أصل وجود الإئتمام فيما بينهما. . فما معنى قوله: «فصفا جميعا» ؟ ! فإن كان المقصود أنهما كانا إمامين للناس معا وفي عرض واحد، ولم يكن أحدهما إماما للآخر. . فإننا لم نعهد في الشريعة جعل إمامين لجماعة واحدة. .

وهذا يخالف قولهم: إن أبا بكر قد صلى بصلاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويخالف الرواية التي تدعي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد ائتم بأبي بكر. وإضافة الركعة الأخيرة لا يدل على اقتدائه «صلى الله عليه وآله» بأبي بكر. .

كل نبي يؤمه رجل من أمته:

عن أبي عبد العزيز الترمذي، يرفعه إلى عائشة: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» رفع سترا، فرأى الناس من وراء أبي بكر يصلون، فحمد الله وقال: «الحمد لله، ما من نبي يتوفاه الله عز وجل حتى يؤمه رجل من أمته. .» ولم يذكر

ص: 324

1- تهذيب التهذيب ج 6 ص 220.

2- لسان الميزان ج 3 ص 264.

أنه خرج، ولا صلى خلفه (1).

ونقول:

أولاً: قد تقدم في غزوة تبوك أنهم يزعمون: أنه «صلى الله عليه وآله» صلى خلف عبد الرحمن بن عوف، فلماذا لا تكون كلمته المزعومة هذه إشارة إلى تلك المزعومة؟! .

ثانياً: إن أبا عبد العزيز الترمذي هو موسى بن عبيدة بن نسيط، وقد طعن فيه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي بن الجنيدي الحافظ، كما ذكره ابن الجوزي، فلا عبرة بحديثه (2).

يضاف إلى ما تقدم: أن الحديث غير متصل بل هو من المرفوعات. .

ثالثاً: إنه لا تناسب بين هذه الكلمة المنسوبة إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبين صلاة أبي بكر. . كما أن هذه الكلمة لا تدل على رضاه بأن يؤم أبو بكر الناس في صلاتهم تلك أو غيرها. . بل قد تكون على خلاف ذلك أدل. إذا لوحظ قول الرواية: «و لم يذكر أنه خرج ولا صلى خلفه» . .

ص: 325

1- آفة أصحاب الحديث ص 87 و المعجم الأوسط ج 4 ص 365 و مجمع الزوائد ج 3 ص 11 و ج 9 ص 37 و إمتاع الأسماع ج 14 ص 473. و راجع: تنوير الحوالك ص 59 و المغني لابن قدامة ج 2 ص 49 و الإستذكار لابن عبد البر ج 2 ص 173 و بداية المجتهد و نهاية المقتصد لابن رشد الحفيد ج 1 ص 124 و بغية الباحث ص 297 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 222 و التمهيد لابن عبد البر ج 6 ص 144.

2- تهذيب التهذيب ج 10 ص 356-360 و راجع: التاريخ الصغير للبخاري ج 2 ص 87 و ج 7 ص 291 و الكامل لابن عدي ج 6 ص 333.

فلعله يريد أن يشير إلى أنه كان قد أمه رجل آخر غير أبي بكر، ربما يكون ذلك الشخص هو علي «عليه السلام»، حيث ذكرنا في ما سبق عدم صحة قولهم: إن ابن عوف قد أمّ النبي «صلى الله عليه وآله» في غزوة تبوك، وعدم صحة قولهم هنا: إنه «صلى الله عليه وآله» قد صلى خلف أبي بكر.

النصب بعد العزل:

و آخر كلمة نقولها هنا هي:

أننا لو فرضنا أن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي أمر أبا بكر بالصلاة بالناس، فإن الروايات التي تصرح بأنه «صلى الله عليه وآله» خرج على تلك الحال من معاناة شدة المرض، حتى كانت رجلاه تخطان في الأرض (1)، فعزله وصلى هو بالناس ثابتة بلا ريب.

و لا مجال لدعوى: أن حركته هذه هي نتيجة شدة اهتمامه «صلى الله

ص: 326

1- مسند أحمد ج 1 ص 356 و ج 6 ص 210 و 224 و المبسوط للسرخسي ج 1 ص 214 و المحلى لابن حزم ج 3 ص 64 و صحيح مسلم ج 2 ص 23 و سنن ابن ماجه ج 1 ص 389 و 391 و سنن النسائي ج 2 ص 99 و السنن الكبرى للبيهقي ج 2 ص 304 و ج 3 ص 81 و عمدة القاري ج 5 ص 186 و المصنف لابن أبي شيبة ج 2 ص 227 و مسند ابن راهويه ج 3 ص 831 و السنن الكبرى للنسائي ج 1 ص 293 و صحيح ابن خزيمة ج 3 ص 53 و شرح معاني الآثار ج 1 ص 406 و صحيح ابن حبان ج 5 ص 489 و معرفة السنن والآثار ج 2 ص 356 و التمهيد لابن عبد البر ج 22 ص 317 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 3 ص 179 و أسد الغابة ج 3 ص 221 و تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 439 و إمتاع الأسماع ج 14 ص 453.

عليه وآله» بأمر الصلاة، فإن الشدائد المرضية التي كان يعاني منها كانت توجب عليه أن لا يتحمل هذا الجهد، فهو قد احتاج إلى رجلين ليساعده على الوصول إلى موضع الصلاة، على تلك الحال الصعبة من الضعف، والجهد البالغ، حتى لقد كانت رجلاه تخطان بالأرض.

كما لا مجال لحمل ذلك على إرادة تكريم أبي بكر، فإن تكريمه لا يكون بعزله عن الصلاة، كما أنه كان يمكن تكليمه بما لا يوجب للنبي «صلى الله عليه وآله» هذا الجهد، فلا بد من حمله على أنه «صلى الله عليه وآله» كان مأمورا بهذا العزل، ولعله كان مأمورا بذلك النصب أولا أيضا، لأن الله تعالى أراد أن يعلم الأمة بأن هذا الرجل ليس أهلا لما يطمح له من نيل الخلافة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

ولعلك تقول: إن هذا لو صح لكان عقوبة لأبي بكر قبل ارتكابه أية جناية. وهو غير معقول، ولا مقبول، ولا سيما من الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله»، الذي لا ينطق عن الهوى!

ونجيب: بأن القول: إن أبا بكر لم يرتكب ما يوجب هذه العقوبة غير صحيح، فإن مساعيه لنقض التدبير الإلهي في علي «عليه السلام»، كانت واضحة للعيان، ولم ينس الناس بعد ما فعله هو وقريش في منى وفي عرفات في حجة الوداع.

بل إن نفس تخلفه عن جيش أسامة، ومعصيته المتواصلة لله ولرسوله في ذلك، يكفي لمواجهته بحرمانه من نفس ذلك الذي دعاه إلى هذه المخالفة. وهو العزل عن إمامة الصلاة، وإعلام الناس بعدم أهليته لها، واستحقاقه للعزل عنها. فمن كان بهذه المثابة، فهل يرضاه الله للمقام الأعظم، والأجل والأفخم؟!

عن عائشة قالت: «إن من أنعم الله عليّ أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» توفي في بيتي وبين سحري و نحري» (1).

ص: 331

1- سبل الهدى والرشاد ج 8 ص 28 ج 12 ص 261 عن الشيخين، وعن ابن سعد. وراجع: المجموع للنووي ج 16 ص 429 و مسند أحمد ج 6 ص 48 و صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج 4 ص 45 و ج 5 ص 141 و 142 و المستدرک للحاكم ج 4 ص 6 و 7 و فتح الباري ج 8 ص 106 و ج 10 ص 492 و فتح الباري (المقدمة) ص 370 و عمدة القاري ج 15 ص 29 و ج 18 ص 70 و 71 و ج 22 ص 221 و المصنف لابن أبي شيبة ج 7 ص 529 و مسند ابن راهويه ج 3 ص 661 و مسند أبي يعلى ج 8 ص 77 و صحيح ابن حبان ج 14 ص 584 و ج 16 ص 53 و المعجم الكبير ج 23 ص 32 و 34 و كنز العمال ج 13 ص 697 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 234 و 261 و العلل لأحمد بن حنبل ج 2 ص 407 و ضعفاء العقيلي ج 2 ص 249 و الثقات ج 2 ص 133 و تاريخ بغداد ج 12 ص 362 و تاريخ مدينة دمشق ج 36 ص 306 و 307 و تذكرة الحفاظ ج 1 ص 231 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 189 و ج 7 ص 434 و البداية و النهاية ج 5 ص 260 و 289 و إمتاع الأسماع ج 14 ص 499 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 475 و 533 و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 470.

وفي رواية: «بين حاقنتي وذاقنتي (1)» (2).

وفي رواية: «و جمع الله بين ريقى وريقه عند موته» (3).

ص: 332

1- بين حاقنتي وذاقنتي: وهو ما بين اللحيين، ويقال: الحاقنة ما سفل من البطن (الصحيح للبخاري ج 5 ص 2103). الحاقنة: أسفل من الذقن، والذاقنة طرف الحلقوم والسحر الصدر، والنحر محل الذبح، والمراد: أنه عليه الصلاة والسلام توفي ورأسه بين حنكها و صدرها (شرح مسند أبي حنيفة ص 255).

2- راجع: سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 261 و مسند أحمد ج 6 ص 64 و 77 و صحيح البخاري ج 5 ص 139 و 140 و سنن النسائي ج 4 ص 7 وفتح الباري ج 8 ص 106 و ج 11 ص 312 وعمدة القاري ج 18 ص 65 و 68 و السنن الكبرى للنسائي ج 1 ص 602 و ج 4 ص 260 و شرح مسند أبي حنيفة ص 255 و نصب الراية ج 1 ص 59 و المعجم الأوسط ج 8 ص 333 و كتاب الوفاة للنسائي ص 50 و راجع: البداية والنهاية ج 5 ص 257 و إمتاع الأسماع ج 14 ص 497 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 471 و راجع: المراجعات للسيد شرف الدين ص 305 و شرح مسند أبي حنيفة ص 255.

3- راجع: سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 261 و المجموع للنووي ج 16 ص 429 و مسند أحمد ج 6 ص 48 و صحيح البخاري ج 4 ص 45 و ج 5 ص 141 و 142 و المستدرک للحاكم ج 4 ص 7 وعمدة القاري ج 15 ص 29 و ج 18 ص 70 و 71 و مسند ابن راهويه ج 3 ص 661 و 989 و مسند أبي يعلى ج 8 ص 77 و صحيح ابن حبان ج 14 ص 584 و 585 و ج 16 ص 53 و المعجم الكبير ج 23 ص 32 و 34 و كنز العمال ج 13 ص 697 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 234 و الثقات لابن حبان ج 2 ص 133 و تاريخ مدينة دمشق ج 36 ص 306 و 307 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 189.

وفي رواية: «دخل علي عبد الرحمن ويده السواك وأنا مسندة رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى صدري، فرأيتَه ينظر إليه، فعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك، فأشار برأسه، أي نعم، فقصمته ثم مضغته ونقضته فأخذه، فاستن به أحسن ما كان مستنًا (1)».

ونقول:

إن هذا الكلام غير صحيح، فإن نفس النبي «صلى الله عليه وآله» قد فاضت وهو على صدر علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، ويدل على ذلك ما يلي: 1- إن عليا «عليه السلام» يقول: «فلقد وسدتك في ملحودة قبرك، وفاضت بين سحري وصدري نفسك، إنا لله وإنا إليه راجعون (2)».

ص: 333

-
- 1- سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 261 عن الشيخين، وعن ابن سعد، وراجع: صحيح البخاري ج 5 ص 141 وفتح الباري ج 8 ص 106 وعمدة القاري ج 18 ص 70 والمعجم الكبير ج 23 ص 32 وضعفاء العقيلي ج 2 ص 250 وتاريخ مدينة دمشق ج 36 ص 307 والبداية والنهاية ج 5 ص 260 وإمتاع الأسماع ج 14 ص 498 والسيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 475.
 - 2- نهج البلاغة (بشرح عبده) ج 2 ص 182 والبحار ج 22 ص 542 وج 43 ص 193 والمراجعات للسيد شرف الدين ص 330 والكافي ج 1 ص 459 وروضة الواعظين ص 152 ومصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) للميرجهاني ج 2 ص 215 والغدير ج 9 ص 374 ودلائل الإمامة للطبري (الشيعة) ص 138 وشرح النهج للمعتزلي ج 10 ص 265 و 266 وقاموس الرجال ج 12 ص 324 وكشف الغمة ج 2 ص 127 وشرح إحقاق الحق ج 10 ص 481 وج 25 ص 551 وج 33 ص 385.

2- وقال «عليه السلام»: «إن آخر ما قال النبي: الصلاة، الصلاة، إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان واضعاً رأسه في حجري، فلم يزل يقول: الصلاة، الصلاة، حتى قبض» (1).

3- وقال «عليه السلام» أيضاً: «ولقد قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله» وإن رأسه لعلى صدري» (2).

4- وفي خطبة له «عليه السلام» قال: «. . . ولقد قبض النبي «صلى الله عليه وآله» وإن رأسه لفي حجري، ولقد وليت غسله بيدي، تغلبه الملائكة المقربون معي. . .» (3).

5- ما رواه ابن سعد بسنده إلى الشعبي، قال: «توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ورأسه في حجر علي» و مثله عن أبي رافع (4).

ص: 334

1- خصائص الأئمة للشيخ الرضي ص 51.

2- نهج البلاغة (بشرح عبده) ج 2 ص 172 و مستدرك الوسائل ج 2 ص 495 و البحار ج 22 ص 540 و ج 34 ص 109 و ج 38 ص 320 و مناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرازي ص 222 و المراجعات للسيد شرف الدين ص 330.

3- الأمالي للمفيد ص 23 و البحار ج 32 ص 595 و ج 34 ص 147 و ج 74 ص 397 و جامع أحاديث الشيعة ج 3 ص 146 و مستدرك سفينة البحار ج 10 ص 117 و شرح النهج للمعتزلي ج 10 ص 179 و 182 و ينابيع المودة ج 3 ص 436.

4- الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 263 و فتح الباري ج 8 ص 107 و عمدة القاري ج 18 ص 66 و 71 و المراجعات للسيد شرف الدين ص 329 و راجع: علل الشرائع للصدوق ج 1 ص 168 و البحار ج 22 ص 459 و مجمع الزوائد ج 1 ص 293.

ملك الموت يستأذن على النبي صلى الله عليه وآله:

وروي أن جبرئيل «عليه السلام» قال للنبي «صلى الله عليه وآله»: إن ملك الموت يستأذن عليك، وما استأذن أحدا قبلك ولا بعدك.

فأذن له، فدخل وسلم عليه، وقال: يا أحمد، إن الله تعالى بعثني إليك لأطيعك، أقبض أو أرجع؟!

فأمره فقبض (1).

وفي نص آخر عن الإمام السجاد «عليه السلام»: أنه «صلى الله عليه وآله» قال له: أتفعل ذلك يا ملك الموت.

قال: نعم، بذلك أمرت أن أطيعك فيما تأمرني.

فقال له جبرئيل: يا أحمد، إن الله تبارك وتعالى قد اشتاق إلى لقائك.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا ملك الموت امض لما أمرت له.

فقال جبرئيل: هذا آخر وطني الأرض، إنما كنت حاجتي من الدنيا (2).

قال المجلسي: لعل المراد: آخر نزولي لتبليغ الرسالة، فلا ينافي الأخبار الدالة على نزوله بعد ذلك (3).

وفي نص آخر: أنه استأذن على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بصفة

ص: 335

1- البحار ج 22 ص 322 وراجع 532 و 533 و 334 عن المناقب لابن شهر آشوب ج 1 ص 303-306 وعن كشف الغمة ص 6-8.

2- البحار ج 22 ص 305 وراجع ص 532 و 533 و 334 عن أمالي الصدوق ص 165 و 166 وعن كشف الغمة ص 6-8.

3- البحار ج 22 ص 505 و الأمالي للصدوق ص 349 و روضة الواعظين ص 72.

رجل غريب جاء يسأل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقالت له فاطمة «عليها السلام»: إن رسول الله مشغول عنك. فرجع، ثم عاد فاستأذن، فسمعه النبي «صلى الله عليه وآله»، فأخبر فاطمة «عليها السلام» بأنه ملك الموت، فأذنت له، فدخل، وقبض روح رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فراجع (1).

يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله:

تضاربت الأقوال في وقت وفاة النبي «صلى الله عليه وآله»:

فقليل: توفي يوم الإثنين من غير تحديد (2).

وقيل: توفي يوم الإثنين حين زاغت الشمس، أي: ظهرا (3).

ص: 336

1- البحار ج 22 ص 528 عن مناقب آل أبي طالب ج 3 ص 116 والأنوار البهية ص 38 و مجمع النورين الشيخ أبو الحسن المرندي ص 69.

2- البداية و النهاية ج 5 ص 292 و سبل السلام ج 1 ص 12 و التنبيه و الإشراف ص 244 و البحار ج 22 ص 514 و سبل السلام ج 2 ص 111 و تاج المواليد (المجموعة) للطبرسي ص 7 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 441.

3- تنوير الحوالك ص 238 و عمدة القاري ج 8 ص 218 و ج 18 ص 60 و ناسخ الحديث و منسوخه ص 384 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 273 و 274 و 305 و 441 و البداية و النهاية ج 5 ص 275 و إمتاع الأسماع للمقريزي ج 14 ص 473 و 588 و أعيان الشيعة ج 1 ص 295 و عيون الأثر ج 2 ص 434 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 506 و سبل الهدى و الرشاد ج 12 ص 305 و 333 و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 473 و كنز العمال ج 10 ص 575 و البحار ج 22 ص 511 و 535 و ج 55 ص 364.

وقيل: توفي يوم الإثنين قبل أن ينتصف النهار (1).

وقيل: توفي يوم الإثنين في الضحى، و جزم به ابن إسحاق.

وقيل: الأكثر على أنه اشتد الضحى (2).

وقيل: توفي آخر يوم الإثنين (3).

متى دفن النبي صلى الله عليه وآله؟! :

وتضاربت الأقوال أيضا في وقت دفن النبي «صلى الله عليه وآله» :

ف قيل: دفن يوم الأربعاء، أي بقي ثلاثة أيام لم يدفن، وكان يدخل عليه

ص: 337

-
- 1- البداية و النهاية ج 5 ص 271 و 275 و 292 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 484 و 498 و 506 و 539 و أسد الغابة ج 1 ص 34 و السيرة الحلبيه (ط دار المعرفة) ج 3 ص 494 و عمدة القاري ج 8 ص 219.
 - 2- سبل الهدى و الرشاد ج 12 ص 305 عن المنهل، و راجع: فتح الباري ج 8 ص 110 و الغدير ج 5 ص 343 و الجامع لأحكام القرآن ج 18 ص 98 و تهذيب الكمال ج 1 ص 190 و سير أعلام النبلاء ج 10 ص 620 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 105 و 437 و النزاع و التخاصم ص 78 و إمتاع الأسماع ج 14 ص 480.
 - 3- البداية و النهاية ج 5 ص 275 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 506 و سبل الهدى و الرشاد ج 12 ص 246 و كنز العمال ج 7 ص 261 و البحار ج 28 ص 144 و الشمائل المحمدية ص 327 و السنن الكبرى للنسائي ج 1 ص 261 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 216 و سير أعلام النبلاء ج 10 ص 620 و خاتمة المستدرک للنوري ج 2 ص 426.

الناس أرسالا أرسالا، يصلون، لا يصفون، ولا يؤمهم عليه أحد (1).

و يصف ابن كثير هذا القول: بأنه من الأقوال الغريبة (2).

ولا شك في غرابته، وقد ندب الإسلام إلى الإسراع في دفن الميت، فلماذا يخالف المسلمون هذا المستحب في حق نبيهم بالذات؟!

وروي عن عائشة أنها قالت: «ما علمنا بدفن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى سمعنا صوت المساحي في جوف ليلة الأربعاء» (3).

وقد تعجب ابن أبي الحديد من هذه الرواية أيضا، فهو يقول: «قلت:

ص: 338

1- البداية و النهاية ج 5 ص 292 و سبل الهدى و الرشاد ج 12 ص 330 و 333 و راجع: تنوير الحوالك ص 238 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 273 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 540.

2- البداية و النهاية ج 5 ص 292 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 540 و راجع: تنوير الحوالك ص 238 و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 494.

3- البداية و النهاية ج 5 ص 270 و 291 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 505 و 538 و نيل الأوطار للشوكاني ج 4 ص 137 و السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 242 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 542 و 455 و الكامل في التاريخ ج 5 ص 270 و أسد الغابة ج 1 ص 34 و السنن الكبرى للبيهقي ج 3 ص 409 و مسند ابن راهويه ج 2 ص 430 و التمهيد لابن عبد البر ج 24 ص 396 و أسد الغابة ج 1 ص 34 و شرح النهج للمعتزلي ج 13 ص 39 و ناسخ الحديث و منسوخه ص 285 و تنوير الحوالك ص 240 و نيل الأوطار ج 4 ص 137 و مسند أحمد ج 6 ص 62 و 242 و 274 و عمدة القاري ج 8 ص 121 و المصنف لابن أبي شيبة ج 3 ص 227 و شرح معاني الآثار ج 1 ص 514 و الاستذكار لابن عبد البر ج 3 ص 56 و الإستيعاب (ط دار الجيل) ج 1 ص 47.

و هذا أيضا من العجائب، لأنه إذا مات يوم الإثنين وقت ارتفاع الضحى - كما ذكر في الرواية - و دفن ليلة الأربعاء وسط الليل، فلم يمض عليه ثلاثة أيام كما ورد في تلك الرواية» (1).

ونقول:

و الصحيح هو: أن تعجبه هذا في غير محله، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» قد دفن بعد وفاته بساعات يسيرة، وقبل أن يفرغ أهل السقيفة من سقيفتهم كما سنرى.

ثم هو يتابع فيقول:

و أيضا فمن العجب كون عائشة، و هو في بيتها لا - تعلم بدفنه حتى سمعت صوت المساحي، أتراها أين كانت؟! و قد سألت عن هذا جماعة، فقالوا: لعلها كانت في بيت يجاور بيتها عندها نساء، كما جرت عادة أهل الميت: و تكون قد اعتزلت بيتها، و سكنت ذلك البيت، لأن بيتها مملوء بالرجال من أهل رسول الله «صلى الله عليه وآله» و غيرهم من الصحابة، و هذا قريب (2).

و لكننا نقول للمعتزلي:

بل السبب هو: أن الموضع الذي دفن فيه النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن لعائشة، وإنما هو بيت فاطمة «عليها السلام»، حسبما سيأتي بيانه و إثباته بالأدلة الظاهرة، و البراهين القاهرة، و الحقائق الباهرة. و لم تكن

ص: 339

1- شرح النهج للمعتزلي ج 13 ص 40.

2- شرح النهج للمعتزلي ج 13 ص 40.

عائشة تحب أن يطول مكثها في بيت الزهراء «عليها السلام» ، لأسباب معروفة. .

وقيل: توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم الإثنين، ودفن يوم الثلاثاء (1)، حين زالت الشمس (2).

القول الأصوب والأصح:

والصحيح هو: ما روي عن أهل البيت «عليهم السلام» بلا شك، كما سيأتي من أن بيعتهم قد تمت بعد دفنه «صلى الله عليه وآله» . . و لعل فراغهم من السقيفة قد حصل ليلة الثلاثاء، لا سيما وأنهم قد انتظروا أبا بكر حتى رجع من السنح، ثم ذهبوا إلى السقيفة بعد رجوعه. و لعل هذا يفسر ما ورد في الروايات التالية:

روى الواقدي، عن أبي بن عباس بن سهل بن سعد، عن أبيه قال:

ص: 340

-
- 1- كنز العمال ج 7 ص 270 و 271 و المصنف لابن أبي شيبة ج 8 ص 569 و راجع: مسند أبي يعلى ج 1 ص 31 و البداية و النهاية ج 5 ص 292 عن ابن أبي الدنيا، و كتاب الموطأ لمالك ج 1 ص 23 و تنوير الحوالك ص 238 و حاشية رد المحتار ج 1 ص 590 و عمدة القاري ج 8 ص 244 و الشرائع للمحمدي ص 204 و الإستذكار لابن عبد البر ج 3 ص 53 و 54 و التمهيد لابن عبد البر ج 24 ص 394 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 273 و 274 و 305.
 - 2- الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 305 و ج 3 ص 8 و الإستيعاب لابن عبد البر ج 1 ص 47 و ناسخ الحديث و منسوخه ص 384 و أسد الغابة ج 1 ص 34 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 442.

توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم الإثنين، ودفن ليلة الثلاثاء (1).

وروى ابن سعد والبيهقي، عن عائشة، قالت: ما علمنا بدفن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى سمعنا صوت المساحي ليلة الثلاثاء في السحر (2).

وعن الزهري قال: دفن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليلاً. قال شيوخ من الأنصار في بني غنم: سمعنا صوت المساحي آخر الليل، ليلة الثلاثاء (3).

وروى ابن كثير، عن هشام، عن أبيه، عن عروة بن الزبير قال: توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم الإثنين، وغسل يوم الإثنين، ودفن ليلة الثلاثاء (4).

ص: 341

-
- 1- البداية والنهاية ج 5 ص 292 و تاريخ مدينة دمشق ج 3 ص 68 و كنز العمال ج 12 ص 445 و إمتاع الأسماع ج 14 ص 584 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 540 و 541.
 - 2- الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 305 و تاريخ الخميس ج 1 ص 191 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 1 ص 327 و سبل الهدى و الرشاد ج 12 ص 336 عنه، وعمدة القاري ج 8 ص 121 و نصب الراية ج 2 ص 359 و إمتاع الأسماع ج 14 ص 587.
 - 3- الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 305 عن الواقدي، وراجع: الشمانل المحمدية للترمذي ص 204.
 - 4- البداية والنهاية ج 5 ص 292 و إمتاع الأسماع ج 14 ص 584 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 540.

وقال المجلسي «رحمه الله» :

ووضع خده على الأرض، موجهها إلى القبلة على يمينه، ثم وضع عليه اللبن، وأهال عليه التراب، وكان ذلك في يوم الإثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة عشر من هجرته «صلى الله عليه وآله»، وهو ابن ثلاث وستين سنة (1).

وروى ابن سعد عن ابن شهاب قال:

توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين زاغت الشمس يوم الإثنين، فشغل الناس عن دفنه بشبان الأنصار، فلم يدفن حتى كانت العتمة، ولم يله إلا أقاربه، ولقد سمعت بنو غنم صريف المساحي حين حفر لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإنهم لفي بيوتهم (2).

يضاف إلى ما تقدم: سؤال علي «عليه السلام» حين فرغ من دفن رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن خبر أهل السقيفة (3).

ويمكن أن نستخلص مما قدمناه:

أننا إذا أخذنا بالرواية التي تقول: بأن وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» كان آخر يوم الإثنين. وأخذنا بالرواية التي تقول: بأن دفنه «صلى الله عليه وآله» كان نفس اليوم عند العتمة، وأنهم لم يعرفوا بدفنه إلا حين سمعوا صوت المساحي، نخرج بنتيجة مفادها: أن تجهيزه، وتغسيله، وتكفينه، ودفنه «صلى الله عليه وآله» منذ أن قبضه الله لم يستغرق إلا نحو ساعتين، أو

ص: 342

1- البحار ج 22 ص 519.

2- الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 304 والتمهيد لابن عبد البر ج 24 ص 396.

3- راجع: الأمالي للسيد المرتضى ج 1 ص 198.

فقل ساعات قليلة.

وإن كل ما قالوه من بقاءه مسجى نحو يوم أو يومين، أو ثلاثة أيام غير صحيح، بل يتبين من مجموع ما ذكر أن ادّعائهم أن أهل السقيفة قد شاركوا في تجهيزه من تغسيل و تكفين غير صحيح أيضا.

يوم و شهر وفاة النبي صلى الله عليه وآله:

عن ابن شهاب قال: توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول (1).

قال السهيلي وابن كثير والحافظ: لا خلاف أنه «صلى الله عليه وآله» توفي يوم الإثنين في ربيع الأول (2).

وقال الأكثر: في الثاني عشر منه (3).

وعند ابن عقبة، والليث والخوارزمي: من هلال ربيع الأول (4).

ص: 343

1- راجع: سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 305 و تنوير الحوالك ص 238 و الأملالي للطوسي ص 266 و مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج 1 ص 152 و البحار ج 22 ص 506 و إمتاع الأسماع ج 2 ص 134 و تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 455 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 273.

2- راجع: سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 305 و تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 441. و راجع: البداية والنهاية ج 5 ص 275 و فتح الباري ج 8 ص 98 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 505 و تنوير الحوالك ص 238 و التمهيد لابن عبد البر ج 24 ص 395.

3- راجع: سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 305 و فتح الباري ج 8 ص 98.

4- راجع: سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 305 و فتح الباري ج 8 ص 98 و إمتاع الأسماع ج 2 ص 126.

وعند أبي مخنف و الكلبي: في ثانيه، و جزم به سليمان بن طرخان في «مغازيه» ، و رواه ابن سعد عن محمد بن قيس، و رواه ابن عساكر، عن سعيد بن إبراهيم عن الزهري، و عن أبي نعيم الفضل بن دكين، و رجحه السهيلي (1).

أضاف الصالحي الشامي قوله:

و على القولين يتنزل ما نقله الرافعي: أنه عاش بعد حجته ثمانين يوما.

وقيل: إحدى و ثمانين، و أما على ما جزم به النووي فيكون عاش بعد حجته تسعين يوما، أو إحدى و تسعين يوما.

و استشكل السهيلي و تابعه غير واحد ما عليه الأكثر من كونه «صلى الله عليه و آله» مات يوم الإثنين ثاني عشر ربيع الأول، و ذلك أنهم اتفقوا على أن وقفة عرفة في حجة الوداع كانت يوم الجمعة، و هو التاسع من ذي الحجة، فدخل ذي الحجة يوم الخميس، فكان المحرم إما الجمعة و إما السبت، فإن كان الجمعة فقد كان صفر إما السبت و إما الأحد، و إن كان السبت فقد كان ربيع الأول الأحد أو الإثنين.

و كيفما دارت الحال على هذا الحساب فلم يكن الثاني عشر من ربيع الأول بوجه.

و قول أبي مخنف و الكلبي، و إن كان خلاف (أهل)الجمهور، فإنه لا يبعد أن كانت الثلاثة الأشهر التي قبله كلّها تسعة و عشرين فتدبره، فإنه صحيح.

ص: 344

1- راجع كتاب: النص و الإجتهد ص 156-163 و إمتاع الأسماع ج 2 ص 126 و فتح الباري ج 8 ص 98.

وقول ابن عقبة و الخوارزمي أقرب في القياس من قول أبي مخنف و من تابعه.

قال ابن كثير: وقد حاول جماعة الجواب عنه، و لا يمكن الجواب عنه إلا بمسلك واحد، و هو اختلاف المطالع، بأن يكون أهل مكة رأوا هلال ذي الحجة ليلة الخميس، و أما أهل المدينة فلم يروه إلا ليلة الجمعة.

و يؤيد هذا قول عائشة وغيرها: خرج رسول الله «صلى الله عليه و آله» لخمس بقين من ذي القعدة، يعني: من المدينة إلى حجة الوداع.

(و يتعين بما ذكرناه: أنه خرج يوم السبت، و ليس كما زعم ابن حزم أنه خرج يوم الخميس، لأنه قد بقي أكثر من خمس بلا شك، و لا جائز أن يكون خرج يوم الجمعة لأن أنسا قال: صلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» الظهر بالمدينة أربعا و العصر بذي الحليفة ركعتين، فتعين أنه خرج يوم السبت لخمس بقين).

فعلى هذا إنما رأى أهل المدينة هلال ذي الحجة ليلة الجمعة، و إذا كان هلال ذي الحجة عند أهل المدينة الجمعة، و حسبت الشهور بعده كوامل يكون أول ربيع الأول يوم الخميس، فيكون ثاني عشر يوم الإثنين (1).

ونقول:

إننا نشير هنا إلى الأمور التالية:

ص: 345

لقد ذكر أكثر الإمامية: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قبض يوم الإثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهو قول الشيخ الطوسي وغيره (1).

لكن الكليني يقول: قبض لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول (2).

وما ذكروه آنفا: من أنه «صلى الله عليه وآله» قد توفي بعد حجه بثمانين، أو بإحدى وثمانين يوما يتوافق مع ما عليه أكثر الإمامية، من أنه توفي في الثامن والعشرين من صفر، إذا كان مبدأ حساب الثمانين من يوم عرفة «فإن الحجة عرفة» كما رووا (3).

ص: 346

1- الإرشاد للمفيد ج 1 ص 189 و تاج المواليد (المجموعة) للطبرسي ص 7 و وصول الأختيار إلى أصول الأخبار لوالد البهائي العاملي ص 41 و الأنوار البهية ص 41 و البحار ج 22 ص 514 و 531 و تفسير مجمع البيان للطبرسي ج 2 ص 214 و الدروس للشهيد الأول ج 2 ص 6 و جواهر الكلام ج 20 ص 79 و راجع: تهذيب الأحكام ج 6 ص 2 و تحرير الأحكام ج 2 ص 118 و المقنعة للمفيد ص 456 و روضة الواعظين ص 71 و الصراط المستقيم ج 3 ص 147 و كتاب الأربعين للشيرازي ص 277.

2- الكافي ج 1 ص 439 و البحار ج 22 ص 514 و 521.

3- راجع: مسند أحمد ج 4 ص 309 و سنن ابن ماجه ج 2 ص 1003 و سنن الترمذي ج 2 ص 188 و ج 5 ص 416 و سنن النسائي ج 5 ص 256 و المستدرك للحاكم ج 1 ص 464 و ج 2 ص 278 و السنن الكبرى للنسائي ج 5 ص 173 و المجموع للنووي ج 7 ص 414 و ج 8 ص 95 و 224 و فتح الوهاب ج 1 ص 251 و 258 و مغني المحتاج ج 1 ص 493 و 498 و إمتاع الأسماع ج 14 ص 543 و إعانة الطالبين ج 2 ص 325 و المبسوط للسرخسي ج 4 ص 18 و تحفة الأحوذى ج 1 ص 406 و المغني لابن قدامة ج 3 ص 428 و 441 و ج 3 ص 549 و الشرح الكبير لابن قدامة ج 3 ص 435 و 441 و 507 و كشف القناع ج 2 ص 604 و 607 و المحلى لابن حزم ج 7 ص 121 و تلخيص الحبير ج 7 ص 361 و ج 8 ص 48 و سبل السلام ج 2 ص 209 و نيل الأوطار ج 5 ص 136 و فتح الباري ج 7 ص 99 و ج 8 ص 83 و عمدة القاري ج 16 ص 282 و ج 18 ص 41 و المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج 5 ص 533 و تفسير العز بن عبد السلام ج 3 ص 501 و الجامع لأحكام القرآن ج 20 ص 233 و تفسير القرآن العظيم ج 20 ص 233 و التسهيل لعلوم التنزيل ج 4 ص 221 و تفسير البحر المحيط ج 8 ص 524 و تفسير الثعالبي ج 5 ص 635.

فإذا فرضنا: أن الأشهر كانت تامة، أو كان اثنان منهما تامين فالباقي من شهر ذي الحجة هو واحد وعشرون يوما تضاف إلى تسعة و خمسين يوما، فيصير المجموع ثمانين يوما، وإذا حسبت الشهور كوامل كان المجموع إحدى و ثمانين يوما. .

و أما بالنسبة لتطابق الأيام على يوم الإثنين، فليس بالأمر المهم، لأن ما ذكرناه في تحديد يوم عرفة غير دقيق، كما ذكرناه حين الحديث عن يوم الغدير فراجع.

ملاحظة:

ما ورد في بعض النصوص من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد استشهد في سنة عشر، وفي البعض الآخر في سنة إحدى عشر، لعله يرجع

ص: 347

إلى أن أحد الفريقين قد لا حظ السنة الهجرية بمعناها الواقعي. أي التي مبدؤها ربيع الأول و الآخرون جروا على ما استجد من التغيير الذي قام به عمر ابن الخطاب حيث أبطل ما كان رسول الله صنعه، واعتبر أول السنة هو شهر المحرم حسبما ذكرناه في الأجزاء الأولى من هذا الكتاب.

كم عاش رسول الله صلى الله عليه وآله:

إن المشهور و المعتمد لدى العلماء أنه «صلى الله عليه وآله» قد استشهد وعمره ثلاث و ستون سنة. و صرحوا: بأن هذا هو الصحيح، أو هو الأصح و الأشهر (1).

بل قال بعضهم: اتفق العلماء على أن أصح الروايات ثلاث و ستون سنة (2).

و حكى بعضهم عن ابن عباس قوله: بأنه «صلى الله عليه وآله» عاش

ص: 348

-
- 1- سبل الهدى و الرشاد ج 11 ص 275 و ج 12 ص 307 عن ابن عساكر و النووي، و تحفة الأحوذى ج 10 ص 93 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 453 و الهداية الكبرى للخصيبي ص 38 و الوفيات لابن الخطيب ص 23 و المجدي في أنساب الطالبين ص 5 و البحار ج 55 ص 362 و 364 و الغدير ج 7 ص 271 عن المعارف لابن قتيبة ص 75 و (ط دار المعارف) ص 172 و مقدمة ابن الصلاح ص 216 و شرح مسلم ج 15 ص 99 و عمدة القاري ج 18 ص 76 و شرح مسند أبي حنيفة ص 223.
 - 2- سبل الهدى و الرشاد ج 12 ص 308 عن الحاكم في الإكليل، و النووي، و الغدير ج 7 ص 271 عن المعارف لابن قتيبة ص 75 و شرح مسلم ج 15 ص 99 و عمدة القاري ج 18 ص 76.

لكن أكثر الروايات عن ابن عباس تذكر: أنه «صلى الله عليه وآله» عاش ثلاثا وستين سنة.

وعن أنس: أنه عاش ستين سنة فقط (2).

وروي عنه أيضا: أنه عاش ثلاثا وستين سنة.

عاش أبو بكر وعمر ثلاثا وستين:

وقد حاول البعض أن يزعم: أن أبا بكر وعمر، قد عاشا أيضا ثلاثا وستين سنة، للإيهام بأن ثمة توافقا فيما بينهما وبين رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى في العمر، فضلا عما سوى ذلك، فعن أنس أنه قال: «قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقبض أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقبض عمر وهو ابن ثلاث وستين سنة» (3).

ص: 349

- 1- سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 307 و 308 عن أحمد ومسلم والحاكم في الإكليل، وفي هامشه عن مسلم ج 4 ص 1827 (121/2353) وشرح مسند أبي حنيفة ص 223 وعمدة القاري ج 18 ص 76 وراجع: الغدير ج 7 ص 271 عن: تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 125 و ج 4 ص 47 والإستيعاب ج 1 ص 335 وشرح مسلم ج 15 ص 99 والمجدي في أنساب الطالبين ص 10.
- 2- سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 307 عن ابن سعد، والحاكم في الإكليل، وابن شبة، وشرح مسلم للنووي ج 15 ص 99 وعمدة القاري ج 18 ص 76 وشرح مسند أبي حنيفة ص 223.
- 3- سبل الهدى والرشاد ج 11 ص 275 و ج 12 ص 307 عن مسلم، وقال في هامشه: أخرجه مسلم ج 4 ص 1825 في الفضائل (114/2348) وراجع حول سن أبي بكر: الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج 1 ص 335 والمعارف لابن قتيبة ص 75 وقد ادعى الاتفاق على ذلك. وراجع: مقدمة ابن الصلاح ص 216 و تاريخ مدينة دمشق ج 30 ص 456 والوفيات لابن الخطيب ص 26 وأسد الغابة ص 223 و مرآة الجنان ج 1 ص 65 و 69 و مجمع الزوائد ج 9 ص 60 والإصابة ج 2 ص 341-344 والغدير ج 7 ص 176 وعن تقدم، و عن المصادر التالية: الكامل لابن الأثير ج 1 ص 185 و ج 2 ص 176 و عيون الأثر ج 1 ص 43 و السيرة الحلبية ج 3 ص 396 و تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 125 و ج 4 ص 47 و السيرة النبوية لابن هشام ج 1 ص 205 وراجع: شرح مسند أبي حنيفة ص 197 و المعارف لابن قتيبة ص 171.

عن ابن عباس: «أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنزل عليه وهو ابن أربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة، فهاجر إلى المدينة، فمكث بها عشر سنين، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة» (1).

وعن معاوية بن أبي سفيان قال: قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله»

ص: 350

1- سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 307 عن أحمد، والبخاري، ومسلم. وقال في هامشه: أخرجه البخاري ج 7 ص 162 (3851) (3902 و 3903) و (ط دار الفكر) ج 4 ص 253 و مسلم ج 4 ص 1826 في الفضائل (117-118/ 2351). و (ط دار الفكر) ج 7 ص 88 و راجع: مسند أحمد ج 1 ص 371 وعمدة القاري ج 17 ص 38 و الدر المنثور ج 3 ص 302 و فتح القدير ج 2 ص 432 و التاريخ الصغير للبخاري ج 1 ص 54 و التاريخ الكبير للبخاري ج 1 ص 10 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 1 ص 120 و البداية و النهاية ج 5 ص 279 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 513 و الآحاد و المثاني ج 1 ص 86.

وهو ابن ثلاث وستين، وأبو بكر، وعمر، وأنا ابن ثلاث وستين» (1).

ونقول:

أولاً: إن ما ذكره عن معاوية لا ينفعه شيئاً، فإنه قد مات وهو ابن سبع وسبعين سنة، ويقال: ثمان وسبعون، وقيل: ثمانون سنة (2).

وأما بالنسبة لعمر، فإنه وإن قيل: إنه عاش ثلاثاً وستين سنة، ولكننا نجد في المقابل من يقول: إنه عاش أربعاً وخمسين سنة (3).

وقال ابن إسحاق وابن عمر وغيرهما: خمساً وخمسين (4).

وعن الحاكم: توفي عمر بن الخطاب وهو ابن ستين سنة في أكثر الأقاويل (5).

وذكر الواقدي عن قيس بن الربيع، عن أبي إسحاق، عن عامر بن

ص: 351

-
- 1- سبل الهدى والرشاد ج 12 ص 307 عن مسلم، والطيالسي، وقال في هامشه: أخرجه مسلم ج 4 ص 1826 (119 و 120/2352) و (ط دار الفكر) ج 7 ص 88 وقوله (وأنا) أي وأنا متوقع موافقتهم، وأني أموت في سنتي هذه. وراجع: سنن الترمذي ج 5 ص 266 و شرح مسلم للنووي ج 15 ص 103 والمعجم الكبير ج 19 ص 305 وأسد الغابة ج 4 ص 78.
 - 2- تاريخ يعقوبي (ط مؤسسة الأعلمي) ج 2 ص 150 والإختصاص للمفيد ص 131 و توضيح المقاصد (المجموعة) للبهائي العاملي ص 10 و البحار ج 33 ص 172 والآحاد والمثاني ج 1 ص 373.
 - 3- تاريخ يعقوبي (ط مؤسسة الأعلمي) ج 2 ص 52 ومعرفة علوم الحديث للحاكم ص 202.
 - 4- المعارف لابن قتيبة ص 184 وأسد الغابة ج 4 ص 77 وتاريخ المدينة لابن شبة ج 3 ص 944.
 - 5- معرفة علوم الحديث للحاكم ص 202.

سعد قال: توفي عمر بن الخطاب و هو ابن ثلاث و ستين سنة، و لا أرى هذا إلا غلطا، و القول الصحيح هو الأول.

و قال المعتزلي: إنه عاش ثلاثا و ستين على أظهر الأقوال (1)، و هذا يشير أيضا إلى وجود أقوال متكررة في مقدار عمره.

و أما بالنسبة لأبي بكر، فما ذكره يتنافى أولا: مع ما رووه من أنه حين الهجرة ورد إلى المدينة و كان أبو بكر رديف رسول الله «صلى الله عليه و آله»، و أبو بكر شيخ يعرف، و النبي «صلى الله عليه و آله» شاب لا يعرف، فيلقى الرجل أبا بكر، فيقول: يا أبا بكر من هذا الغلام بين يديك؟!

فيقول: يهديني السبيل (2).

ثانيا: إنه ينافي ما رووه عن يزيد بن الأصم المتوفى بعد المائة عن ثلاث

ص: 352

1- شرح النهج للمعتزلي ج 12 ص 184.

2- راجع المصادر التالية: و صحيح البخاري (ط مشكول) باب الهجرة ج 6 ص 53 و (ط دار الفكر) ج 4 ص 259 و السيرة الحلبية ج 2 ص 41 و مسند أحمد ج 3 ص 287 و نيل الأوطار ج 9 ص 111 و عمدة القاري ج 17 ص 51 و المصنف لابن أبي شيبة ج 8 ص 460 و كنز العمال ج 7 ص 260 و المعارف لابن قتيبة ص 172 و البداية و النهاية ج 3 ص 245 و السيرة النبوية لابن كثير ج 2 ص 275 و سبل الهدى و الرشاد ج 3 ص 251 و إمتاع الأسماع ج 12 ص 122 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 1 ص 234 و الدر المنثور ج 3 ص 245 و إرشاد الساري ج 6 ص 214 و السيرة النبوية لابن هشام ج 2 ص 137 و المواهب اللدنية ج 1 ص 86 و عيون الأخبار لابن قتيبة ج 2 ص 202 و المعارف له ص 75 و الندير ج 7 ص 258 و عن الرياض النضرة ج 1 ص 78 و 79 و 80.

وسبعين سنة، من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لأبي بكر: أنا أكبر أو أنت؟!

قال: لا بل أنت أكبر مني وأكرم، وخير مني، وأنا أسن منك (1).

ثالثاً: زهير عن إسحاق قال: تمارى عبد الله بن عتبة ورجل من همدان، فقال الهمداني: أبو بكر أكبر من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقال عبد الله: لا بل رسول الله «صلى الله عليه وآله» أكبر من أبي بكر، توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو ابن ثلاث وستين، و توفي أبو بكر وهو ابن ستين، وقتل عمر وهو ابن ثلاث وستين، وأنا ابن سبع وخمسين (2).

ولكن ابن أبي عاصم طوّر هذه الرواية وقلب معناها رأساً على عقب فيما يبدو. فراجع (3).

رابعاً: لقد زعموا في قصة سفر النبي إلى الشام: أن أبا طالب أرجع النبي إلى مكة، وأرسل معه أبو بكر غلامه بلالا (4).

ص: 353

1- راجع: الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج 2 ص 226 والغدير ج 7 ص 270 عنه وعن الرياض النضرة ج 1 ص 16 وعن تاريخ الخلفاء ص 99 عن خليفة بن خياط، وأحمد بن حنبل، وابن عساكر، وتاريخ مدينة دمشق ج 30 ص 25 وقد روي نحو هذا الحديث عن العباس بن عبد المطلب أيضاً. وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج 30 ص 25 والآحاد والمثاني ج 1 ص 87 وتاريخ خليفة بن خياط ص 81 وكنز العمال ج 12 ص 514 وأسد الغابة ج 5 ص 150.

2- راجع: المصنف لابن أبي شيبة الكوفي ج 8 ص 44.

3- راجع: الآحاد والمثاني ج 1 ص 86.

4- راجع: الثقات لابن حبان ج 1 ص 44 والبداية والنهاية ج 2 ص 285 وتاريخ الأمم والملوك (ط الاستقامة) ج 2 ص 34 وتاريخ الخميس ج 2 ص 258 والسيرة الحلبية ج 2 ص 120 ومستدرک الحاكم، والبيهقي، وابن عساكر، والترمذي، وقال: حسن غريب. وفي السيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 49 أنه رجع إلى مكة، ومعه أبو بكر وبلال.

ونحن وإن كنا أثبتنا عدم صحة هذا الكلام سابقا، ولكننا نلزم به هنا من يلزم به نفسه.

وأما ما يقال من أن بعضهم سأل العباس: أنت أكبر أم رسول الله «صلى الله عليه وآله» ؟

فقال: هو أكبر مني، وأنا أسنّ منه، مولده أبعد عقلي، أتي إلى أمي، فقبل لها: ولدت آمنة غلاما، فخرجت بي حين أصبحت، آخذة بيدي حتى دخلنا عليهما، وكأني أنظر إليه يمصع (أي يتحرك) برجليه في عرصته، وجعل النساء يجبدنني عليه و يقلن: قبل أخاك (1).

فهو موضع شك، فإن الجواب لا يتطابق مع السؤال، لأنه سألته عن عدد السنين الذي يزيد بها عمره عن عمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، مع علمه بأن العباس هو الأكبر سنا، فما معنى أن يجيبه بأنه أسنّ من رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

ويلاحظ: أن هذه الرواية تظهر: أن عمره يزيد عن عمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» مقدارا معتدلا به من السنين.

و أما ما رواه ابن أبي شيبة عن نبيط قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»

ص: 354

1- راجع: تهذيب الكمال للمزي ج 14 ص 227 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 97 و راجع: تاريخ مدينة دمشق ج 26 ص 282.

وآله» للعباس: يا عماه! أنت أكبر مني؟!!

قال العباس: أنا أسن ورسول الله أكبر (1). فهو أيضا مشكوك فيه لأن من البعيد جدا أن لا يعرف النبي «صلى الله عليه وآله» أن عمه أكبر منه.

لماذا لا يذكرون عليا عليه السلام:

هذا. . ولا ندري لماذا لا يذكرون أن الذي طابق عمره عمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» على الحقيقة هو أخوه وصيه علي بن أبي طالب «عليه السلام» .

وهو الذي يتوقع أن يكون لتوافق عمره مع عمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» دلالات وإحياءات لها ارتباط بوصايته وبأخوته له، بل وبكونه نفس رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، كما نطقت به آية المباهلة كما لا يخفى .

وإن هذا الإهمال المتعمد لذكر علي «عليه السلام» ، وتعمد ذكر من لم تثبت له هذه الخصوصية من الأساس، يشير لدينا أكثر من سؤال واحتمال حول صحة واقعية ما زعموه لأبي بكر وعمر. . والحر تكفيه الإشارة.

ص: 355

1- راجع: كنز العمال ج 13 ص 519 و تاريخ مدينة دمشق ج 26 ص 282.

1-الفهرس الإجمالي

2-الفهرس التفصيلي

ص: 357

1-الفهرس الإجمالي

الفصل السابع: سورة المائدة متى نزلت و كيف؟ 5-62

الفصل الثامن: شبهات. . و أجوبتها 63-106

الفصل التاسع: الغدير في ظل التهديدات الإلهية 107-124

الباب الثاني عشر: مرض النبي صلّى الله عليه وآله و إستشهاده. . أحداث و سياسات الفصل الأول: مرض النبي صلّى الله عليه وآله و وصاياه 127-162

الفصل الثاني: سرية أسامة بن زيد 163-210

الفصل الثالث: الكتاب الذي لم يكتب 211-254

الفصل الرابع: تمحلات بالية و اعدار واهية 255-278

الفصل الخامس: عزل أبي بكر عن الصلاة 279-328

الفصل السادس: أحداث الوفاة في النصوص و الآثار 329-356

الفهارس: 357-368

ص: 359

الفصل السابع: سورة المائدة متى نزلت و كيف؟ ! لماذا تأخرت آية البلاغ عن آية إكمال الدين؟ 7!

مرتكرات الإيمان:7

النوع الأول:9

النوع الثاني:9

سورة المائدة نزلت دفعة واحدة: 11

تاريخ نزول سورة المائدة:13

ضعوا هذه الآية في سورة كذا:14

الدوافع و الأهداف:17

لماذا قدم آية الإكمال:17

استطراد و توضيح:18

خلاصة توضيحية:23

النزول على النبي صلى الله عليه و آله قبل الإبلاغ:24

متى كانت النبوة:27

النزول لأجل هداية الناس:30

نزول السورة بتمامها:31

لو كان لا بد من الانتظار:32

ص: 361

نزول السورة مرتين: 32

نزول الآية أيضا مرتين: 33

النزول التدريجي للآيات: 39

شواهد وأدلة: 39

سورة الكهف نزلت في مكة: 55

خلاصة أخيرة: 61

الفصل الثامن: شبهات. . وأجوبتها الغدير كان يوم الخميس: 65

لماذا لم يحتج علي و الزهراء عليهما السلام بالغدير؟! : 66

ألف-إحتجاجات علي عليه السلام: 70

الأول: لماذا لم يشهد أكثر من هذا العدد؟! : 75

الثاني: شهادتان. . لا شهادة واحدة: 76

تحريف كتاب المعارف: 84

تحريف كتاب تاريخ يعقوبي: 85

ب-إحتجاج الزهراء عليها السلام: 86

حديث الولاية إخبار أم إنشاء؟! : 88

لا دليل على إمامة علي عليه السلام بلا فصل: 89

هل الإمامة لتكميل الخطة العملية للدين؟! : 90

كان الغدير ردا على زيد بن حارثة؟! : 96

علي عليه السلام كان باليمن: 99

من هما العبدان الصالحان؟! : 101

الزهري لا يحدث بفضائل علي عليه السلام: 103

نص الطبري مؤيد بالنصوص: 103

جبريل . . و عمر بن الخطاب: 104

الفصل التاسع: الغدير في ظل التهديدات الإلهية قريش و خلافة بني هاشم: 109

التدخل الإلهي: 111

سياسة الفضائح: 113

تذكير ضروري: الورع والتقوى: 119

محاولة قتل رسول الله صلى الله عليه وآله: 122

خلاصة و بيان: 122

الباب الثاني عشر: مرض النبي صلى الله عليه وآله وإستشهاده. . أحداث و سياسات الفصل الأول: مرض النبي صلى الله عليه وآله و وصاياه. . مدة مرض رسول الله صلى الله عليه وآله: 129

حديث لد النبي صلى الله عليه وآله خرافة: 130

الدنانير وعائشة: 141

فاطمة عليها السلام أول أهل بيته لحوقا به: 145

وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: 150

1- حياة النبي صلى الله عليه وآله بعد موته: 150

2- علي عليه السلام هو الوصي: 151

3- العلم بما هو كائن: 152

ص: 363

وصايا النبي صَلَّى الله عليه وآله حول تجهيزه ودفنه: 152

أداء أمانات الرسول صَلَّى الله عليه وآله بعد وفاته: 155

الفصل الثاني: سرية أسامة بن زيد حديث سرية أسامة: 165

تناقض ظاهر في كلام الشامي: 173

يستعمل هذا الغلام على المهاجرين؟! : 174

لعن الله من تخلف عن جيش أسامة: 175

استعمله النبي صَلَّى الله عليه وآله و تأمرني أن أنزعه؟! : 176

أبو بكر في جيش أسامة: 180

أقلل اللبث فيهم: 183

إشارة إلى حديث اللدود: 184

حرّق عليهم: 184

أغز عليهم: 188

الغارة على الآمنين: 188

سبب التثاقل و التخلف عن أسامة: 189

تثاقل أسامة و الجيش إلى أي مدى؟! : 190

إعتذارات البشري عن تثاقلهم: 192

إرتداد العرب متى كان؟! و لماذا؟! : 194

إشكال مشترك الورد: 195

مغزى تأمير أسامة: 202

بعث أسامة مدهش: 205

الفصل الثالث: الكتاب الذي لم يكتب عمر يمنع النبي صَلَّى الله عليه وآله من كتابة الكتاب: 213

غلبه الوجع، أم هجر؟! 219:

إساءات لمقام النبوة: 222

حسبنا كتاب الله في الميزان: 223

لماذا يريد النبي صَلَّى الله عليه وآله الكتابة؟! 225:

لماذا لا يصبر النبي صَلَّى الله عليه وآله على الكتابة؟! 226:

فائدة ما جرى: 227

لو لبس المسلمون السواد، وأقاموا المآتم: 228

النبي صَلَّى الله عليه وآله يخبر عما يجري: 229

وقوع ما أخبر به النبي صَلَّى الله عليه وآله: 231

شكليات وظواهر: 233

حتى سيرة النبي صَلَّى الله عليه وآله يحرم تعلمها: 234

هل أراد صَلَّى الله عليه وآله كتابة ولاية علي عليه السلام: 236

لعله أراد إستخلاف أبي بكر: 240

مفارقة. . لا مجال لتبريرها: 246

حسبنا كتاب الله دليل آخر: 248

لا دليل على إرادة الوصية لعلي عليه السلام؟! 248:

إستدلال عمر بالجبر الإلهي: 251

أبو جعفر النقيب يقول: 252

ص: 365

الفصل الرابع: تمحلات بالية. . وأعدار واهية تصويب عمر و تخطئة النبي صلى الله عليه وآله!! :257

ألف: عمر أراد التخفيف عن رسول الله صلى الله عليه وآله:260

ب: آية بلغ. . وآية إكمال الدين:261

ج: لو كان وحيا لأصر على تبليغه:261

د: أراد أن يكتب خلافة أبي بكر:263

هـ: لا سنة عند عمر:264

و: لا يريد صلى الله عليه وآله كتابة الفقه:265

ز: قرينة الترخيص عند المازري:266

ح: قد يكتب صلى الله عليه وآله ما يعجزون عنه:267

ط: النبي صلى الله عليه وآله يصوب عمر فيما قال:268

محاولات البشري باءت بالفشل:269

الفصل الخامس: عزل أبي بكر عن الصلاة صلاة أبي بكر في الروايات:281

نصوص نذكرها ثم نناقشها:284

في بيت عائشة:292

أبو بكر أسيف لا يسمع الناس:292

إمامان لجماعة واحدة:292

أيهما الإمام؟! :294

تناقض روايات صلاة أبي بكر:296

صلاة أبي بكر والخلافة:301

ص:366

يوم الوفاة هو يوم العزل: 306

التشاؤم هو السبب: 308

مروا من يصلي بالناس: 309

عزله في الصلاة الأولى: 310

صويحبات يوسف: 310

أستاذ المعتزلي يشرح ما جرى: 311

يوم بنت خارجة: 313

دعوى صلاة النبي صلى الله عليه وآله خلف أبي بكر: 314

روايات عائشة: 315

صلاة عمر بالناس: 318

صلاتان . . أم صلاة واحدة؟!: 321

رواية الواقدي: 323

كل نبي يؤمه رجل من أمته: 324

النصب بعد العزل: 326

الفصل السادس: أحداث الوفاة في النصوص والآثار توفي في بيتي بين سحري ونحري: 331

ملك الموت يستأذن على النبي صلى الله عليه وآله: 335

يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله: 336

متى دفن النبي صلى الله عليه وآله؟!: 337

القول الأصوب والأصح: 340

يوم وشهر وفاة النبي صلى الله عليه وآله: 343

ص: 367

ما يقوله الشيعة هو الأصح

346

ملاحظة

347

كم عاش رسول الله صلى الله عليه وآله

348

عاش أبو بكر وعمر ثلاثا وستين

349

لماذا لا يذكرون عليا عليه السلام

355

الفهارس

357

1-الفهرس الإجمالي

359

2-الفهرس التفصيلي

361

ص: 368

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصحان
الغمامي



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايضاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩

